

مِنْ نَفَرٍ الْقُرْآنِ



# مِنْ نَوَافِلِ الْقُرْآنِ

تفسير موضوعي حركي يقتبس من القرآن الكريم  
ما يلقي ضوءاً على قضايا عقائدية أو أخلاقية  
أو فكرية أو اجتماعية

سَمَّاخَةُ رَجَعِ الدِّينِ

الشيخ محمد البعقوبي

الجزء السابع

سورة الجمعة - سورة الناس

## هوية الكتاب

اسم الكتاب: ..... من نور القرآن  
تأليف : ..... سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)  
الموضوع : ..... التفسير  
الجزء : ..... السابع  
عدد الصفحات : ..... ٣٩٠  
الطبعة : ..... الرابعة  
التاريخ : ..... ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

طبع ونشر

دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع

العراق - النجف الأشرف - شارع الرسول (ص)

هاتف: ٠٠٩٦٤ ٧٨١٠١٩٥٤٨٠



## القبس/٢١٠

## سورة الجمعة: ﴿٦﴾

﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾

## موضوع القبس: الاستعداد للموت: علامة صدق الإيمان

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ﴿٦﴾-﴿٧﴾).

الْهُود بمعنى الرجوع والميل والذين هادوا هم اليهود ومن وجهة نظرهم فإن منشأ التسمية لأنهم رجعوا عن عبادة العجل إلى عبادة الله تعالى، ولكن القرآن الكريم يرى فيهم أنهم مالوا عن الله تعالى وعن الحق.

ومن الشواهد على ذلك هذا التحدي الذي ذكرته الآية الكريمة، وهو ليس خاصاً باليهود وإنما يتوجه إلى كل من يدعي القرب من الله تعالى والمنزلة الرفيعة في الآخرة وقد ورد هذا المعنى في آية أخرى بهذا العموم قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ﴿٩٤﴾-﴿٩٥﴾).

فالآية الكريمة تتحدى اليهود الذين زعموا أنهم أولياء الله وشعبه المختار وإن الجنة خالصة لهم وأنهم أبناء الله وأحباؤه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ

أُبْنَاءَ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ﴾ (المائدة: ١٨) وتُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ عِلَامَةَ صَدَقِ الْإِيمَانِ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى الشُّوقُ لِلْقَائِنِ وَتَمَنِّيُ الْمَوْتِ وَالْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَعِلَاقَتُهَا الْمَادِيَةِ حَتَّى تَزُولَ مَوَانِعُ اللَّقَاءِ مَعَ الْحَبِيبِ وَالْفَوْزِ بِالنَّعِيمِ فَلْيَتَمَنَوْهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي دَعَاوَاهُمْ، وَمُطْمَئِنِّينَ لِنَتِيجَتِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَخَافُوا مِنْ تَعَرُّضِهِمْ لِأَسْبَابِهِ كَالْجِهَادِ الْمَوْجِبِ لِلْقَتْلِ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُحِبُّونَ لِلدُّنْيَا وَلَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمْ وَعُقُولِهِمْ أَيُّ نَصِيبٍ خُصُوصاً أَحْبَارَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا قِدَاسَتَهُمُ الْمَزِيْفَةَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْهَامِ وَالْإِدْعَاءَاتِ، لِذَا فَهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى الْبَقَاءِ فِيهَا، وَيَكْرَهُونَ الْمَوْتَ لِأَنَّهُ يَحْرِمُهُمْ مِنْ وَصَالِ مَا أَحَبُّوهُ مِنَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٩٦).

وَيَكْرَهُونَ الْمَوْتَ أَيْضاً وَلَا يَتَمَنُّونَهُ لِأَنَّهُمْ أَوْغَلُوا فِي الظُّلْمِ وَفَعَلَ الْمَوْبِقَاتِ وَاقْتَرَفَ السَّيِّئَاتِ فَهُمْ لَا يَرِيدُونَ الْمَوْتَ لِأَنَّهُ يَنْقُلُهُمْ إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ وَهُمْ يَخَافُونَ مِمَّا سِوَا جَهَنَّمَ مِنَ الْعِقَابِ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٩٥) وَالْآيَةُ تَفِيدُ التَّابِيدَ فَهُمْ لَمْ وَلَنْ يَتَمَنُّوا الْمَوْتَ وَالْوَقَاعَ يَشْهَدُ بِصَدَقِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

لَكِنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ التَّالِيَةَ تَصَدِّمُهُمْ بِقُوَّةٍ وَتَذَكِّرُهُمْ بِحَقِيقَةِ حَتْمِيَّةِ لَا يُمْكِنُ التَّغَافُلُ عَنْهَا حَاصِلُهَا أَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ سَيَنْزِلُ بِكُمْ يَوْماً ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨) وَعِنْدَمَا يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَأَنْتُمْ

ستجدون أنفسكم بين يدي الله تعالى ليخبركم بما قدمتم من اعمال، فاذا كنتم تريدون الفرار من الموت ففروا إلى الله تعالى فإنه لا ملجأ منه الا إليه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أيها الناس كل امرئ لاق في فراره ما منه يفر، والأجل مساق النفس اليه، والهرب منه موافاته)<sup>(١)</sup>.

فإذن أنتم ستلاقون هذا الآتي مهما هربتم من أسبابه، بل انكم (ملاقوه) فعلاً الآن ومستمرون على ملاقاته بعد الآن بحسب دلالة اسم الفاعل (ملاقي) على الاستمرارية.

ولهذه الملاقاة الآتية للموت مع أنهم أحياء ظاهراً في هذه الدنيا أكثر من تفسير:

١- أنهم موتى روحياً ومعنوياً وضمايرهم ميتة وجوارحهم لا ينتفعون بها ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩) فليس لديهم ما يدل على حياتهم المعنوية إلى ان يحين موعد قبض الروح بواسطة ملك الموت فيتحقق الموت الجسدي أيضاً.

٢- ويمكن أن يكون استمرار الملاقاة ناشئاً من كون أعمارهم في كل يوم يمر عليهم في نقصان واقتراب من الأجل فكأنهم داخلون في مقدمات الموت، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عجبت لمن يرى أنه يُنقص كل يوم في نفسه وعمره وهو لا يتأهب للموت)<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي: ٢٩٩/١، البحار: ٢٠٦/٤٢.

(٢) غرر الحكم: ٦٢٥٣.

وقد تسأل: ان اليهود الذين كانوا في عهد نزول الخطاب لماذا لم يتحدوا الآية الكريمة فلم يدعوا تمنى الموت ولو بالسنتهم لإثبات صدقهم والجواب: ان هذا الخطاب كان دعوة على نحو المباهلة بين النبي (ﷺ) واليهود لأنهم كانوا يدعون أنهم على الحق وان دعوة النبي (ﷺ) لا تشملهم وانها موجهة إلى الأميين - أو الأميين - بحسب تقسيمهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: ٧٥) فدعوا إلى المباهلة ولازمها نزول العذاب على الكاذب منهما وهم يعلمون أنهم كاذبون فخافوا من نزول العذاب ورفضوا التحدي والمباهلة، وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله (لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله (ﷺ) لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً)<sup>(١)</sup>.

ولابد أن نلتفت إلى معنى مناسب لتمنى الموت تدعو إليه الآية الكريمة لأن تمنى الموت أمر غير مرغوب في الشريعة المقدسة كما اشارت إليه الأحاديث الشريفة كالحديث النبوي الشريف (لا يتمنى أحدكم الموت)<sup>(٢)</sup> وعنه (ﷺ) قال (لا تمنوا الموت فإنه يقطع العمل ولا يُردُّ الرجل فيستعقب)<sup>(٣)</sup> وعنه (ﷺ) قال (لا يتمنين أحدكم الموت فإنه لا يدري ما قدَّم لنفسه)<sup>(٤)</sup> وعن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال لرجل يتمنى الموت (تمنَّ الحياة لتطيع لا لتعصي، فلأن

(١) رواه البخاري والترمذي والنسائي.

(٢) كنز العمال: ٤٢١٥٢.

(٣) كنز العمال: ٤٢١٥٥، ٤٢١٤٧.

(٤) كنز العمال: ٤٢١٤٩، ٤٢١٥٣، ٤٢١٥٤.

تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع<sup>(١)</sup>.

فحينئذٍ نفهم لتمني الموت في الآية معنى آخر وهو عدم كراهيته وعدم المفاجأة به والرضا بقضاء الله وقدره إذا اختاره الله تعالى أو يراد به لازمه وهو الاستعداد للموت، روي عن النبي (ﷺ) قوله (إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ، قِيلَ: هَلْ لَدُنْكَ مِنْ عِلْمٍ يَعْرِفُ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ)<sup>(٢)</sup>.

ان اغلب الناس يخافون من الموت ويكرهونه ويحبّون الدنيا ولعل ذلك يرجع إلى أكثر من سبب:

١- إنكار وجود حياة ما بعد الموت ويعتبرونه فناءً وعدمًا فلا يريدون الانتقال من الوجود إلى العدم وهذه قضية غريزية كخوف الانسان من الظلمة التي هي عدم النور وهؤلاء يجب اعادتهم إلى العقيدة الحقّة بالبعث والنشور يوم القيامة واقناعهم بالحجة والبرهان وإزالة شكوكهم بذكر امثلة واقعية على طريقة القرآن الكريم.

٢- عدم الاستعداد للموت وعدم اعداد الزاد للرحلة الأبدية كالتالب الذي يكره حلول وقت الامتحان اذا لم يكن مستعداً له بينما يستعجله ويحب تحقيق وقته اذا كان مستعداً له، فهؤلاء الذين يكرهون الموت لم يلتزموا بما نبّههم الله تعالى إليه ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧) وانما شغلهم الدنيا وافنوا أعمالهم في اللعب واللهو وتضييع الأوقات فيما لا ينفعهم،

(١) بحار الأنوار: ٦/ ١٢٨، ميزان الحكمة: ٢٢٨/٨.

(٢) ميزان الحكمة: ٨/ ٢٢٣ ح ١٩٢٥٣.

روي ان رجلاً سأل الإمام الحسن (عليه السلام) (ما بالناس نكره الموت ولا نحبه، فقال (عليه السلام) لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم وانتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب)<sup>(١)</sup>.

روي ان رجلاً سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (يا رسول الله مالي لا أحب الموت؟ قال (صلى الله عليه وآله): هل لك مال؟ فقدم مالك بين يديك، فان المرء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن خلفه أحب أن يتخلف معه)<sup>(٢)</sup>.

لذا وردت الأحاديث الكثيرة في الحث على الاستعداد للموت، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (من ارتقب الموت سارع في الخيرات)<sup>(٣)</sup>. وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (استعدوا للموت فقد أظلكم، وكونوا قوماً صريح بهم فانتبهوا، وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا... وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به... نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة ربّه غايةً، ولا تحلّ به بعد الموت ندامةً ولا كآبةً)<sup>(٤)</sup>.

٣- عدم معرفة حقيقة الموت وتفسيره وانه انتقاله من عالم ضيق منغص إلى عالم فسيح أنيق كانتقال الجنين من رحم أمه الضيق إلى الدنيا الفسيحة بالولادة واحتضان والديه له وحنوهما عليه واغداق أنواع النعم التي لم يكن يتصورها في بطن أمه وهو كان خائفاً متوجساً قبل الخروج إلى الدنيا لأنه لم يكن يعرف عنها

(١) معاني الاخبار: ٢٩/ ح ٣٩٠.

(٢) كنز العمال: ح ٤٢١٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ١٧١/٧٧ ح ٧.

(٤) نهج البلاغة: ١/ ١٠٩/ الخطبة ٦٤.

شيئاً، فالموت كذلك نقلة إلى حالة أفضل وأكثر سعادة وانطلاقاً نحو النعيم وفيها خلاص من الظلم والشر ولثام الناس، فلو عرف الانسان ذلك لما كره الموت بل فرح به من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) يوم الثلاثاء (وأصلح لي آخرتي فإنها دارٌ مقرِّي، وإليها من مُجاوَرَةِ اللَّثَامِ مَقَرِّي)<sup>(١)</sup>. وفي الحديث الشريف (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)<sup>(٢)</sup>، روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (كان الحسين (عليه السلام) وبعض من معه من خصائصه تشرق الوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم، فقال: بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت: فقال لهم الحسين (عليه السلام): صبراً بني الكرام: فما الموت الا قنطرة تعبرُ بكم من البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيتكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر)<sup>(٣)</sup>.

وروي عن الإمام الهادي (عليه السلام) قوله: (قيل لمحمد بن علي ابن موسى (عليه السلام): ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبّوه، ولعلموا أن الآخرة خيرٌ لهم من الدنيا، ثم قال (عليه السلام): يا أبا عبد الله، ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المُنقي لبدنه والنّافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء. قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ

(١) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (عليه السلام) / ٥٤٨ / ٢٤١.

(٢) البحار: ٦٠٣ / ١.

(٣) معاني الاخبار: ٢٨٨ / ح ٣.

ما يستدعي العاقل الحازم الدّواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة<sup>(١)</sup>.

وروي عن الإمام العسكري (عليه السلام) قوله (دخل علي بن محمد (عليه السلام) على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد الله، تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القدر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في حمام يزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا بن رسول الله. قال: فذاك الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا انت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كلّ غمٍّ وهمٍّ وأذى، ووصلت إلى كلّ سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمّض عين نفسه ومضى لسبيله<sup>(٢)</sup>.

وفي عيون أخبار الرضا: سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الموت فقال (للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّهُ عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشدّ! قيل: فإن قوماً يقولون: إنه أشدّ من نشرٍ بالمنشير، وقرضٍ بالمقاريض، ورضخ بالأحجار، وتدوير قُطب الأرحية على الأحداق! قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين...) <sup>(٣)</sup>.

وخير نموذج لمن فهم حقيقة الموت وسعادة من لاقاه في سبيل الله تعالى أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته حيث كانوا يتسابقون إلى ساحة

(١) معاني الأخبار: ٢٩٠/ح ٨.

(٢) معاني الأخبار: ٢٩٠/ح ٩.

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢٧٤/١/ح ٩.

المعركة لنيل الشهادة بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام).

قومٌ إذا نُودُوا لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ والخيلُ بين مُدَعَسٍ ومُكَرَّدَسٍ<sup>(١)</sup>  
 لَبَسُوا القُلُوبَ على الدروع وأقبلوا يَتَهافتون على ذَهَابِ الأنفُسِ  
 ومن كلام علي الأكبر مع أبيه الحسين (عليه السلام) لما نعى نفسه واسترجع في  
 طريقه إلى كربلاء (يا أبتِ لا اراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه  
 مرجع العباد، قال: يا أبتِ إذن لا نبالي نموت محقين. فقال (عليه السلام) له: جزاك الله من  
 ولدٍ خير ما جرى ولداً عن والده)<sup>(٢)</sup>.

وكان أصحاب الإمام (عليه السلام) فرحين مستبشرين تعلو وجوههم الابتسامة  
 ويتمازحون بينهم قبل نزولهم إلى الميدان فقال أحدهم لبرير (دعنا فوالله ما هذه  
 بساعة باطل! فقال له برير: والله، لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا  
 كهلاً، ولكن والله إنني لمستبشر بما نحن لاقون، والله أن بيننا وبين الحور العين إلّا  
 أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم)<sup>(٣)</sup>.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف - ابن طاووس: ٦٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٠٧ الكامل: ٥٥٥/٢، مقاتل الطالبين: ١١٢، الارشاد: ٨٢/٢، سير اعلام النبلاء:  
 ٢٩٨/٣ وغيرها.

(٣) مقتل الحسين لأبي مخنف: ١١٥.

## ملحق: كيفية الاستعداد للموت

من الادعية التي يستحب تكرارها ما روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) انه كان يلهج به في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وهو قوله (اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالْإِسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ حُلُولِ الْقَوْتِ) <sup>(١)</sup> ففي هذا الدعاء القصير تذكير لما يجب ان يكون عليه الانسان الواعي وهو ان يكون مستعداً لملاقاة أجله متى حلَّ به لأنه يأتيه بغتة ولا يعذر بتركه، وقد وردت أحاديث كثيرة <sup>(٢)</sup> في الحث على الاستعداد للموت، منها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إن العاقل ينبغي ان يحذر الموت في هذه الدار، ويُحسِّن له التأهب قبل أن يصل إلى دار يتمنى فيها الموت فلا يجده) <sup>(٣)</sup> وعنه (عليه السلام) قال (بادروا الموت الذي إن هربتم منه ادر ككم، وإن اقمتم أخذكم وإن نسيتموه ذكركم) <sup>(٤)</sup>.

وتشير بعض الآيات الكريمة إلى ان الاستعداد للموت وعدم كراهة لقائه علامة على صدق الايمان وحب الله تعالى، قال عز من قائل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجمعة: ٦) وقد تقدم الكلام عنها.

ولمعرفة كيفية الاستعداد للموت اكتفي بهذه الرواية التي ذكرتها بعض كتب الاخلاق وعنوانها (الهدايا العشر) ووردت بعض فقراتها في روايات مختلفة وهي

(١) الصحيفة السجادية (ابطحي): ٢٧٧.

(٢) راجع ميزان الحكمة: ٢٢٣/٨.

(٣) غرر الحكم: ٣٦١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة: ٢٠٣.

متدرجة بحسب المراحل التي يواجهها الانسان في رحلة الآخرة (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: أتأذن لي أن أتمنى الموت؟ فقال ﷺ: الموت شيء لا بدّ منه، وسفر طويل ينبغي لمن أراد أن يرفع عشر هدايا) فكأن النبي ﷺ صحّح القصد من السؤال لأن المؤمن لا يتمنى الموت بمعنى التمني المعروف ولا يقترح على الله تعالى فيما يختار له، ووردت أحاديث كثيرة في النهي عن تمني الموت كقول رسول الله ﷺ (لا تمنّو الموت، فإنه يقطع العمل، ولا يُردّ الرجل فيستعتب)<sup>(١)</sup> فعليه أن يسأل عن كيفية الاستعداد للموت وماذا يهيء لرحلة الآخرة.

فقال: وما هي؟ فقال ﷺ: هديّة عزرائيل - وهو ملك الموت -، وهديّة القبر، وهديّة منكر ونكير، وهديّة الميزان، وهديّة الصراط، وهديّة مالك - وهو خازن النيران -، وهديّة رضوان - وهو خازن الجنان -، وهديّة النبي ﷺ، وهديّة جبرائيل، وهديّة الله تعالى.

أمّا هديّة عزرائيل (عليه السلام) فأربعة أشياء: إرضاء الخُصماء، وقضاء الفوائد والشّوق إلى الله تعالى، والتّمني للموت) فأول خطوة عليه أن يبادر إلى رد حقوق الناس المادية والمعنوية واسترضائهم، وتمني الموت يعني الاستعداد له وعدم كراهة لقاء الله تعالى.

(وهديّة القبر أربعة أشياء: ترك النّميمة، والاستبراء من البول، وقراءة القرآن - باستمرار ولا يقتصر على شهر رمضان -، وصلاة اللّيل) وتوجد أحاديث في أن الميت يتعذب في قبره بسبب النّميمة وترك الاستبراء - أي الخراطات التسعة لتنقية

(١) كنز العمال: ٥٥٣/١٥ ح ٤٢١٤٧.

المجرى من البول - بعد التبول.

(وهديّة منكر ونكير أربعة أشياء: صدق اللسان، وترك الغيبة، وقول الحق - ولو على نفسك ولا تكتم شهادة الحق -، والتواضع لكلّ أحد) بأن تسلّم على الجميع وتجلس حيثما تيسّر.

(وهديّة الميزان أربعة أشياء: كظم الغيظ - إذا ازعجك شيء أو استفزك أحد -، وورع صادق، والمشي إلى الجماعات - في صلوات الجمعة والجماعة والشعائر الحسينية ونحو ذلك -، والتداعي إلى المغفرات - أي المسارعة إلى أسبابها الموجبة لها كقوله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران: ١٣٣).

وهديّة الصّراط أربعة أشياء: إخلاص العمل - لله تعالى من أي شائبة وترك الرياء والعجب والمنّ -، وحُسن الخلق، وكثرة ذكر الله، واحتمال الأذى خصوصاً من القريين منك كالوالدين والزوجة والجار ورفيق السفر. وإن الانسان ليبلغ بحسن أخلاقه وكثرة ذكر الله تعالى درجة الصديقين.

(وهديّة مالك أربعة أشياء: البكاء من خشية الله، وصدقة السرّ، وترك المعاصي، وبرّ الوالدين.

وهديّة رضوان أربعة أشياء: الصبر على المكاره، والشكر على نعم الله، وإنفاق المال في طاعته، وحفظ الأمانة.

وهديّة النبي (ﷺ) - الذي ترجو شفاعته - أربعة أشياء: محبّته، والاقتداء بسنّته - كما في دعاء شهر شعبان: واعنّا على الاستئان بسنته فيه ونيل الشفاعة لديه -، ومحبّة أهل بيته وحفظ اللسان عن الفحشاء) لأن لسانك أصبح محلاً لذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فلا يليق به أن يتلفظ بسوء أو أذى أو فحش.

(وهديّة جبرائيل عليه السلام) أربعة أشياء: قِلّة الأكل، وقِلّة النَّوم، وقِلّة الكلام ومداومة الحمد.

وهديّة الله تعالى أربعة أشياء: الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والنّصيحة للخلق، والرّحمة على كل أحد<sup>(١)</sup>.

والملفت ان الهدية التي ادخرها الله تعالى لنفسه تتعلق بمخلوقاته كإصلاحهم وهدايتهم والرحمة بهم والشفقة عليهم وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم ولم يجعلها كثرة صلاة أو صوم أو أي عبادة أخرى مما يبرز عظمة هذه الخصال عند الله تعالى وأهمية العلاقات الإنسانية النيلة في الدين.

---

(١) كتاب ادخال السرور على اهل القبور: للسيد حسين نجيب محمد، ص ٢٠٧.

سورة الجمعة: ﴿٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾  
 قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ  
 الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾  
 (الجمعة: ﴿٩﴾).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: خطاب مؤكّد بـ(يا) و(أي) و(ها) موجّه للمؤمنين  
 عموماً، وإنما خصّهم بالخطاب اهتماماً بشأنهم وإظهاراً لقربهم من الله تعالى،  
 ولأنهم من يتوقع منهم الاستجابة، وإلا فالوجوب شامل لجميع الناس حتى الكفار،  
 غاية الأمر: أن عليهم تصحيح عقيدتهم وأن يؤمنوا بالإسلام أولاً ثم يمتثلوا  
 الأحكام الشرعية لتصحّ منهم.

﴿إِذَا نُودِيَ﴾: المراد بالنداء للصلاة الأذان لها ويشهد لهذا أنهم أطبقوا  
 على تفسير النداء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ﴿٥٨﴾) بالأذان فإنّ أعداء الإسلام في زمن  
 نزول الآية وفي كل زمان يسخرون من أذان المسلمين وصلاتهم ويستهزئون بها.  
 وفي التعبير بالنداء لصلاة الجمعة كناية عن دخول وقتها وإن لم يُرفع الأذان  
 خارجاً، ولعله لهذا جيء بالفعل ﴿نُودِيَ﴾ مبنياً للمجهول فإنه يكفي في تحقق  
 النداء دخول وقت الأذان وما فيه من حث ودعوة للمبادرة إلى الصلاة والفلاح

وخير العمل من دون مدخلية لرافعه خارجاً.

وعلى هذا فإن ﴿إِذَا﴾ هنا ليست شرطية توجب المفهوم للجملة بحسب المصطلح بحيث ينتفي الجزء وهو وجوب السعي إلى الجمعة إذا انتفى الشرط وهو وقوع الأذان خارجاً، وإنما هي ظرفية سقت لبيان تحقق الموضوع وإنه إذا حلّ الوقت وجبت إقامة الصلاة؛ لوضوح أن بعض المقدمات كالسعي إلى محل إقامتها وإنهاء الشواغل عنها كالمتجر ومحل العمل مما يجب قبل الأذان.

ويمكن أن تكون ﴿إِذَا﴾ شرطية بناءً على معنى آخر للنداء بأن يراد به أمر الفقيه الجامع للشرائط المتصدي للأمر العامة وإدارة شؤون الأمة بإقامتها، وسيأتي بيان مبررات هذا المعنى إن شاء الله تعالى، وكلا المعنيين صحيحان فالأول ظرف إقامتها، والثاني شرط وجوب إقامتها.

﴿لِلصَّلَاةِ﴾ أي صلاة الجمعة فقد ثبت بالإجماع أن الصلاة المنادى إليها هي الجمعة وليس الظهر لان النداء الى الظهر لا يختص بيوم الجمعة، ولا يوجد احتمال ثالث غيرهما فاللام عهدية.

ولأن ظرفية دخول الوقت لتحقيق الوجوب لا يختص بصلاة الجمعة وإنما هو عام لكل الصلوات اليومية المفروضة فقد أتى بلفظ الصلاة مطلقاً وليس مقيداً بالإضافة إلى الجمعة.

وفي ضوء هذا كله: لا يصحّ ما قيل<sup>(١)</sup> إن المراد بالنداء لها إقامتها بشروطها

(١) راجع ما قاله السيد الخوئي (قدس سره) في ذلك ومناقشتنا له في فقه الخلاف: ٢ / ٢٤١ ط، الثانية.

فاذا أقيمت وجب السعي إليها، لأنه يستلزم اتحاد النداء والمنادى له، فتكون إقامة صلاة الجمعة نداءً لإقامتها، وهو تحصيل حاصل لا مسوِّغ له، مضافاً إلى مخالفته للواقع عند نزول الآية إذ لم تكن إقامتها سبباً لوجوب إقامتها بل حلول وقتها والأذان لها، وقد كانت الجمعة مقامة قبل نزول السورة بسنوات<sup>(١)</sup>، وإنما نزلت السورة لتوبيخ تاركها في حادثة معينة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى. لا لتأسيس وجوب إقامة صلاة الجمعة فهذا التفسير غير صحيح، وما ترتب عليه من عدم وجوب الحضور فيها إلا إذا أقيمت مثله، والشاهد على عدم صحته ما ذكرناه من عدم إضافة الصلاة إلى الجمعة مما يعني أن هذا النداء ليس أمراً مغايراً للنداء إلى الصلوات المفروضة الأخرى، وهو الأذان عند دخول الوقت.

فإذا حل وقت صلاة الجمعة وجب على المؤمنين السعي لإقامتها كلّ بحسبه، فالإمام يسعى لإمامتها، وبقية المؤمنين لحضورها، أما الأذان الفعلي فليس أزيد من كونه إعلاماً بدخول الوقت، واجتماع العدد ليس شرطاً للوجوب حتى يسقط إذا لم يجتمعوا بل هو شرط للواجب إذ على المؤمنين أن يجتمعوا لتوفير العدد المطلوب إلا ذوي الأعذار.

ولأهمية هذا النداء فقد مهّدت له الآيات السابقة من سورة الجمعة، حيث بدأت بالإخبار عن أن كل ما في الوجود يسبّح لله تبارك وتعالى فلا بد أن يكون الإنسان جزءاً من هذه الحركة لأنه خليفة الله في أرضه، ثم بيان سمو غرض

---

(١) روى الطبرسي في (مجمع البيان: ٧/١٠) أن النبي (ﷺ) أقام الجمعة في اليوم الخامس من وصوله قبا قبل دخوله المدينة، والسورة نزلت بعد الهجرة بسنوات لقرائن ذكرناها في فقه الخلاف، وأورد في مجمع البيان بعض خطبة النبي (ﷺ) في أول صلاة جمعة.

الرسالة المحمدية وهو التزكية والتعليم فضلاً من الله تعالى ورحمة، ثم توبيخ وتحقير من حُمِّلوا رسالة الله تعالى ولكنهم لم يلتزموا بها مع أنهم يدعون أنهم الأمناء عليها والقائمون بها، فيختبر صدقهم بتمني الموت ولكنهم لا يفعلون لأنهم كاذبون غارقون في حب الدنيا، وفي هذه الأجواء المهيئة عقلياً وقلبياً ونفسياً يأتي النداء للحث على السعي والاجتماع لإقامة صلاة الجمعة واعقبها الأمر بترك البيع وسائر الشواغل، حتى لا يجد المتلقي سبباً للتقاعس وعدم الامتثال لما فيها من النهي عن كل ما يشغل عن الحضور فيها.

والخطاب في الآية عام فيشمل المؤمنين في كل مكان وزمان إلى قيام يوم الساعة، وهو مطلق لا يقيّد إلا بدليل، وقد ورد في خطبة لرسول الله (ﷺ) (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه بالجمعة: يوم الجمعة)<sup>(١)</sup>، كما روى الفريقان أن النبي (ﷺ) خطب في أول جمعة أقامها في المدينة فقال: (إن الله تعالى افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في مشهدي هذا، في عامي هذا، إلى يوم القيامة، فمن تركها استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره، ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صيام له، ألا ولا برّ له، ولا بركة له حتى يتوب، فمن تاب تاب الله عليه)<sup>(٢)</sup>، وفي صحيحة منصور بن حازم

(١) بحار الأنوار: ٢١١/٨٩ نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٠٢/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ١، ح ٢٨، ط. مؤسسة أهل البيت (عليه السلام)، ورواه الشهيد الثاني في رسالة الجمعة، الدر المنثور: ٣١٨/٦، سنن ابن ماجه ٤٣٣/١ باب فرض الجمعة.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (والجمعة واجبة على كل أحد)<sup>(١)</sup>.

﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: تعزيز للوجوب باستعمال صيغة الأمر بالسعي الذي هو السير الحثيث مع العناية والاهتمام، وذكر الله أعم من أن يكون الصلاة والخطبتان، روى جابر بن يزيد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (قلت له: قول الله عز وجل: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: قال: اعملوا وعجلوا فإنه يوم مضيق على المسلمين فيه، وثواب أعمال المسلمين فيه على قدر ما ضيق عليهم، والحسنة والسيئة تضاعف فيه. قال: وقال أبو جعفر (عليه السلام) والله لقد بلغني أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كانوا يتجهزون للجمعة يوم الخميس لأنه يوم مضيق على المسلمين)<sup>(٢)</sup>.

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ تأكيد آخر على أهمية إقامة الفريضة بعد الأمر بالسعي إليها من خلال النهي عن ممارسة أي فعل يعيق أداء هذه الفريضة العظيمة، وإنما خُصّ البيع بالذكر لأنه الحالة الخارجية الواقعة التي أوجبت نزول الآية حيث قيل إن قافلة تجارية وردت من الشام فلما أشرفت على المدينة ضربوا بالدفوف لإعلام أهلها بوصولهم فهرع إليها أصحاب رسول الله (ﷺ) وتركوه قائماً يخطب ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وروي أقل من ذلك<sup>(٣)</sup> وان النبي (ﷺ) قال: (لقد نظر الله إلى مسجدي يوم الجمعة، فلولا هؤلاء الثمانية الذين جلسوا في

(١) وسائل الشيعة: ٣٠٥/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٢/ ح ٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٥٣/٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٣١/ ح ١.

(٣) مجمع البيان: ٨/١٠، الدر المنثور: ١٦٥/٨.

مسجدي لأُضرمَت المدينة على أهلها ناراً، وحصبوا بالحجارة كقوم لوط<sup>(١)</sup> والمورد لا يخصّص الوارد.

أو لأنه أهم ما يشغل الإنسان من أمور الدنيا ويعطل أدائه للفريضة فمن باب أولى دخول غيره في النهي قال في مجمع البيان ((وفي هذه الآية دلالة على وجوب الجمعة، وفي تحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة، لان البيع إنما خُصَّ بالنهي عنه لكونه من أهم التصرفات في أسباب المعاش))<sup>(٢)</sup> بل أن النهي يشمل حتى الشواغل الأخروية كالصلوات المستحبة إذ (لا قرينة بالنوافل إذا أُضرت بالفرائض)<sup>(٣)</sup>، نعم إذا حصل شاغل أهم في نظر الشارع المقدس كحفظ النفس من الهلاك أو العرض من الشين سقط الوجوب.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فإن في صلاة الجمعة مصالح دنيوية وأخروية عظيمة سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى، فالخير كله في هذا السعي ولا خير في ما سواه، وليس التعبير هنا على نحو صيغة التفضيل أي أن في الآخر خيراً لكن هذا أفضل منه، كما في قوله تعالى ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٧) وقوله تعالى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣).

إن هذا الخطاب القرآني الذي يوجب على المؤمنين إقامة صلاة الجمعة والسعي إليها عام لا يختص بجماعة دون جماعة، ومطلق لا يختص بزمان دون

(١) البرهان: ٩/٣٠٠/ح ١٥، ١٠.

(٢) مجمع البيان: ٩/١٠.

(٣) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٧.

زمان ولا بحال كحضور المعصوم (عليه السلام) دون حال كغيبته (عليه السلام)، وهو ما أكدته الروايات الشريفة المتواترة<sup>(١)</sup>، منها صحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (إنما فرض الله عز وجل على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، منها صلاة واحدة فرضها الله عز وجل في جماعة وهي الجمعة، ووضعها عن تسعة: عن الصغير، والكبير، والمجنون، والمسافر، والعبد، والمرأة، والمريض، والأعمى، ومن كان على رأس فرسخين)<sup>(٢)</sup>.

أقول: الرواية صريحة في الوجوب التعيني لصلاة الجمعة عند زوال يوم الجمعة في جميع الأزمنة وأن الفرض في هذا الوقت هي صلاة الجمعة لا الظهر، وقد ذكرت الرواية بمعونة غيرها شرط إقامتها وهو وجود إمام يخطب لأنها لا تعقد إلا جماعة وبخطبتين، ومراعاة شرط المسافة، وذكرت عناوين المعذورين، فالقول بالوجوب التخيري غير ظاهر ودليله غير تام، بل غير متصور وأن فريضة عظيمة مثل صلاة الجمعة بالغ القرآن الكريم والروايات الشريفة في التأكيد على

---

(١) حكى المحقق صاحب الحقائق (قدس سره) عن الشيخ محمد تقي المجلسي والد صاحب البحار (قدس الله روحيهما) قوله في رسالة الجمعة (فصار مجموع الأخبار الدالة على الوجوب مثني حديث، والذي يدل على الوجوب بصريحه من الصحاح والحسان والموثقات وغيرهما، أربعون حديثاً، والذي يدل بظاهره على الوجوب خمسون حديثاً، والذي يدل على المشروعية في الجملة تسعون حديثاً، والذي يدل بعمومه على وجوب الجمعة وفضلها عشرون حديثاً، والذي يدل بصريحه على وجوب الجمعة إلى يوم القيامة حديثان، والذي يدل بظاهره على عدم اشتراط الإذن ستة عشر حديثاً). وضعف صاحب الجواهر (قد) دلالة هذه الأحاديث على الوجوب العيني (جواهر الكلام: ١٧٤/١١).

(٢) وسائل الشيعة: ٢٩٥ / ٧، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ١ / ح ١.

إقامتها والحضور فيها، وذم من تخلف عنها لا يعقل أن يكون أمرها بيد المكلفين إن شاؤوا أقاموها وإن شاؤوا تركوها.

أما الإمام المذكور في بعض الروايات فهو إمام الجمعة وخطيبها، كما في صحيحة زرارة قال (قلت لأبي جعفر (عليه السلام): على من تجب الجمعة؟ قال: تجب على سبعة نفر من المسلمين، ولا جمعة لأقل من خمسة من المسلمين، أحدهم الإمام، فإذا اجتمع سبعة ولم يخافوا أمهم بعضهم وخطبهم)<sup>(١)</sup> وصحيحته الأخرى عن أبي جعفر (عليه السلام) قال (صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها مع الإمام فريضة)<sup>(٢)</sup> وموثقة سماعة قال (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الصلاة يوم الجمعة؟ فقال: أما مع الإمام فركعتان، وأما من يصلي وحده فهي أربع ركعات بمنزلة الظهر، يعني إذا كان إمام يخطب، فإن لم يكن إمام يخطب فهي أربع ركعات وإن صلّوا جماعة)<sup>(٣)</sup>.

وقد تواترت الروايات في فضل صلاة الجمعة وثواب من يشارك فيها، كالذي ورد في حديث المعراج أن النبي (ﷺ) رأى ملائكة يدعون: (اللهم اغفر للذين يحضرون صلاة الجمعة، اللهم اغفر للذين يغتسلون يوم الجمعة)<sup>(٤)</sup> وورد عن النبي (ﷺ) قوله: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ من لا يشغله عن الجمعة حر

(١) وسائل الشريعة: ٧ / ٣٠٤، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٢ / ح ٤.

(٢) وسائل الشريعة: ٧ / ٢٩٩، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ١ / ح ٨، ١٢.

(٣) وسائل الشريعة: ٧ / ٣١٠، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٦ / ح ٨.

(٤) مستدرک الوسائل: ٦ / ٩١.

شديد، ولا برد شديد، ولا ردغ<sup>(١)</sup> وفي صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال (إذا كان يوم الجمعة نزل الملائكة المقربون معهم قراطيس من فضة، وأقلام من ذهب، فيجلسون على أبواب المسجد، على كراسي من نور، فيكتبون الناس على منازلهم الأول والثاني حتى يخرج الإمام، فإذا خرج طَوا صُحفهم، ولا يهبطون في شيء من الأيام إلا يوم الجمعة)<sup>(٢)</sup> وقورنت صلاة الجمعة بالحج فقد جاء إعرابي يشكو إلى رسول الله (ﷺ) عدم الاستطاعة إلى الحج فقال (ﷺ) له: (عليك بالجمعة فإنها حج المساكين)<sup>(٣)</sup>.

وهي من مظان إجابة الدعاء، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله (أول وقت الجمعة ساعة تزول الشمس إلى أن تمضي ساعة فحافظ عليها فإن رسول الله (ﷺ) قال: لا يسأل الله عبدٌ فيها خيراً إلا أعطاه)<sup>(٤)</sup> وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (ما من قدم سعت إلى الجمعة إلا حرم الله جسدها على النار)<sup>(٥)</sup> وروى الشيخ الصدوق (قده) في الأمالي عن رسول الله (ﷺ) قوله (أما يوم الجمعة فيوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فما من مؤمن مشى فيه إلى الجمعة إلا خفف الله عليه أهوال يوم القيامة، ثم يأمر به إلى الجنة)<sup>(٦)</sup>.

ويستحب السفر إلى محل إقامتها للحضور فيها، في موثقة سماعة عن

(١) كنز العمال: الحديث ٢١٠٨٥، والردغ: الماء والطين والوحل الشديد.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٤٧/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها باب ٢٧/ح ١.

(٣) التهذيب: ٢٣٧/٣، وسائل الشيعة: ٣٠٠/٧، نفس الأبواب، باب ٢/ح ٧.

(٤) وسائل الشيعة: ٣٢٠/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٨/ح ١٩، ١٣.

(٥) وسائل الشيعة: ٢٩٧/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ١/ح ٧.

(٦) وسائل الشيعة: ٢٩٨/٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ١/ح ٩.

جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه (عليه السلام)، أنه قال (أيما مسافر صلى الجمعة رغبة فيها وحباً لها أعطاه الله عز وجل أجر مائة جمعة للمقيم)<sup>(١)</sup>.

وتصل أهمية الحضور إلى درجة وجوب إطلاق سراح المسجونين في الديون من أجل حضورها، قال الإمام الصادق (عليه السلام) (إن على الإمام أن يخرج المحبسين في الدين يوم الجمعة إلى الجمعة ويوم العيد إلى العيد، ويرسل معهم، فإذا قضوا الصلاة والعيد ردهم إلى السجن)<sup>(٢)</sup>.

وورد في ذم التقاعس عن الحضور صحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (فإن ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة إلا منافق)<sup>(٣)</sup>.

مضافاً إلى ذلك فقد عبّرت الأحاديث الشريفة عن هذا الاهتمام، بصيغ متعددة كالنهي عن السفر يومها، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (من سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة، لا يُصحب في سفره ولا يعان على حاجته)<sup>(٤)</sup> ومن كتاب لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني (لا تسافر يوم الجمعة حتى تشهد الصلاة، إلا ناصلاً- أي خارجاً- في سبيل الله أو في أمر تعذر به)<sup>(٥)</sup> وروي عنه (عليه السلام) أنه قال (لا يشرب أحدكم الدواء يوم الخميس، فقليل: يا

(١) وسائل الشيعة: ٧/ ٣٣٩ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ١٩/ ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٧/ ٣٤٠ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٢١/ ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ٧/ ٢٩٧ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ١/ ح ٨.

(٤) كنز العمال: ٦، ٧١٥/ ح ١٧٥٤٠.

(٥) نهج البلاغة: ٣/ ١٤٣، وسائل الشيعة: ٧/ ٤٠٧ باب ٥٢/ ح ٦، وفيه عن الصحاح: نَصَل الحافر: خرج عن موضعه.

أمير المؤمنين ولم ذاك؟ قال: لئلا يضعف عن إتيان الجمعة<sup>(١)</sup> وروي عن النبي (ﷺ) قوله (من استأجر أجيراً فلا يحبسه عن الجمعة فيأثم، وإن لم يحبسه اشتركا في الأجر)<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من الفقهاء (قدس الله أرواحهم) اعترافهم بدلالة الكتاب والسنة على الوجوب التعيني ولكنهم برروا القول بالتخيير بوجود الإجماعات المنقولة على حرمتها زمن الغيبة، والجمع بينهما يقضي بالتخيير بينها وبين الظهر.

أقول: هذه الإجماعات لا يعتدُّ بها لأنها مُخَالَفَةٌ لحكم قطعي ثابت في الكتاب والسنة، وهي باعترافهم منقولة ليست حجة، ولو تمت فإنه إجماع مدركي منشأه بعض الروايات التي يمكن توجيهها، أو عدم إقامة الأئمة (عليه السلام) لها وهو إشكال سيأتي جوابه بإذن الله تعالى، وقد فصلنا الكلام في البحث الفقهي الاستدلالي عن وجوب صلاة الجمعة تعييناً<sup>(٣)</sup>.

وقال صاحب الحقائق (قلَّيْلٌ): ((فالمستفاد من الآية المذكورة الأمر بالسعي إلى صلاة الجمعة لكل واحد من المؤمنين متى تحقق الأذان لها أو دخول وقته وحيث أن الأصل عدم التقيد بشرط يلزم عموم الوجوب بالنسبة إلى زمان الغيبة والحضور))<sup>(٤)</sup>.

نعم قد يقال: إن صلاة الجمعة إذا كانت واجبة تعييناً فلماذا لم يقمها

(١) وسائل الشيعة: ٧، ٣٥٣ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٣١/ح ٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٦، ص ٧.

(٣) فقه الخلاف: ٢/٢٣٣ - ٣٢٦، ط، الثانية.

(٤) الحقائق الناضرة: ٩/٣٩٩.

الأئمة المعصومون (عليه السلام)؟ فإذاً هي إما واجبة على نحو التخيير بينها وبين صلاة الظهر أو إن إقامتها مشروطة بوجود سلطة شرعية مبسطة اليد، وهي لم تكن متحققة للأئمة المعصومين (عليه السلام) بعد الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام).

وجوابه واضح مما تقدم في صحيحة زرارة بأن وجوب إقامتها مشروط بعدم الخوف، وقد كان الأئمة (عليه السلام) يعيشون في ظل حصار قاسٍ وملاحقة شرسة من الطواغيت الذين يعتبرون أنفسهم سلطة شرعية وإن إقامة الجمعة من وظائفهم، ومن نازعهم فيها فهو بنظرهم خارجي يستحق القتل، وقد انتهت حياتهم (عليه السلام) فعلاً بالشهادة، أما غيرهم ممن لا يخافون الضرر فتجب عليهم، ففي صحيحة زرارة قال (حسناً أبو عبد الله (عليه السلام)) على صلاة الجمعة حتى ظننت أنه يريد أن يأتيه، فقلت: نغدو عليك؟ فقال: لا، إنما عنيت عندكم<sup>(١)</sup>، فعدم إقامتها لا لقصور مقتضي دليل الوجوب التعيني كما فهم المشهور وإنما لوجود المانع، وقد صحح الإمام بنفسه هذا الوهم لدى بعض أصحابه وحثهم على إقامتها في الأمصار التي لا تعاني من رقابة السلطة، ففي موثقة عبد الملك قال (قال أبو جعفر (عليه السلام)): مثلك يهلك ولم يصل فريضة فرضها الله، قلت: كيف أصنع؟ قال: صلوا جماعة يعني صلاة الجمعة<sup>(٢)</sup>.

ولذا لم يقيمها رسول الله (ﷺ) في مكة قبل الهجرة لأنه كان في حال الاستضعاف والخوف، لكن المسلمين من أهل يثرب الذين بايعوا النبي (ﷺ) في العقبة أقاموها والنبي (ﷺ) لم يهاجر إلى المدينة بعد إمامة أسعد بن زرارة

(١) وسائل الشريعة: ٧/ ٣٠٩ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٥/ ح ١.

(٢) وسائل الشريعة: ٧/ ٣١٠ أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٥/ ح ٢.

وصلّى بهم يومئذٍ ركعتين وذكّرهم<sup>(١)</sup>.

ورؤي<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس وابي مسعود الانصاري: أنه أذن للنبي (ﷺ) بصلاة الجمعة في مكة قبل أن يهاجر ولم يستطع أن يجمع بمكة، فكتب الى مصعب بن عمير -الذي بعثه النبي (ﷺ) الى المدينة قبله للتبليغ والدعوة- أن يقيمها في المدينة فكان أول من أقام الجمعة بالمدينة قبل أن يقدمها رسول الله (ﷺ).

ولأهمية حفظ المؤمنين من الضرر فقد لوحظ هذا الشرط حتى في صلاة الجماعة يوم الجمعة خشية أن ينقل خبر عنهم إلى الظلمة بأن لهم جمعة غير جمعة السلطة، ففي وثيقة ابن بكير (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوم في قرية ليس لهم من يجمع بهم الصلاة يصلّون الظهر يوم الجمعة في جماعة؟ قال: نعم إذا لم يخافوا)<sup>(٣)</sup>.

أما تعليق الوجوب التعيني على حضور الإمام المعصوم (عليه السلام) وعدمه في الغيبة فمما لم يتم عليه دليل كما فصلنا في البحث الفقهي، وهو لا يناسب الاهتمام العظيم للشارع المقدس بإقامة صلاة الجمعة والعقوبة الشديدة لتاركها من غير عذر، والمصالح الدنيوية والأخروية المترتبة عليها، فهي رمز وحدة المسلمين وتآلفهم وقوتهم وعزّتهم ومنعتهم، وباجتماعهم للجمعة تتوثق الأواصر بينهم وتكون باباً لمشاريع الخير والتعاون بينهم، لذا لم تشرع في المدينة الواحدة إلا صلاة جمعة واحدة، وفي خطبتها زادٌ فكري ومعنوي يحصلون عليه أسبوعياً،

(١) الدر المنثور: ٨ / ١٥٩، مجمع البيان: ١٠ / ٧.

(٢) الدر المنثور: ٨ / ١٥٩، مجمع البيان: ١٠ / ٧.

(٣) وسائل الشيعة: ٧ / ٣١٠، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ١٢ / ١ ح.

ويتعرفون من خلالها على حل مشاكلهم والمواقف المطلوبة إزاء مختلف القضايا والتحديات التي تواجههم، حيث جعل الأئمة (عليه السلام) من حق المسلمين على إمام الجمعة (أن يعلمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد)<sup>(١)</sup> وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: (إنما جعلت الخطبة يوم الجمعة لأن الجمعة مشهود عام فأراد أن يكون للأمير سبب إلى موعظتهم وترغيبهم في الطاعة وترهيبهم من المعصية، وتوقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم، ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق من الأحوال التي لهم فيها المصرة والمنفعة، ولا يكون الصابر في الصلاة منفصلاً وليس بفاعل غيره ممن يؤم الناس في غير يوم الجمعة، وإنما جعلت خطبتين ليكون واحدة للثناء على الله والتمجيد والتقديس لله عز وجل، والأخرى للحوائج والأعذار والإنذار والدعاء، ولما يريد أن يعلمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد)<sup>(٢)</sup>.

ولا يمكن تصوّر أن وجوبها مقتصر على عدة سنوات من حكم رسول الله (ﷺ) وخلافة أمير المؤمنين والحسن (صلوات الله عليهما)، ولا يوجد ما يصلح لتقييد إطلاق صحيحة زرارة المتقدمة التي حدّدت المعذورين، وما استدل به من الروايات على هذا الشرط غير تام وغاية ما يفهم منه أن إقامة صلاة الجمعة من الواجبات الاجتماعية -بحسب مصطلحنا- التي يكون أمرها بيد الإمام المعصوم (عليه السلام) عند حضوره ونائبه الخاص أو العام أي الفقيه الجامع للشرائط، وعليه تحمل كلمات فقهاءنا (رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) قال المحقق الحلي

(١) وسائل الشيعة: ٥ / ٤٠، المصدر من ط مؤسسة أهل البيت.

(٢) وسائل الشيعة: ٧ / ٣٤٤، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، باب ٢٥، ح ٦.

(قُلَيْبٌ): ((السلطان العادل أو نائبه شرط وجوب الجمعة وهو قول علمائنا))<sup>(١)</sup>، وقال المحقق الكركي (قُلَيْبٌ): ((يشترط لوجوب الجمعة السلطان العادل وهو الإمام أو نائبه عموماً أو في الجمعة بإجماعنا))<sup>(٢)</sup>.

فلا يجوز لأحد غير الفقيه المتصدي للأُمور العامة بعنوان المرجعية العامة أو ولي الأمر ونحوهما إقامتها إلا بإذنه، شأنها في ذلك شأن إقامة الحدود والقضاء بين الناس والجهاد، وقد دلت على هذا عدة روايات كقوله في دعائم الإسلام روينا عن علي (عليه السلام) أنه قال: لا يصلح الحكم ولا الحدود ولا الجمعة إلا للإمام أو من يقيمه الإمام<sup>(٣)</sup> والمروي عن كتاب الأشعثيات (إن الجمعة والحكومة لإمام المسلمين)<sup>(٤)</sup>، وكذا روي عنهم (عليه السلام): (لنا الخمس ولنا الأنفال ولنا الجمعة ولنا صفو المال)<sup>(٥)</sup> والنبوي المشهور (أربع إلى الولاية الفئ والحدود والصدقات والجمعة)<sup>(٦)</sup>، وفي رسالة الفاضل ابن عصفور روى مرسلاً عنهم (عليه السلام) (إن الجمعة لنا والجماعة لشيعتنا)<sup>(٧)</sup>.

وفي الصحيفة السجادية المعلوم أنها من السجاد (عليه السلام) في دعاء يوم الجمعة وثاني العيدين (اللهم إن هذا المقام مقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع

(١) المعتبر في شرح المختصر: ٢/ ٢٧٩، جواهر الكلام: ١١/ ١٥٣.

(٢) جامع المقاصد: ٢/ ٣٧١، جواهر الكلام: ١١/ ١٥٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١/ ٤١٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ١/ ٤١٣.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٩/ ص ٥٣٢.

(٦) منتهى المطلب (ط.ق): ج ١/ ص ٣١٧.

(٧) من لا يحضره الفقيه: ج ١/ ٤١٣، جواهر الكلام: ١١/ ١٥٨.

أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها وأنت المقدر لذلك - إلى أن قال - حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدلاً - إلى أن قال - اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين ومن رضي لفعالهم وأشياعهم لعناً وبيلاً).

ولذا ورد في خبر عبد الله بن ذبيان<sup>(١)</sup> عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (يا عبد الله ما من يوم عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلا وهو يجدد الله لآل محمد عليه فيه حزناً، قال: قلت: ولم؟ قال: إنهم يرون حقهم في أيدي غيرهم)<sup>(٢)</sup>.

(١) بحسب التهذيب، وفي الكافي (دينار)، وفي الفقيه (سنان).

(٢) وسائل الشيعه: ٧ / ٤٧٥، كتاب الصلاة، أبواب صلاة العيد، باب ٣١، ح ١.

## القبس/٢١٢

### سورة التغابن: ﴿٩﴾

﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾  
(التغابن: ﴿٩﴾).

#### من أسماء يوم القيامة:

ليوم القيامة أسماء عديدة في القرآن الكريم تعبّر عن واقع يوم القيامة وما يحصل فيه، كيوم الدين ويوم الحسرة والندامة ويوم الفصل ويوم الدهول ويوم الزلزلة ويوم الجمع ويوم الورود ويوم النشور ويوم الحشر ويوم البعث ويوم الحساب والصاخّة والطامة الكبرى، وهي أسماء مشتقة من صفات ذلك اليوم المهول وخصائصه وما يجري فيه، ومن تلك الأسماء يوم التغابن.

والغبن (أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء)<sup>(١)</sup>  
فالبائع إذا أحسّ أنّه باع بأقل من استحقاق الشيء كان مغبوناً، وإذا شعر المشتري أنّه دفع أكثر مما يستحق الشيء كان مغبوناً. فيوم التغابن يوم ظهور الغبن وحسرة وما يترتب على ذلك من حسرة وندامة.

(١) المفردات للراغب، مادة (غبن).

### المعاملة المغبونة والفائزة يوم القيامة:

فما هي المعاملة التي سيظهر فيها الغبن يوم القيامة؟ والجواب أنها الصفقة التي عقدها الله تعالى مع عباده حينما جمعهم في عالم الذر ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢) فأخذ تعالى العهد على عباده أن يعبدوه ويطيعوه وان يكون لهم جميع ما في الأرض على أن يسيروا وفق منهجه الرباني، ولهم بذلك الجنة التي عرضها السماوات والأرض.

هذه الصفقة أشير إليها في القرآن الكريم كثيراً كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١٣).

فمن وفى بهذه الصفقة ونال جزاءه الأوفى فهو الفائز، وأما المغبون فهو من خسر في هذه الصفقة لانه لم يلتزم بتعهداته فيها وفرط في امتيازات واستحقاقات تلك المبايعة، وقال تعالى في وصفهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: ٧٧)، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (المغبون من باع جنة عليّة المرتبة بمعصية دنيّة)<sup>(١)</sup> وعنه (عليه السلام): (المغبون من شغل بالدنيا،

وفاته حظّه من الآخرة<sup>(١)</sup> وعنه (عليه السلام): (من باع نفسه بغير نعيم الجنة فقد ظلمها)<sup>(٢)</sup> لأن كل انسان سيبيع نفسه في النهاية بالموت لذا وصف المحتضر بأنه يوجد بنفسه والمطلوب استيفاء افضل الاثمان لها، وعنه (عليه السلام): (المغبون من غبن نفسه من الله)<sup>(٣)</sup> وعنه (عليه السلام): (المغبون من غبن دينه)<sup>(٤)</sup> وعنه (عليه السلام): (إنّ المغبون من غبن عُمره، وإنّ المغبوط من أنفذ عمره في طاعة ربّه)<sup>(٥)</sup>.

### الخاسر المغبون ومنزلته:

ويزداد فرح المؤمن الفائز وحزن الفاسق والكافر الخاسر المغبون حينما يُعرض عليهما منزلاهما في الجنة والنار، ففي الرواية (في مجمع البيان روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله)<sup>(٦)</sup> فمن فقد منزله في الجنة يعاني ألّمين، ألم العذاب في النار وألم الحسرة على منزله في الجنة وهو ينظر إليه. وقد أشارت بقية الآية المتقدمة والتي تليها إلى هذين الفريقين قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) غرر الحكم / ٢٠١٠.

(٢) غرر الحكم / ٩١٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢١٥/٧٧.

(٤) ميزان الحكمة: ٣٥٧/٦.

(٥) غرر الحكم / ٣٥٠٢.

(٦) تفسير نور الثقلين: ٣/ ٥٣٢.

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ (التغابن: ٩) -  
(١٠).

وقد تقدّم في تعريف الغبن أنّه البخس بضرب من الإخفاء، والخفاء هنا هو ظهور الجزاء يومئذٍ للجميع بشكل لم يتوقعوه ولم يتصوروه قال تعالى بالنسبة للفريق الأول: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ٧) وقال تعالى في الفريق الثاني: ﴿وَبَدَأَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: ٤٧) فهناك تبدو لهم الأمور مختلفة تماماً عن مقاييسهم في الدنيا ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ۖ أَتَّخَذْنَا هُم سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (ص: ٦٢-٦٤).

ويمكن أن يكون التغابن والبخس بين المضلّين وأتباعهم إذ غبن كل فريق الآخر، فالمضلّون أبعدوا أتباعهم عن الهدى والحق، والأتباع خدعوا قاداتهم بالطاعة والانقياد الأعمى فزادوهم عتوّاً واستكباراً، ويحكي القرآن الكريم في عدة مواضع جانباً من التنازع وتبادل الاتهامات بينهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٧-٤٨).

## من أشكال الغبن:

هذا الشكل من الغبن واضح، لكن شكلاً آخرًا منه يحتاج إلى التفات وتأمل، وهو أنّ نفس المؤمنين يشعرون بالغبن أيضاً لأنّهم سيكتشفون بعد ارتفاع حجاب الغفلة عن بصائرهم أنّهم فوتوا على أنفسهم فرصاً عظيمة للطاعة ولو استثمروها لحصلوا على درجة أعلى ومقاماً أرفع وقرب متزايد من رضوان الله تعالى وأوليائه العظام، فمن لم يتقدم باستمرار ويزيد من أعماله الصالحة فإنه مغبون ففي الحديث (من استوى يومه فهو مغبون)<sup>(١)</sup>، وفي الحديث (إنّ المغبون من حرم قيام الليل)<sup>(٢)</sup>، روى سالم قال: (دخلت على الصادق (عليه السلام) في رجب وقد بقيت منه أيام فلما نظر إليّ قال لي: يا سالم هل صمت في هذا الشهر شيئاً، قلت لا يا بن رسول الله (ﷺ) فقال لي لقد فاتك من الثواب ما لم يعلم مبلغه الا الله عز وجل)<sup>(٣)</sup>.

وقد فصلت عدة روايات هذا الثواب<sup>(٤)</sup>، منها ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن الامام الكاظم (عليه السلام) قال (رَجَبٌ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ فَمَنْ صَامَ يَوْماً مِنْ رَجَبٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ)<sup>(٥)</sup>. وترتقي درجات الشعور بالغبن إلى ما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله:

(١) بحار الأنوار: ١٧٣ / ٧١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٧ / ٨٣.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٣ / ٧، وفضائل الأشهر الثلاثة: ١٨ / ح ٣.

(٤) راجعها في كتابي: (مفاتيح الجنان) و(مصابيح الجنان).

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٩٢ / ٢.

(من أغبن ممّن باع الله سبحانه بغيره!) <sup>(١)</sup> وغير الله تعالى مطلق يشمل ما يرجوه عامة المؤمنين من نعيم الجنّة كالحوار العين ولحم الطير وفواكه ممّا يشتهون، فإذا اكتفوا بها عن ﴿وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة: ٧٢) فهم مغبونون.

وأشار السيد الشهيد الصدر الثاني (قُلَيْب) إلى هذا في إحدى رسائله التي نشرتها في كتاب (قناديل العارفين) قال فيها: ((وأما الندم فهو للمؤمن لا للكافر، إن الكافر سوف يلهو بآلامه المبرحة في النار وأما المؤمن فسيعض على شفته ندماً من أنّه قضى حياته الدنيا (وهي بيت الطاعة) يطفر كالقبرة ولم ينل إلا هذا المقدار من الثواب.

إنّ ما ناله مهما كان ضخماً وعظيماً فإنّه مثل قشة تجاه الدنيا وما فيها إزاء ما يرى من مقامات الأولياء وهذه المقامات تعرض عليه قليلاً ليعرف المؤمن ما فوّته على نفسه، ثمّ تختفي لقلّة تحمله في النظر إليها)) <sup>(٢)</sup>.

ومثاله التاجر الذي يملك مالاً كثيراً ونفوذاً واسعاً وفرصاً جيدة للاستثمار ولا يوجد أيّ عائق في طريقه لكنّه يضع أمواله في أمور بسيطة لا تناسب المأمول فإنّه يشعر بالخسارة والغبن، فرأس مال الإنسان في هذه الدنيا عمره أياماً وليالي بل ساعات ودقائق لأنّها كلها يمكن أن تستثمر بطاعة ترفع درجته يوم القيامة بدل قضائها في أحاديث فارغة أو لهو أو فضول أو أي عمل غير مثمر، ففي بعض الروايات أنّ ساعات عمر الإنسان تُعرض عليه على نحو صناديق بأشكال ثلاثة، ساعة الطاعة وساعة المعصية وساعة الفراغ فساعة الطاعة يفرح بها وساعة

(١) غرر الحكم / ٨٠٨٣.

(٢) قناديل العارفين: ٨٧.

المعصية يتعذَّب بها وساعة الفراغ يندم عليها؛ لأنه كان قادراً على أن يملأها حسنات ولم يفعل، في الحديث عن النبي (ﷺ) قال: (ما من ساعة تمرُّ بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حَسِرَ عليها يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

### تجارة مربحة:

إنَّ كل ثانية من حياة الإنسان يمكن أن يحولها إلى طاعة عظيمة كما لو شغلها بتسبيحة ليغرس الله تعالى له بكل تسبيحة عشرة أشجار في الجنة وفي رواية أخرى شجرة، ففي أمالي الصدوق بسنده عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (قال رسول الله (ﷺ): من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة، فقال رجل من قریش<sup>(٢)</sup>: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير! قال: نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها وذلك إن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣)<sup>(٣)</sup>، فقد أبتلي هذا المستكثر لعمله بحسد أمير المؤمنين (عليه السلام) وعصى الله تعالى ورسوله (ﷺ) بصرف أمر الخلافة عنه وقدّم هوى قریش على رضا الله تبارك وتعالى واشير اليه والى الذين معه في نفس السورة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

(١) كنز العمال: ١٨١٩.

(٢) لا يخفى على الفطن من هو بقرينة الآية التي استشهد بها النبي (ﷺ) في ذيل الرواية.

(٣) بحار الأنوار: ٩٣ / ١٦٨ ح ٣.

قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
إِسرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ (محمد: ٢٦).

إنّ هذه التسيحة وبعض اشكال الطاعة قد لا تستغرق أكثر من ثانية واحدة من وقت الإنسان لكنها يمكن ان يكون لها دور خطير في حسابه يوم القيامة عندما تتساوى حسنات الإنسان وسيئاته فيحتاج إلى حسنة واحدة لترجيح كفة الحسنات، فيتحرّس على ثوان يتمنى لو كان استثمارها في تسيحة من عمره الكثير الذي أضاعه من دون فائدة.

### الغبن فيما يخلفه المؤمن بعد موته:

وينبغي الالتفات إلى حالة أخرى من الغبن يشعر بها حتى من استثمار عمره في الطاعة لكنّه لم يستفد من العمر الإضافي الذي يُعطى له لاكتساب المزيد من الحسنات، وهو الذي أشير إليه في الحديث الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: علم يُنتفع به، صدقة جارية، ولد صالح يدعو له)<sup>(١)</sup> فيستطيع الإنسان بفضل الله تبارك وتعالى أن يستمر في اكتساب الحسنات حتى بعد وفاته بأن يصبح من أهل العلم الذين يخلفون أثراً نافعاً ككتاب مفيد او نظرية علمية او اجتماعية او اقتصادية او سياسية تنتفع بها الناس، و(صدقة جارية) بأن يؤسس مشروعاً مباركاً يستمر الانتفاع به كمسجد أو دور سكنية للفقراء أو طلبة العلم أو مدرسة دينية أو مركز صحيّ أو يجري شبكة ماء أو ينصب قنطرة للعبور أو يتكرّ جهازاً ينتفع به الناس أو يكتشف علاجاً لمرض يعانون منه ونحو ذلك.

(١) شرح أصول الكافي: ١٣٧/٦.

والمصدر الثالث هو الولد الصالح بأن يتزوج امرأة سالحة ويتعب نفسه في تربية أولاده ليكونوا صالحين ثم يؤسس كل منهم أسرة سالحة وهكذا يتكاثرون وفق متوالية هندسية على مرّ الأجيال أي أنّ الاثنين يصبحون أربعة والأربعة ستة عشر بل أكثر بفضل الله تبارك وتعالى، وإذا به بعد أجيال يكون من ذريته الآلاف من الصالحين وتستمر حسناته بالزيادة، وقد يكون من ذريته آلاف ينصرون الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في إقامة دولته المباركة.

ومن الغبن في استثمار العمل الإضافي بعد الموت ترك الوصية لما في ذلك من تفويت لأعمال سالحة كان يمكنه الحصول عليها، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (إن الله تعالى تصدّق عليكم عند وفاتكم بثلاث أموالكم، زيادة لكم في أعمالكم)، وفي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (من أوصى فلم يحف - من الحيف - ولم يضارّ كان كمن تصدق به في حياته)<sup>(١)</sup> وفي حديث آخر (إن الله تبارك وتعالى يقول: يا ابن آدم، جعلت لك نظرة عند موتك في ثلثك فلم تقدّم خيراً)<sup>(٢)</sup>.

فاغتنموا هذه الفرص بفضل الله تعالى ولطفه. والحمد لله رب العالمين.

(١) وسائل الشيعة: ٤٤٧/٢، أبواب الاحتضار وما يناسبه، باب ٣٠، ح ٢، ط. آل البيت (عليه السلام).

(٢) ميزان الحكمة: ٣٩٣/٩.

## القبس/٢١٣

### سورة التحريم: ﴿٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ﴿٦﴾).

### درس في الأسرة الصالحة:

الآية الشريفة تتضمن درساً في المسؤولية الأسرية والاجتماعية انطلاقاً من الحديث الشريف (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلمها وولده وهي مسؤولة عنهم، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)<sup>(١)</sup>.

وتبرز أهمية هذه المسؤولية اليوم بشكل واضح لامتلاك الفساد والضلال والانحراف وسائل وتقنيات وأدوات متطورة وفاعلة ومثيرة وجاذبة مما يوجب أكثر من ذي قبل الاهتمام بهذا الأمر الإلهي العظيم ووضع الآليات المناسبة للالتزام به.

(١) الأمل في تفسير القرآن: ٢٩/١٤ عن مجموعة ورام: ٦/١.

## في معنى مفردات الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب عام موجّه لجميع المؤمنين والمؤمنات.  
 ﴿قُوا﴾ فعل أمر من الوقاية، و(الوقاية حفظ الشيء عما يؤذيه ويضرّه، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ﴾ (الإنسان: ١١) وقال تعالى: ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الدخان: ٤٦)، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي (الحلال بين والحرام بين ومن رتّع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه)<sup>(١)</sup>.

﴿أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ وجوب وقاية النفس وحفظها من النار ثابت وواضح، والجديد في الآية أنها تقرن الأهل بالنفس في حفظهم من ارتكاب ما يوجب النار التي وصفتها الآية الشريفة بأوصاف مرعبة.

## الوجوب المؤكد بوقاية الأسرة:

وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه العناية الخاصة بالأهل في آيات كثيرة، كقوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم (ﷺ): ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: ١٣٢) وكان من أوائل ما نزل عليه (ﷺ) في بداية الدعوة الإسلامية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) وحكى عن إسماعيل صادق الوعد بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ (مريم: ٥٥). فهناك إذن مسؤولية

(١) المفردات للراغب: ٨٨١، مادة (وقى).

خاصة عن الأهل جمعها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ (التحريم: ٦).

ويشهد لهذا الوجوب المؤكد نصوص شريفة أخرى، كقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم) <sup>(١)</sup> كما يشهد له ورود تطبيقات لهذه المسؤولية الخاصة كتأديب الصبيان على الصلاة من عمر ست أو سبع سنين <sup>(٢)</sup>، أو ما ورد في أعمال ليلة القدر أن السيدة الزهراء (عليها السلام) كانت لا تدع أهلها ينامون في تلك الليلة وتعالجهم بقلّة الطعام وتتأهب لها من النهار أي كانت تأمرهم بالنوم نهاراً لئلا يغلب عليهم النعاس ليلاً، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوقظ أهله في تلك الليلة ويرشّ وجوه النيام بالماء <sup>(٣)</sup>.

### حدود المسؤولية في الأسرة:

ولا تعني هذه الدعوة التي أطلقتها الآية لوقاية الأهل من النار إكراههم على شيء، فقد شرحت حدود هذه المسؤولية روايات عديدة رواها الشيخ الكليني في الكافي <sup>(٤)</sup>:

(منها) عن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل:

(١) كنز العمال: ٥٣٩/٢، ح ٤٦٧٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨/٤، أبواب أعداد الفرائض، باب ٣.

(٣) مفاتيح الجنان عن دعائم الإسلام.

(٤) الكافي: ٦٢/٥، ح ١، ٢.

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قلتُ: كيف أقيهم؟ قال: تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عما نهى الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك).

(ومنها) عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ جلس رجلٌ من المسلمين يبكي، وقال: أنا عجزت عن نفسي وكلفت أهلي! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك).

### المطلوب من وعظ الأسرة:

فالمطلوب بمقتضى هذه الآية أن يحفظ الإنسان أهله من الوقوع في المعاصي وما يسخط الله تعالى بأن يرشدهم إلى الطاعة ويقربهم منها ويزينها لهم ويقنعهم بها ويكافئهم على فعلها، وبنفس الوقت يحذّرهم من المعصية ويردعهم عنها ويحميهم من الوقوع فيها.

وقد ذكر العلماء (قدس الله أرواحهم) في رسائلهم العملية أمثلة لهذه المسؤولية فقالوا: (يجب عليه إذا رأى من أهله التهاون في الواجبات، كالصلاة وأجزائها وشرائطها بأن لا يأتون بها على وجهها لعدم صحة القراءة والأذكار الواجبة منهم، أو أنهم لا يتوضأون وضوءاً صحيحاً، أو لا يطهرون أبدانهم ولباسهم من النجاسة على الوجه الصحيح، فيجب عليه تعليمهم وأمرهم ونهيهم على الترتيب المتقدم حتى يأتوا بها على وجهها الصحيح. وكذا الحال في بقية الواجبات، وكذلك في المعاملات وسائر الأحكام. وكذا إذا رأى منهم التهاون في

المحرمات كالغيبة والنميمة والعدوان بين بعضهم على بعض أو على غيرهم أو الزنا أو شرب الخمر أو السرقة، فإنه يجب عليه أن ينهاهم عن المنكر، حتى يرتدعوا عن المعصية<sup>(١)</sup>.

### مناشئ المسؤولية تجاه الأسرة:

ويمكن أن نفهم لهذه المسؤولية المؤكدة عدة ملاكات ومناشئ:-

١- إن هذا التأكيد وقرن الأهل بالنفس في الخير والشر يلاحظ أمراً فطرياً ونزعة لدى الإنسان فإنه يعتبر أهله كنفسه يصيبه ما يصيبهم، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) قال: (ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاكَ أتانِي، فعناني من أمركَ ما يعينني من أمر نفسي)<sup>(٢)</sup>. وقد حكى القرآن الكريم عن جملة من الأنبياء (عليهم السلام) هذه الغريزة الإنسانية، قال تعالى عن إبراهيم (عليه السلام): ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (البقرة: ١٢٤) وقال عن النبي نوح (عليه السلام): ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ (هود: ٤٥) وقال تعالى عن النبي لوط (عليه السلام): ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء: ١٦٦). ومن الأدعية التي وردت في القرآن الكريم ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ (الأحقاف: ٥).

(١) منهج الصالحين: ٢/ ٢٤٠، المسألة (٨٨)، منهاج الصالحين للسيد الحكيم (قدس سره): ١/ ٤٩٠، مسألة

(٨)، وللسيد الخوئي (قدس سره): ١/ ٣٥٣، مسألة (١٢٧٤).

(٢) نهج البلاغة: ٦١٦، قسم الرسائل والكتب، العدد ٣١.

والخلاصة أن الأمر بوقاية الأهل ينبّه الإنسان على أنك إن أردت الخير لأهلك وأن يلتحقوا بك في الجنة فعلمهم ما يتقون.

٢- إن للشخص سلطنة وقيمومة وولاية عرفية واجتماعية وشرعية خاصة على أهله وذويه مما تعطيه قوة في التأثير ومن غير المتوقع وجود موانع من ممارسة الفريضة كالتي يمكن أن تحصل مع الغير مثل حصول الضرر أو اختلال النظام ونحو ذلك، فتكون مسؤوليته أكبر لأن وجود المقتضي أقوى والمانع يكاد يكون مفقوداً.

٣- إن الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع فإذا صلحت هذه الأسرة وتلك وتلك صلح المجتمع، فصلاح المجتمع - الذي هو الهدف - يتحقق بقيام كل فرد بإصلاح أسرته، فكأن الشارع المقدس بتأكيده على إصلاح الأسرة يضع لنا المنهج والطريق لإصلاح المجتمع.

٤- إن الفرد مسؤول اجتماعياً عن أسرته فإذا صدر منهم ما يزين كان له، وإذا صدر منهم ما يشين كان عليه؛ لذلك ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) مخاطباً شيعته: (كونوا زيناً لنا ولا تكونوا علينا شيناً)<sup>(١)</sup> لأنهم محسوبون على الإمام (عليه السلام) يتسمون باسمه، فإصلاح الفرد لأسرته إنما هو عمل يقدمه لنفسه لأن الثناء يعود إليه فيما لو صلحوا وأحسنوا، كما أن الولد المنحرف يعير به ويعتذر عن إساءته.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣٨٣/١، ح ١٢٨ وفيه: (يا زيد خالفوا الناس بأخلاقهم، صلّوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنازتهم، وإن استطعتم أن تكونوا الأئمة والمؤذنين فافعلوا فإنكم إذا فعلتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفرية ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه، وإذا تركتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفرية فعل بجعفر ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه).

وقد ورد مثل هذا الوجه في تعليل اشتراط إذن ولي الأمر في الدخول بالباكر (في زواج المتعة) لأن عارها يرجع على أهلها قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (يكره لليبس على أهلها) وقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (كراهية اليبس على أهلها)<sup>(١)</sup>.

٥- إن عدم صلاح الأهل يضعف موقف الفرد عند قيامه بواجبه في ممارسة الأمر والنهي في المجتمع؛ لأنهم سيردّون عليه بأنه ليدأ أولاً بإصلاح أهله، مما يجعله في حرج من ممارسة هذه الفريضة العظيمة.

٦- إن الأسرة وحدة مصغرة من المجتمع وفيها تنوع نفسي وفكري وثقافي فتصلح أن تكون معسكراً تدريباً - كما يقال - لأداء الوظيفة في المجتمع فيستفيد العامل من كيفية التعاطي مع الأهل مع تنوعهم في التعاطي مع المجتمع وهو أحد وجوه فهم الحديث النبوي الشريف (خيركم خركم لأهله وأنا خيركم لأهله)<sup>(٢)</sup> وكذلك حديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه)<sup>(٣)</sup>.

### الأسرة الصالحة تبدأ باختيار الزوجة الصالحة:

وما أكثر مصاديق هذا الوجوب المؤكد اليوم كتوفير البيئة الصالحة لهم في البيت بدءاً من اختيار الزوجة المؤمنة العفيفة المتفقهة، وأن يكون لهم أسوة حسنة لأن رب الأسرة يكون المثل الأعلى لهم، وأن يجنبهم أصدقاء السوء، وأن يعلمهم ويرشدهم إلى كل ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، وأن لا يهمل أمر متابعتهم وتفقد شؤونهم بعذر الانشغال

(١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، أبواب المتعة، باب ١١.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ٢٠ / ١٧١ / ح ٨.

(٣) بحار الأنوار - المجلسي: ٣٢ / ٢.

بالكسب أو أي أمر آخر، وأن ينبههم إلى أوقات الصلاة برفع الأذان في البيت -وقد ورد فيه عن الإمام الرضا (عليه السلام): أنه مما يوجب كثرة الولد والشفاء من الأمراض<sup>(١)</sup> - ويصلي بهم جماعة إن استطاع، وأن يختار لهم أحمد السبل وأرشدتها في دراستهم وكسبهم وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك.

وهذه المسؤولية ممتدة طول الزمان لأن الإنسان لا يخلو من المسؤولية عن الأهل فهو إما أن يكون ابناً أو أباً أو زوجاً أو أخاً، وكذلك بالنسبة للمرأة، أما مسؤوليته عن أسرته الخاصة فلا بد من الالتفات إليها ورعايتها من قبل الزواج باختيار المرأة الصالحة المؤهلة لحفظ بيته وماله وتربية أولاده.

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ١١، ح ١٠.

## القبس/٢١٤

## سورة التحريم: ﴿١١﴾

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾

### موضوع القبس: امرأة فرعون أسوة حسنة للرجال والنساء

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم: ﴿١١﴾).

مثل يضربه الله تعالى ليتأسى به ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ جميعاً في جميع الأجيال رجالاً ونساءً وليس النساء فقط وليأخذوا منه الدروس والعبر وهكذا كل الأمثال والقصص فليست هي للتسلية ولا لقضاء أوقات الفراغ قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ﴿٢١﴾).

وهذا المثل شاهد على ما يمكن أن تصل إليه المرأة من مكانة سامية بحيث تصبح مثلاً وقدوة لجميع المؤمنين، انها امرأة فرعون التي ذكرت الروايات أن اسمها آسية.

وقدّم الله تعالى الآية التي تذكرها على الآية التي تذكر المثل الآخر وهي مريم ابنة عمران ربما لامتياز في آسية وهي انها عاشت في بيت كافر بل في قمة الكفر والتحدي لله تعالى حيث يزعم فرعون أنه ربهم الأعلى فاختيارها الايمان كان على خلاف العادة وفيه مشقة كبيرة ومجاهدة عظيمة اما مريم فقد ولدت في

بيئة صالحة وهم آل عمران الذين اصطفاهم الله تعالى وكانوا يقولون لمريم (عليها السلام) ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨) ونشأت برعاية نبي ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران: ٣٧) فسموها وكمالها يكون منسجماً مع تلك الظروف.

إن امرأة فرعون سجّلت موقفاً نادراً يصعب تصويره ويذهل المتأمل فيه فقد كانت زوجة فرعون مصر والسيدة الأولى في الإمبراطورية الفرعونية التي تنفذ كل رغباتها بلا مناقشة ولها مكانتها العظيمة في قلب فرعون وكانت تتقلب في حياة الترف والنعيم في قصور فرعون الباهرة مما تحلم به أي امرأة، وفي تلك الأبهة التي اشير الى بعض جوانبها في القرآن الكريم على لسان فرعون ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ (الزخرف: ٥١-٥٣). وكان أيضاً في قمة الطغيان والجبروت بحيث ينهار أمامه أشرس الأبطال الشجعان.

وإذا بهذه المرأة تنازل عن ذلك النعيم كله وتواجه ذلك الطغيان كله وتحول إلى صف المؤمنين بموسى (عليه السلام) لما سمعت دعوته إلى الله تبارك وتعالى ورأت آياته المعجزة في مواجهته مع السحرة وهي تعرف قبل ذلك صدق موسى (عليه السلام) واستقامته وسمو اخلاقه عندما تبنته طفلاً رضيعاً لما وضعت أمه في تابوت وألقته في اليم ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ (القصص: ٨) وطلبت من فرعون أن يبقى على حياته ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: ٩)، روى الشيخ الصدوق

في كتابه الخصال بسنده عن جابر بن عبد الله قال (قال رسول الله ﷺ) ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات انها كانت من بني إسرائيل وهي من خيار النساء من بنات الأنبياء وكانت أمًا للمؤمنين ترحمهم وتتصدق عليهم<sup>(٢)</sup>.

وقد أخفت إيمانها في البداية لكن هذا التغير في حياتها وسلوكها لم يكن ليخفى على زوجها اللصيق بها فرعون فعلم بذلك وطلب منها الرجوع إلى كفرها فرفضت ثم تعرضت للضغط الاجتماعي حيث ابتدأ بأمرها لتستعمل العاطفة لإرجاعها إلى دين فرعون، ثم حذروها من خسارتها لكل هذه الحياة المترفة في قصر فرعون ومن بطشه وعذابه فلم يفلحوا معها ثم وصفوها بالجنون واستهزؤا بقرارها وسخروا من هذا الانقلاب في حياتها وتفضيلها وعوداً غيبية مؤجلة يقدمها النبي موسى (عليه السلام) على نعيم عظيم حاضر تتمتع به لكنها أصرت على الإيمان فهددها فرعون بتعذيب غير مسبوق فلم تتراجع حتى نفذ تهديده ليثبت بذلك هزيمة الطواغيت والفراعنة بكل جبروتهم امام ثبات وإصرار امرأة على الحق.

وروى الطبرسي ان فرعون أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس ثم أمر أن يلقي عليها صخرة عظيمة وروى انها كانت ترمق السماء وتدعو بما ذكرته الآية الشريفة فمرّ عليها موسى (عليه السلام) فدعا لها أن يخفف عنها فلم تجد للعذاب أثراً وأوحى الله تعالى إليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في

(١) الخصال: ١٧٤، باب ٣/ ح ٢٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٦/١٣.

الجنة فضحكت، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون التي بها تضحك وهي في العذاب<sup>(١)</sup>.

فلا عجب أن تشي عليها الأحاديث الشريفة وتذكر درجتها في الجنة رابعة أربعة مع فضليات نساء الدنيا فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَام) وخديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران<sup>(٢)</sup>.

ان دعاءها الذي ذكرته يكشف عن كمال معرفتها وسمو ذاتها لخصت فيه هدفها في الحياة والغرض الذي ضحّت من أجله فقد بدأت بقولها (ربّ) للاعتراف بين يدي الله تعالى بالتربية الإلهية الخاصة التي حظيت بها وترجو أن يديمها ربها عليها وطلبت أن ينجيها الله تعالى من مكائد فرعون وضغوطه وفتنته وأن لا تكون جزءاً من نظامه الفاسد ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص: ٧٧) لأنها رافضة لكفره ولسلوكة الشيطاني ومن كل أعمال المجتمع الفرعوني الغارق بالكفر والمعاصي، وتوجهت بقلبها وعقلها إلى ما عند الله تبارك وتعالى وزهدت بنعيم فرعون الذي فيه ما تشتهيه الأنفس وتهفو إليه القلوب بما يفوق التصور لكنها ادركت ببصيرتها أنه متاع دنيوي زائل ولم تكتف بطلب بيت في الجنة الذي فيه عوض عما زهدت به في الدنيا بل أن يكون هذا البيت عند الله تعالى وهي ما ارادت بالعندية عندية المكان لأن الله تعالى لا يحده مكان وإنما ارادت عندية المكانة في جواره وقربه تعالى وفي ذلك كرامة معنوية فائقة.

(١) بحار الأنوار: ١٣ / ١٦٤-١٦٥.

(٢) الخصال: ٢٠٥-٢٠٦ / باب ٤ / ح ٢٣، ٢٢.

وهي بذلك تضرب مثلاً سامياً في قوة الإرادة والثبات على الإيمان والإخلاص في العبودية لله تعالى والتنزه عن زخارف الدنيا الوهمية حيث كانت ترى قصر فرعون والدنيا عموماً سجنًا تضيق نفسها بالحياة فيه فتطلعت إلى بيت تبنيه الإرادة الإلهية بدون واسطة حتى الملائكة.

إننا بحاجة ماسة إلى احياء ذكر هذه القمم لنزيد من همتنا في طاعة الله تعالى ومن مقاومتنا لكل مشاريع الفساد والانحلال والابتعاد عن الله تعالى مهما كانت الاغراءات أو الضغوط حتى تصبح هذه الظواهر المنحرفة التي تحصل هنا وهناك كالذي تقوم به بعض النساء في احتفالات الاعراس او على صفحات التواصل الاجتماعي او العلاقات المشبوهة ونحو ذلك تصبح ممقوتة ومثيرة للاشمئزاز فضلاً عن التأثير بها والانسحاق معها.

وهذه المرأة العظيمة حجة علينا جميعاً لأننا مهما تعرضنا لإغراءات الدنيا فهي دون ما كان متاحاً لامرأة فرعون وطوع ارادتها ومهما تعرضنا لضغوط وتهديدات فهي دون ما لاقت (رضوان الله تعالى عليها) وماتت تحت تعذيب ومع ذلك فقد صمدت وثبتت وازدادت سموً وإخلاصاً حتى لاقت ربها وماتت تحت التعذيب شهيدة راضية مرضية، فما هو عذرنا<sup>(١)</sup> وما هي مبرراتنا إن ضعفنا أو قصرنا.

(١) الكلمة القاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع إدارة ملتقى العلم والدين النسوي في النجف والمحافظات يوم الخميس ٨/جمادي ثاني/١٤٤٠هـ- الموافق ٢٠١٩/٢/١٤م.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

### موضوع القبس: مقومات إحسان العمل

من علامات قدرة الله تبارك وتعالى وهيمته وحكمته أنه ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ وقدّرهما على بني البشر وفي الحديث الشريف عن الإمام الباقر (عليه السلام): (الحياة والموت خلقان من خلق الله) <sup>(١)</sup>، وقد جرت سنة الفناء في سائر المخلوقات كما في قول الإمام الحسين (عليه السلام) (ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون) <sup>(٢)</sup>.

ثم تبين الآية الغرض من اخراجكم الى هذه الدنيا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ويختبركم بالأوامر والنواهي والترغيب والتخويف حتى تميزوا وتتفاضلوا أيكم أحسن عملاً وتظهر معادنكم وحقيقتكم، ليكافأ من أحسن بجنان الخلد ويحرم منها من اساء. فلا بد للإنسان أن يكون ملتفتاً للغرض الذي خُلِقَ من أجله، وأن يستحضر هذه الحقيقة دائماً ويجعلها ماثلة أمامه ولا يجعل للغفلة طريقاً إليه ولا للأهواء والمغريات وأسباب الضلال والانحراف سلطة عليه ويكرّس حياته لأفضل حرث وهو أحسن العمل.

(١) الكافي: ٢٥٩/٣ ح ٣٤.

(٢) الإرشاد: ج ٢ ص ٩٤.

ويظهر من الآية ان الموت والحياة لهما مدخلة في هذا الاختبار اما الحياة فلأنها ساحة العمل ووسيلة اكتساب الأعمال (الدنيا مزرعة الآخرة)<sup>(١)</sup> واما الموت فلأن الاعتقاد به وبما بعده من البعث والنشور والحساب والجزاء يمثل أقوى باعث على العمل ولولا الآخرة وطلب رضا الله تعالى لا يوجد حافز على الجهد والتضحية والبذل والعطاء والايثار والتمايز بهدف الوصول الى ما يستحقه من الجزاء.

والموت ليس فقط جزءاً من عملية الاختبار والابتلاء بل هو مظهر للحكمة وللرحمة أيضاً اذ لو لم يكتب الموت على الناس وبقيت الأجيال البشرية من لدن آدم (عليه السلام) إلى نهاية الدنيا كيف ستسهم الأرض، وكذا الحيوانات في الأرض أو الماء فانها ستغطي كل الأرض والماء بعدة طبقات، فكان الموت سبباً لحفظ التوازن البيئي والبشري.

والموت يأتي بعد الحياة لأنه إعدام الحياة ولا يقال للعدم السابق على الحياة أنه موت، وروي في ذلك قول الإمام الباقر (عليه السلام): (وخلق الحياة قبل الموت)<sup>(٢)</sup>. وإنما قدّم ذكر الموت على الحياة لوجوه محتملة:

- ١- لوجه بلاغي وهو ظاهر.
- ٢- لأن الحياة لا تعرف قيمتها الا بمقابلتها بالموت من باب الأمور تعرف بأضدادها، أو ان النعم لا تعرف الا اذا فقدت.
- ٣- لأن ظهور قدرة الله تعالى وعزته وهيمته وعظيم سلطانه تظهر بالموت

(١) عوالي اللئالي: ١/ ٢٦٧/ ٦٦.

(٢) الكافي: ٨/ ١٤٥.

أكثر من الحياة في أذهان البشر وورد في الدعاء (وقهر عباده بالموت والفناء)<sup>(١)</sup>.  
 ٤- ان تأخير الحياة لأنها هي ساحة التسابق والاختبار وتحصيل أحسن الأعمال فيناسبها أن تلتصق بقوله تعالى ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾.

ومن الواضح ان الآية تحدد ان الغرض المقصود من الاختبار والامتحان في هذه الدنيا هو الوصول الى حالة أحسن العمل، وان التفاضل بين الناس هو على أساس تقديم أحسن العمل، فبم يتحقق حسن العمل وما هي ضوابط ومعايير كونه أحسن العمل.

روى في مجمع البيان عن النبي (ﷺ) قوله في معنى ايكم أحسن عملاً قال (ﷺ): (أيكم أحسن عقلاً، ثم قال (ﷺ): اتمكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمر الله عز وجل به ونهى عنه نظراً، وإن كان أقلكم تطوعاً) فحسن العمل ليس بكثرة العبادات والطاعات وانما بنوعيتها وفي حديث آخر عنه (ﷺ) قال: (ايكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله)<sup>(٢)</sup>، وروى عنه (ﷺ) قوله (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فاذا فعلت ذلك فقد أحسنت)<sup>(٣)</sup>.

في مجمع البيان عن النبي (ﷺ) قال: (ان الرجل ليكون من اهل الجهاد ومن اهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وما يُجزى يوم القيامة الا على قدر عقله) وروى انس ابن مالك قال: (أثنى قومٌ على رجل عند

(١) بحار الأنوار: ٣٣٩ / ٨٤، مفاتيح الجنان: دعاء الصباح لأمر المؤمنين (عليه السلام).

(٢) تفسير نور الثقلين: ٢٣٠/٥ ح ١٣، ١٢.

(٣) كنز العمال: ١٦ / ٣ ح ٥٢٥٤.

رسول الله (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ) كيف عقله؟ قالوا: يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتساءلنا عن عقله؟ فقال: ان الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وانما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالوا الزلفى من ربهم على قدر عقولهم<sup>(١)</sup>.

روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير الآية قوله (ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة، ثم قال: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمذك عليه أحد الا الله عزوجل والنية أفضل من العمل، الا وإن النية هي العمل ثم تلا قوله عزوجل ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء: ٨٤) يعني على نيته<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من هذه الروايات: ان العمل لا يختص بأعمال الجوارح البدنية وإنما يشمل الأعمال القلبية أي ليس الظاهرية فقط وإنما الباطنية أيضاً بل لعلها الأهم. ويظهر أيضاً إن من الاعمال ما هو حسن وأحسن منه كما أن منه ما هو سيء وأساء، وان مقابل الأحسنين أعمالاً يوجد الأخسرون أعمالاً الذين ذكرتهم الآية الكريمة ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٧٣-١٧٤).

ولا تخلو الآية الكريمة من إشارة الى أن الهدف من خلق الحياة والوجود هو

(١) تفسير نور الثقلين: ٢٣١/٥ ح ٢٠، ٢١.

(٢) أصول الكافي: ١٣/٢ ح ٤.

تحصيل الأحسنين أعمالاً أما غيرهم فهم مخلوقون لأجلهم، وقد أثبتت الامتحانات التي مرّ بها النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) أنهم أحسن الخلق أعمالاً مما يصحح ما دل من الروايات<sup>(١)</sup> على أن الموجودات خلقت لأجلهم، لأن الغرض من الوجود تحقق بهن فيصح أنهم خلق من أجلهم.

وهذا الاختبار خاص بالبشر ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣) وورد في الرواية الصحيحة عن أبي جعفر (عليه السلام): (لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب)<sup>(٢)</sup>، أما الموجودات الأخرى فهي سائرة بدقة في حركتها لتؤدي أحسن العمل المطلوب منها.

وتصرّح الآيات الكريمة بأن احسان العمل له آثار مباركة عظيمة في الدنيا والآخرة كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥) وكفى بذلك شرفاً

---

(١) العلل، والعيون، والإكمال: عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما خلق الله عز وجل خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني - إلى أن قال: - يا علي، لولا نحن ما خلق آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض. الخبر. (عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢/ ص ٢٣٧)، قال الشيخ المفيد (رحمته الله) في المسائل السروية: والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات: بأن آدم (عليه السلام) رأي على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه: أنها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم "وأعلمه أن لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماء ولا أرضاً..." (المسائل السروية: ج ١/ ص ٣٩).

(٢) وسائل الشيعة: ٣٩/١ باب ٣/ ح ١.

وفضلاً، وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦) وقوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠) وقوله تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠) وقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٣٦) وقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ (النحل: ٣٠) وقوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الحج: ٣٧) وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩) وقوله تعالى ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: ٣٤) وغيرها كثير.

وفي ضوء ما تقدم فإن مقومات احسان العمل أمور:

١. ان يكون العمل حسناً محبوباً في نفسه ليصح التقرب إلى الله تعالى بإحسانه والا لا معنى للتقرب بفعل اذا كان قبيحاً لذا لا يصح أن يكون متعلق النذر واليمين أمراً مرجوحاً كمقاطعة الأرحام أو ظلم أحد حقه أو ترك واجب أو فعل محرم، ولا معنى للحديث عن تحسين فعل اذا لم يكن حسناً في نفسه فلا يصح إضفاء عناوين حسنة على أفعال مبتدعة من وضع الناس لم يثبت حسناتها ذاتها.

٢. اخلاص النية لله تبارك وتعالى وعدم شوبها بالرياء والعجب أو استهداف أغراض دنيوية كتحصيل الجاه والسمعة والثناء من الآخرين أو مكاسب مالية أو إرضاء لأشخاص آخرين ففي الحديث المشهور (إنما الاعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى)<sup>(١)</sup> وفي وصيته (ﷺ) لأبي ذر (يا أبا ذر، ليكون لك في كل شيء

(١) وسائل الشيعة: ٤٩/١، أبواب مقدمة العبادات، باب ٥/ح ١٠.

نية حتى في النوم والأكل<sup>(١)</sup> فالعاقِل لا يجعل حركته تذهب هدراً فضلاً عن حبط أعماله روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله)<sup>(٢)</sup>.

٣. ان يزيّن العمل بالورع والتقوى ليلبغ غايته، في الحديث (عن مفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فذكرنا الأعمال، فقلت أنا: ما أضعف عملي؟ فقال: مه استغفر الله، ثم قال لي: إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم مثل الرجل يطعم طعامه، ويفرق جيرانه، ويوطئ رحله، فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه)<sup>(٣)</sup> وفي كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) (اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)<sup>(٤)</sup> وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إذا أحسن المؤمن ضاعف الله عمله لكل حسنة سبعمائة فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله - الى ان قال - وكل عمل تعمله لله فليكن نقياً من الدنس)<sup>(٥)</sup>.

فمن علامات حسن العمل اقترانه بالتقوى وتنقيته من الشوائب التي ذكرناها، ومن كل ما يشين، ونذكر ضمن هذه النقطة الحديث الشريف عن الإمام الكاظم

(١) وسائل الشيعة: ٤٨/١ باب ٥/ ح ٨/٧.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠٠/١ باب ٢٣/ ح ٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٧/ ص ١٠٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤٠/ ص ٣٤٠.

(٥) الوسائل: ٦١/١ باب ٨/ ح ١٠.

(عَلَيْهِ) قال (ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى)<sup>(١)</sup> وهذا معنى يجري في كثير من القضايا كحسن التبعل مثلاً وغيره.

٤. دوام العمل بالمواظبة عليه ان أمكن كصلاة الليل او تلاوة القرآن وان لم يمكن كالحج مثلاً فإدامة آثاره وحبّه وعقد العزم على الاتيان به اذا تيسرت ظروفه عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ) قال: (أحب الأعمال الى الله عزوجل ما داوم العبد عليه وان قل)<sup>(٢)</sup> وسنفضّل الكلام في هذه النقطة في الملحق الآتي إن شاء الله تعالى.

٥. الفرق في العمل وعدم الافراط في تحميل النفس الى حد التمرد ورفض الطاعة فقد روي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ) قوله (لا تكرّهُوا الى أنفسكم العبادة)<sup>(٣)</sup> وقال (عَلَيْهِ) (اجتهدت في العبادة وأنا شاب فقال لي أبي: يا بني، دون ما اراك تصنع فان الله عزوجل اذا أحبّ عبداً رضي منه باليسير)<sup>(٤)</sup>.

٦. المبادرة الى فعل الخيرات وتقدم الحديث الشريف في تفسير ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي (اسرع في طاعة الله) وروي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ) قوله (إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره، فإن الله عز وجل ربما اطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة، فيقول: وعزتي وجلالي، لا أعذبك بعدها أبداً، وإذا هممت بسيئة فلا تعملها، فإنه ربما اطلع الله على العبد وهو على شيء من المعصية، فيقول:

(١) تحف العقول: ٤٠٩، الكافي: ٦٦٧/٢ ح ٩.

(٢) الوسائل: ٩٤/١ باب ٢١ ح ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ١٠٨/١ باب ٢٦ ح ١.

(٤) وسائل الشيعة: ١٠٨/١ باب ٢٦ ح ٢.

وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبدا<sup>(١)</sup>.

٧. التفقه في الدين ومعرفة كل ما يرتبط بالعمل من مقدمات وأجزاء وشرائط وما يسبب الخلل فيه لإتقانه والا فانه قد يأتي بما يفسد العمل من حيث لا يعلم، وتقدم في الحديث النبوي الشريف في تفسير ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (أحسنكم فيما أمر الله عز وجل به ونهى عنه نظراً).

٨. معرفة الأولويات وتقديم الأهم على المهم اذ قد يكون الفعل حسناً في نفسه الا انه ليس أحسن لأن الأولى ان يقوم بالطاعة الأخرى لأنها أهم عند تزامم الطاعتين وكمثال اذكر الرواية التالية: (أتى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رجلُ فقال إني رجل شاب نشيط وأحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك - فقال له النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ارجع فكن مع والدتك فوالذي بعثني بالحق لأنسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة<sup>(٢)</sup>). فقدّم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) برّ الوالدين والإحسان اليهما على الجهاد الذي هو من أعظم الطاعات.

وفي الرواية الصحيحة عن هشام بن المشنى قال (سأل رجل أبا عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن قول الله عز وجل ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: ١٤١) فقال: كان فلان بن فلان الأنصاري - سمّاه - وكان له حرث فكان اذا أخذ يتصدق به فيبقى هو وعياله بغير شيء، فجعل الله عز وجل ذلك سرفاً<sup>(٣)</sup>، فعندما تؤثر الصدقة على نفقة العيال والتوسعة عليهم لا تكون

(١) وسائل الشيعة: ١/١١٢/ح ٦.

(٢) الكافي: ١٠/٢/١٦٣.

(٣) وسائل الشيعة: ٩/٤٦، أبواب الصدقة، باب ٤٢/ح ٣.

أحسن.

٩. وعي حقيقة العمل واتيانه عن بصيرة والتفات للأغراض الحقيقية منه فيعرف ان الغرض من الصلاة اقامة ذكر الله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤) والانتهاه عن الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) كما في الحديث النبوي الشريف (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعداً)<sup>(١)</sup>.

وان الصوم لتقوية الإرادة والقدرة على الامتناع عن كل ما يسخط الله تعالى ولمواساة الفقراء والمحرومين والالتفات الى هذه الحالات في المجتمع ونحو ذلك.

ومن الشواهد الجليلة في هذا المجال موعظة الإمام السجاد (عليه السلام) للشبلي في بيان الاسرار المعنوية للحج وهي مطولة تجدها في كتاب مناسك الحج، منها قوله (عليه السلام) له: (حججت يا شبلي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال (عليه السلام): أنزلت الميقات وتجرّدت عن مخيط الثياب واغتسلت؟ قال: نعم، قال: فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا، قال: فحين تجرّدت عن مخيط ثيابك، نويت أنك تجرّدت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا، قال: فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا، قال: فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا

(١) ميزان الحكمة: ١٠٩/٥ ح ١٠٧٠٥.

اغتسلت<sup>(١)</sup> أي لم تحقق الغرض المطلوب من هذه المناسك.

١٠. ومن تمام إحسان العمل نشره وحث الآخرين عليه، قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١) والنعمة هنا لا تقتصر على النعم المادية كالأموال والبنين والجاه الاجتماعي وإنما تشمل النعم المعنوية وهي عموم<sup>(٢)</sup> الطاعات وأولها نعمة الإسلام والايمان، لذا فسرتها بعض الروايات بولاية أهل البيت (عليه السلام) لأنها أكمل مصاديقها وقد أمرت الآية بالتحديث بها وذلك بأن يدعو الناس إليها، لذا وعدت الأحاديث الشريفة بمضاعفة الثواب لمن ينشر الطاعة ويؤسس لها كحالة اجتماعية عامة ومنها الحديث النبوي المشهور (من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينتقص من أجورهم شيء)<sup>(٣)</sup>.

وورد في الروايات استحباب تحسين العبادة لئقتدى بالفاعل وللتغيب في اتباع الحق فقد روى عبيد بن زرارة قال (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) الرجل يدخل في الصلاة فيجود صلاته ويحسنها رجاء أن يستجّر - أي يجتذب - بعض من يراه إلى هواه، قال (عليه السلام): ليس هذا من الرياء)<sup>(٤)</sup>.

لهذا كله دلت الأحاديث الشريفة على ان الثواب الذي يعطى للعالم العارف

(١) وسائل الشيعة: ١٠/ ١٦٦ - ١٧٢.

(٢) راجع قيس قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٦٦) في تفسير من نور القرآن.

(٣) الكافي: ٩/٥.

(٤) وسائل الشيعة: ١/ ٧٦/ ١٦ ح ٣.

البصير على عمل قليل اضعاف ما يعطى العابد غير العارف بهذه الحقائق على العمل الكثير.

وقد حث الأحاديث الشريفة على الاحسان في كل شيء حتى على مستوى اختيار الاسم فجعلت من حقوق الولد على أبيه ان يحسن تسميته<sup>(١)</sup> اما الاحسان الى الآخرين فقد وردت فيه روايات لا تحصى كثرة وفي القرآن الكريم ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧) ويثبت ان من الثمرات المعجلة للإحسان الى الآخرين ان يُحسن اليك ومن وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) الى نوف البكالي (أحسن يُحسن اليك)<sup>(٢)</sup>.

وقد اختصر أمير المؤمنين (عليه السلام) الكلام في الاحسان بان جعل قيمة كل انسان بمقدار ما يحسنه من اعمال وصفات وملكات وبمقدار ما يُحسن للآخرين فقال (عليه السلام) (قيمة كل امرئ ما يحسنه)<sup>(٣)</sup> وهي كلمة مقتبسة من نور الآية الكريمة التي نحن بصددھا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ان نتيجة الامتحان تعطي قيمة اكبر لمن كان اكثر احساناً في عمله وقد قلت في بعض احاديثي السابقة (انه قد خطر على ذهني ذات مرة وأنا في الحضرة العلوية الشريفة هذا المعنى للحديث الشريف: (قيمة كل امرئ ما يحسنه)، أي أن درجته عند الله تبارك

(١) وسائل الشيعة: ١٥ / ١٢٢ احكام الأولاد / باب استحباب تسمية الولد باسم حسن ، وتغيير اسمه إن كان غير حسن ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٨٥/٧٧ عن امالي الصدوق: ١٧٤، المجلس ٣٧/ ح ٩.

(٣) نهج البلاغة: ج ٤، قصار الكلمات: ٨١، عيون أخبار الرضا: ٥٣/٢، الامالي: ٣٦٢، المجلس ١٦٨/ ح ٩.

وتعالى تكون بمقدار ما يحمل من الصفات الحسنى لله تبارك وتعالى، فكلمنا ازدادت رحمته كان أقرب إلى الله، لأن الرحيم من الأسماء الحسنى، وكلمنا ازداد عفوه كان أقرب، لأن العفو من الأسماء الحسنى، وهكذا كلما ازداد كرمه وحلمه وعلمه وحكمته وصبره على أن تكون هذه الصفات ذاتية له وراسخة فيه وليست طارئة عليه ولا تصدر منه بتكلف<sup>(١)</sup> وهو على أي حال تطبيق لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ (النحل: ٦٠).

ان المطلوب منا أن نتقدم خطوة أخرى بعد إحسان العمل وهي مكافأة المحسن على إحسانه فإنه من الإحسان لتشجيع الناس على الأعمال الحسنة وقد ضرب لنا الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أروع الأمثلة لهذا السلوك، روى الخطيب البغدادي في كتابه المعروف (تاريخ بغداد): عن الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) انه كان ماراً في حيطان (أي بساتين) المدينة فرأى عبداً أسوداً بيده رغيف خبز يأكل ويطعم كلبه لقمة إلى أن شاطره طعامه في الرغيف، ومثل الإمام الحسن (عليه السلام) في منزلته الاجتماعية لا يهتم بعبد أسود معه كلب يأكل، لكن الإمام الحسن (عليه السلام) توقف عنده (فقال له الإمام الحسن (عليه السلام) ما حملك على ما عملت وشاطرته؟ فقال الغلام: استحيت عيناى من عينه) وفي رواية أخرى ان العبد قال: أشعر بضيق في صدري وكآبة فأردت ان أدخل السرور على هذا الكلب لعل الله تعالى يرفع عني هذا الهم بذلك (فقال الإمام (عليه السلام): غلام من أنت؟ أي سألته عن مالكة (فقال: غلام أبان بن عثمان، فقال: والحائط؟ قال: لأبان بن عثمان. فقال له

الإمام الحسن (عليه السلام) أقسمتُ عليك لا برحت حتى أعود عليك. فمرَّ على صاحب الحائط فاشترى الحائط والغلام معاً، وجاء إلى الغلام، فقال (عليه السلام) يا غلام قد اشتريتكَ فقام الغلام قائماً) أي قام ليذهب مع مالكه الجديد وهو الإمام الحسن (عليه السلام) (وقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي. قال (عليه السلام): وقد اشتريت الحائط، وأنت حرٌّ لوجه الله، والحائط هبة مني إليك. فقال الغلام: يا مولاي قد وهبتُ الحائط للذي وهبني له)<sup>(١)</sup>.

أقول: لقد تعلَّم الغلام هذا الأدب من الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه، فقد روى أحدهم قال: (رأيت الحسن بن علي (عليه السلام) يأكل وبين يديه كلب، كلما أكل لقمة طرح للكلب مثلها، فقلت له: يا بن رسول الله، ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟ قال: دعه: إني لاستحيي من الله عز وجل أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا آكل ثم لا أطعمه)<sup>(٢)</sup>.

وهذه هي سيرة أهل البيت (عليهم السلام) فانهم لا يكتفون بفعل المعروف والإحسان إلى الآخرين بل كانوا يكافئون من يقوم بفعل حسن ويكرّمونه بأضعاف ما قام به ليشجّعوا على نشر المعروف وتحويله إلى ظاهرة وثقافة عامة لدى المجتمع.

وعلى اتباع أهل البيت (عليهم السلام) التأسّي بهذه الاخلاق الكريمة بأن يحسنوا في أعمالهم في سائر المواقع والمسؤوليات التي هم فيها. فالطالب يبذل وسعه في المطالعة والمذاكرة حتى يحقق نتائج راقية يدخل

(١) تاريخ بغداد: ٣٤/٦

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥٢ ح ٢٩ عن مقتل الحسين للخوارزمي: ١٠٢-١٠٣.

بها السرور على أهله ومحبيه ويكون فخراً وعزاً وطاقه هائلة لوطنه وشعبه.  
والموظف يتقن عمله ويؤدي واجبه في كل الوقت المطلوب منه ولا يقصّر  
في خدمة الناس واستيعابهم.

والمدرّس يبذل وسعه في تعليم الطلبة والارتقاء بمستواهم العلمي  
ومساعدتهم في كل ما يحتاجون.

والمهندس يراعي شروط المتانة والامان والجدوى عند تنفيذ المشاريع  
ويكون اميناً ونزيهاً، وهكذا.

هذا على مستوى احسان العمل، ويبقى علينا ان نتقدم خطوة أخرى بتشجيع  
المحسنين في أعمالهم ومكافئتهم، فالإمام الحسن (عليه السلام) مع هيئته وجلاله وسمو  
مقامه في المجتمع بحيث اذا جلس على الطريق انقطع المارة وتهيبوا المرور بين  
يديه، واذا مشى لم يبق أحدٌ ركباً ومع ذلك تراه توقّف عند العبد ولم يمرّ على  
هذا الموقف دون تكريم، اما الذين يثبطون العاملين ويستهنئون بهمتهم  
وحركتهم الدائبة فهؤلاء لم يستفيدوا من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ولم يتأسوا بهم.  
ويكفي المحسنين في عملهم وساماً يفتخرون به: محبة الله تعالى لهم  
﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

## ملحق: زيادة قيمة العمل بإهدائه

(الدنيا مزرعة الآخرة)<sup>(١)</sup> ومتجر أولياء الله تعالى وقد عبّر القرآن الكريم عن عمل الانسان في الدنيا وسعيه بالتجارة ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾ (الصف: ١٠) ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩) فمنها يكتسب الانسان نعيم الجنان في الآخرة وفيها يزرع الثمر المبارك الذي يحتاجه في حياته الباقية، وهذه الحقيقة تدفع الانسان الواعي البصير إلى السعي الحثيث لزيادة أرباحه ورصيد حسناته عند الله تبارك وتعالى.

ولزيادة الأرباح اسلوبان:

١- بأن يزيد من اعماله الصالحة ويستثمر كل ما يستطيع من اوقاته في اكتسابها وتجنب السيئات.

٢- زيادة قيمة اعماله حتى يحصل على أجر ازيد في نفس العمل.

وكلامنا في الأسلوب الثاني فمثلاً ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام): (صلاة متطيب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب)<sup>(٢)</sup> فمسحة من العطر تضاعف قيمة الصلاة سبعين مرة، وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) (ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما غير المتزوج)<sup>(٣)</sup> فالتزويج يضاعف قيمة الصلاة سبعين ضعفاً، وورد في الاحاديث ان الصلاة في المسجد تعدل كذا صلاة في غيره، والصلاة جماعة تعدل كذا، فإذا استطاع

(١) عوالي اللئالي: ٢٦٧/١ ح ٦٦.

(٢) الكافي: ٦/٥١١/٧.

(٣) بحار الأنوار: ٢١٩/١٠٣ ح ١٥.

المؤمن بالالتزام بهذه الأمور من مضاعفة صلاته الاف المرات بضرب هذه الاعداد ببعضها.

ومما يزيد قيمة العمل اهداؤه إلى الآخرين، فان الاجر على العمل يتضاعف بعدد من اهدي إليهم وليس يُقسَم ثوابه على من اهداه اليهم، لذا ورد الخبر عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: (قال أبو عبدالله (عليه السلام): لو أشركت ألفا في حجتك لكان لكل واحد حجة من غير ان تنقص حجتك شيئاً<sup>(١)</sup>) وقد تزيد قيمته اكثر اذا اهداه الى والديه لأنه يكتب له برّ بهما او إلى قرابته لأنه سيضاف إليه ثواب صلة الرحم ففي صحيحة هشام بن الحكم عن ابي عبدالله (عليه السلام) (في الرجل يشرك أباه وأخاه وقرابته في حجه؟ فقال: اذن يكتب لك حج مثل حجتهم وتزداد أجراً بما وصلت).

ومما ورد في ذلك (موثقة إسحاق بن عمار عن ابي إبراهيم (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يحج فيجعل حجته عمرته أو بعض طوافه لبعض اهله وهو عنه غائب ببلد آخر، قال: قلت: فينقض ذلك من أجره؟ قال: لا هي له ولصاحبه وله أجر سوى ذلك بما وصل، قلت: وهو ميت هل يدخل ذلك عليه؟ قال: نعم، حتى يكون مسخوطاً عليه فيغفر له، أو يكون مضيقاً عليه فيوسع عليه، قلت: فيعلم هو في مكانه أن عمل ذلك لحقه؟ قال: نعم، قلت: وإن كان ناصبياً ينفعه ذلك؟ قال: نعم، يخفف عنه).

(١) وما بعده، الكافي: ج ٢، من الفروع، كتاب الحج، باب: من يشرك قرابته وإخوته في حجته أو يصلهم بحجة، الأحاديث: ح ٤، ح ٦، ح ١٠.

وأفضل ما يكون الاهداء والنيابة عن المعصومين (عليه السلام) فقد روى عن موسى بن القاسم قال: (قلت لابي جعفر الثاني (عليه السلام): قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك فقل لي: إن الاوصياء لا يطاف عنهم، فقال لي بل طف ما أمكنك فإنه جائز. ثم قلت له بعد ذلك بثلاث سنين: إني كنت أستاذنتك في الطواف عنك وعن أبيك فأذنت لي في ذلك فطفت عنكما ما شاء الله ثم وقع في قلبي شيء فعملت به قال: وما هو؟ قلت: طفت يوما عن رسول الله (ﷺ) فقال: ثلاث مرات صلى الله على رسول الله، ثم اليوم الثاني عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم طفت اليوم الثالث عن الحسن (عليه السلام) والرابع عن الحسين (عليه السلام) والخامس عن علي ابن الحسين (عليه السلام) والسادس عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) واليوم السابع عن جعفر بن محمد (عليه السلام) واليوم الثامن عن أبيك موسى (عليه السلام) واليوم التاسع عن أبيك علي (عليه السلام) واليوم العاشر عنك يا سيدي وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم فقال: إذن والله تدين بالدين الذي لا يقبل من العباد غيره، قلت: وربما طفت عن أمك فاطمة (عليها السلام) وربما لم أطف، فقال: استكثر من هذا فإنه أفضل، ما أنت عامله إن شاء الله) <sup>(١)</sup>.

وتذكر بعض الروايات ثواباً عظيماً لمن يهدي الاعمال الصالحة للمعصومين (عليه السلام) بأن يكون معهم في درجتهم فقد روى علي بن المغيرة، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: قلت له: إن أبي سأل جدك، عن ختم القرآن في كل ليلة، فقال له جدك: كل ليلة، فقال له: في شهر رمضان، فقال له جدك: في شهر رمضان، فقال له أبي: عم ما استطعت.

(١) فروع الكافي: ج ٢، كتاب الحج، باب الطواف والحج عن الأئمة (عليهم السلام)، ح ٢.

فكان أبي يختمه أربعين ختمة في شهر رمضان، ثم ختمته بعد أبي فربما زدت وربما نقصت على قدر فراغي وشغلي ونشاطي وكسلي فإذا كان في يوم الفطر جعلت لرسول الله (ﷺ) ختمة ولعلي (عليه السلام) أخرى ولفاطمة (عليها السلام) أخرى، ثم للأئمة (عليهم السلام) حتى انتهيت إليك فصيرت لك واحدة منذ صرت في هذا الحال - أي منذ التفت إلى ولايتكم أو إلى هذه الفكرة - فأني شيء لي بذلك؟ قال: لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة، قلت: الله أكبر فلي بذلك؟! قال: نعم، ثلاث مرات<sup>(١)</sup>.

وهذا كله من فضل الله تعالى وكرمه، وفي الحديث القدسي (إنما خلقت الخلق ليربحوا عليّ ولم أخلقهم لأربح عليهم)<sup>(٢)</sup>.

وقد اشرت في بحثي الفقهي عندما تناولت مسألة (الفصل بين عمرتين)<sup>(٣)</sup> إلى ما يذهب إليه المشهور من عدم صحة العمرتين في شهر واحد وأنا أخالفهم في ذلك ولكن على المشهور فليس الاجراء الصحيح أن نعتمر مرة واحدة في شهر ما ثم ننتظر دخول الشهر الثاني للاعتمار مرة ثانية، بل الصحيح أن نكرر العمرة ولو في كل يوم مرة أو مرتين لكن بالنيابة عن المعصومين (عليهم السلام)، لأن ما اشترطوه من الفصل بين عمرتين بشهر واحد كاف عن نفسه اما النيابة فله أن يكررها.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦١٨.

(٢) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي: ج ١/ ص ٢٢٨.

(٣) راجع: فقه الخلاف: ٤٢٥/٧، ط. الثانية.

## القبس/٢١٦

سورة الملك: ﴿١٣﴾

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾

## موضوع القبس: دلالات معنى اسم اللطيف

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ﴿١٤﴾) ونريد في هذا القبس أن نستوحي دلالات ومعاني اسم اللطيف الذي هو من الأسماء الحسنی وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (الحج: ﴿١٣﴾) (لقمان: ﴿١٦﴾) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ﴿٣٤﴾) وغيرها كما سيأتي.

واللطيف صفة مشبهة على وزن فاعيل بمعنى اسم الفاعل مثل شهيد بمعنى شاهد للدلالة على ثبات الصفة ورسوخها، ومنشأ الاسم أكثر من وجه:

الأول: إن اللطيف هو كل ما خفي عن الحواس لدقته أو شفافيته أو أي سبب آخر بحيث تعجز عن إدراكه، والله تبارك وتعالى لطيف بهذا المعنى فهو لا تدركه الأبصار وبُعْد حتى عن خطرات الظنون، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ﴿١٣﴾).

الثاني: إنه تعالى لطيف لعلمه بالأشياء اللطيفة أي الدقيقة وإحاطته بها وفي الحديث عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال (إنما قلنا اللطيف، للخلق اللطيف، ولعلمه

بالشيء اللطيف<sup>(١)</sup> وهو المعنى الذي تساءلت عنه الآية محل البحث باستنكار ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤) وفي قوله تعالى ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ١٦) فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

الثالث: وهو سبحانه لطيف لأن تدابير عبادته لطيفة لا تتوصل إليها المخلوقات لذا عبر تعالى عن تدبيره للنبي يوسف (صلوات الله عليه) حين القاه اخوته في الجب واذا به يصبح عزيز مصر، قال تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ١٠٠) وأمثلة تدابير اللطيفة بخلقه تفوق حد الإحصاء في كل مخلوق فضلاً عن جميع خلقه كما في الشعر المنسوب<sup>(٢)</sup> لأمير المؤمنين (عليه السلام):

|                                         |                                            |
|-----------------------------------------|--------------------------------------------|
| وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ      | يَدِيقُ خَفَاءً عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ     |
| وَكَمْ يُسِرُّ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرِ | فَفَرَّجَ كَرْبَهُ الْقَلْبُ الشَّجِيَّ    |
| وَكَمْ أَمْرٍ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحاً     | وَتَأْتِيكَ الْمَسْرَةُ بِالْعَشِيِّ       |
| إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَحْوَالُ يَوْمًا | فَتَشُقُّ بِالوَاحِدِ الْفَرْدَ الْعَلِيِّ |
| تَوَسَّلْ بِالنَّبِيِّ فَكُلُّ خَطْبٍ   | يَهْوُونُ إِذَا تُوسِّلَ بِالنَّبِيِّ      |
| وَلَا تَجْزَعُ إِذَا مَا نَابَ خَطْبٌ   | فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ         |

واللطائف القرآنية هي المعاني الدقيقة التي لا يلتفت إليها الا ذو البصيرة النافذة.

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ج ١، ص ١٨٦.

(٢) اعيان الشيعة: ٣٠٦/٧، وفيه تخميس الأبيات للشاعر سليمان السراوي.

الرابع: وهو عظمت الاؤه لطيف لأنه رفيق بمخلوقاته من اللطف وهو الرفق، قال تعالى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (الشورى: ١٦) والله لطيف بعباده ومخلوقاته أي رفيق بهم فينعم عليهم بما ينفعهم وما فيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

ويمكن إرجاع بعض المعاني الى بعض، فالألطاف الإلهية بالعباد خفية لا يدركونها وهم يتنعمون فيها رفقا بهم فاللطف يتضمن معنيين: الدقة والرفق فيه معرفة دقيقة وإحاطة بالأشياء واتخاذ التدابير الرفيقة العطوفة الودودة اللينة، ولذا اقترن اسم اللطيف بالخبر في الآيات الكريمة، لأن تحقق اللطف يستلزم الإحاطة والخبرة. في حديث عن الإمام الرضا (عليه السلام) (واما الخير فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء)<sup>(١)</sup>.

الخامس: اللطف في المصطلح الكلامي هو كل ما يقرب من الطاعة ويبعد عن المعصية قال تعالى ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (الحجرات: ٧) من دون أن يصل إلى درجة الإلجاء وسلب الاختيار لمنافاته لاستحقاق الثواب والعقاب ولذا ورد في الرواية (لا جبر ولا تفويض، قلت: فماذا؟ قال: لطف من ربك بين ذلك)<sup>(٢)</sup>.

والطاف الله تبارك وتعالى على العبد لا تعد ولا تحصى، فخلقه وایجاده لطف إذ لو كان معدوماً لما استطاع أن يعمل ويتكامل، والهداية إلى الإيمان بالله ورسوله

(١) الكافي: ج ١، ص ١٢٢.

(٢) الكافي: ج ١/ ص ١٥٩.

(ﷺ) لطف، فلو لم يهدنا الله تبارك وتعالى لما عرفنا الطريق الموصل إلى الكمال ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣)، وأعضاء البدن لطف إذ لو لم يكن له بدن لما استطاع أن يقوم بالعبادات المقربة لله تبارك وتعالى، والمال لطف فبدونه لا يستطيع الإتيان بالكثير من القربات كالحج والزيارة والإنفاق في سبيل الله تعالى والتوسعة على العيال إلى ما لا يحصى من الألفاظ المقربة من الطاعة والمعينة عليها.

والأدعية والمناجاة وسائر الأذكار لطف، إذ بدونها لا نعرف ماذا نقول بين يدي الله تبارك وتعالى وما هو مقتضى آداب العبودية، بل لا نعلم هل يحق لنا أن نقف بين يديه تبارك وتعالى ونخاطبه، ونحن نرى أن إنساناً وضيعاً يتبوأ موقعاً لا قيمة له كوزير أو ملك، يوضع (أتكىت) لزيارته ومحادثته والآداب الواجب إتباعها بحضرته، بينما نخاطب رب العالمين متى شئنا وبما شئنا وبأي لغة نشاء (الحمد لله الذي ادعوه فيجيبني، وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني، والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي، واخلو به حيث شئت لسري بغير شفيع، فيقضي لي حاجتي) <sup>(١)</sup> وهو جل جلاله يقبل علينا ويسمع منا ويبادلنا من الحب والرحمة أكثر مما نعطي، وهذا اللطف عبّر عنه الإمام السجاد (عليه السلام) في مناجاة الذاكرين بقوله (ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذ لك لنا بدعائك وتنزيهك وتسيحك) <sup>(٢)</sup>.

ومن أعظم الألفاظ الإلهية البعثة النبوية الشريفة، فقد شكلت أعظم نقلة في

(١) مفاتيح الجنان: دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) الصحيفة السجادية: مناجاة الذاكرين (١٣).

تاريخ البشرية لأمة كانت متهرئة متخلفة يقتل بعضها بعضاً وتتفاخر بالموبقات والجرائم كوأد البنات والزنا وشرب الخمر وهي مشتتة متفرقة أحاطت بها دول قوية تنهشها، حوت جميع المنكرات والمفاسد، فأصبحت ببركة رسول الله (ﷺ) أمة متحضرة مدنية تقود العالم وتهدي البشرية وتقدم لبني الإنسان أعظم قانون يكفل السعادة والصلاح.

ولو لم يبعث النبي (ﷺ) وتُركت الجاهلية على حالها فإنه لا يعلم إلا الله تعالى ما صرنا إليه اليوم، إذا كان حال أولئك وهم أقرب عهداً للرسالات والديانات السماوية ولهم فرص أقل من الفساد هو ما ذكرناه فكيف إذا طال عليهم الأمد إلى اليوم مع تنوع أدوات الضلال والفساد والجريمة وتقنيه بالشكل المذهل الذي نعاصره.

فكل خير يصل إلينا وكل مكرمة يمكن أن توجد فينا بل كل وجودنا فنحن مدينون بفضله لرسول الله (ﷺ) وبركات بعثته الشريفة، التي هي من الألطاف الإلهية الخاصة لهذه الأجيال، فاعرفوا حق رسول الله (ﷺ) وأكثروا من الصلاة عليه والدعاء له.

وهنا نشير إلى نكتة وهي أن اسم (اللطيف) يستعمل في موارد اللطف، وهذا من بلاغة القرآن الكريم حيث تنتهي الآية بما يناسب مضمونها، فإذا كان المضمون حكماً صارماً وموقفاً حازماً (كآية القطع في السرقة - فإنها تنتهي بالعزير الحكيم، وإذا كان مورد رحمة ورفق انتهت بالرؤوف الرحيم، وعلى هذا جرت السنة الشريفة، فدققوا في الموارد التي ذكر فيها اسم (اللطيف) لتعرفوا موارد اللطف، وأوضحها في أذهانكم حديث الثقلين المشهور الذي ألزم الأمة بالتمسك

بالثقلين وفيه (وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)<sup>(١)</sup>.  
وأي لطف أعظم على الأمة بعد البعثة النبوية الشريفة من لطف الثقلين القرآن والإمامة؟

ونريد هنا أن نأخذ درسين من هذا الاسم المبارك (اللطيف):

١- إننا أمرنا بالتخلق بأخلاق الله تبارك وتعالى كما ورد في الحديث الشريف (تخلّقوا بأخلاق الله)<sup>(٢)</sup> وأن نتصف بأسمائه الحسنی، ومنها هذا الاسم المبارك (اللطيف) فإن الله تعالى لطيف بعباده يقربهم من الطاعة ويبعدهم عن المعصية، وخصوصاً أنتم أتباع أهل البيت (عليهم السلام) فإنكم تحظون باللطاف خاصة دون غيركم لذا تجدون هذا الحماس والاندفاع والتضحية في سبيل الله تعالى مما لا يوجد عند غيركم وهذا يكشف عن هذه اللطاف الخاصة.

فلا تتهيؤوا أي طاعة ولا تستصعبوها بل أقدموا عليها وأحبّوها وتشوقوا إليها فإنها مهما كانت صعبة كالحج - مثلاً - الذي يجمع مشاق كل العبادات وقد تكفل الله تعالى بتيسيره وتذليل صعوباته، وحتى لو لم تتمكنوا من أداء الطاعة فانووا فعلها فإنكم تؤجرون على النية، فقد ورد في الحديث الشريف: عن الإمامين الباقر أو الصادق (عليهما السلام) قال (ان الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته أن من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، ومن همّ بها وعملها كتبت عليه سيئة)<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧/ ص ١١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٨/ ص ١٢٩.

(٣) وسائل الشيعة: ٥١/١ أبواب مقدمة العبادات، باب ٦ ح ٦.

وكونوا ممن يلبي دعوة الله تعالى إلى الطاعة وامثلوا قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤) وقوله تعالى ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّלْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ (الشورى: ٤٧)، ولا تلتفتوا إلى الشيطان الذي يعمل عكس ذلك فيزيّن المعصية والفسوق ويصعب الأعمال الصالحة ويجعل أمام الإنسان الاحتمالات والتصورات السيئة ويشير في النفس المخاوف والقلق والمثبطات ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٨).

يضرب لنا الله تبارك وتعالى مثلاً من بني إسرائيل لأنحاء من التقاعس عن الطاعة بسبب تثبيط الشيطان، قال تعالى حاكياً عن نبيه الكريم موسى (عَلَيْهِ السَّلَام) وقومه ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ • قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢١-٢٢).

وهذا هو موقف أغلب الناس مع الأسف، لكن الأرض لا تخلو من المخلصين الصادقين ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣)، فالمطلوب منك الإقدام على الطاعة وعدم التهيب وامتلاك الحزم والشجاعة ودخول الباب كما في الآية وسيمنحكم الله تعالى القوة والغلبة وإنجاز العمل بفضله وكرمه.

فليكن كل منا لطيفاً بهذا المعنى أي يكون مقرباً للناس من الطاعة ويزينها لهم وييسرها لهم بتهئية اسبابها ويحثهم عليها، ويبعدهم عن المعصية ببيان مساوئها وأضرارها وأخطارها في الدنيا والآخرة ويوجد البدائل الصالحة عنها، كمن يؤذن لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة ودعوتهم اليها، أو يشوق الآخرين للحضور في المساجد والمشاركة في صلوات الجمعة والجماعة لما فيها من البركات والثواب أو يتبرع بأجور سيارة لنقل الزائرين الى مشاهد المعصومين (سلام الله عليهم) أو يدفع نفقات حاج أو معتمر أو يسعى لتزويج مؤمن ومؤمنة عفاً عن الحرام ولم يستطيعا الزواج ونحو ذلك.

وليعرف من يعمل على عكس ذلك بأنه يثبط عزائم المؤمنين عن فعل الطاعات أنه بعيد عن الله تعالى وغير متصف بأسمائه، كما نرى من بعض المتدينين صدور بعض التصرفات المنفرة عن الدين بحيث أن البعض ممن يراد هدايتهم ودعوتهم إلى الالتزام بالدين يجيب: لا حاجة لي بالدين وانظر إلى المتدينين كيف يفعلون كذا وكذا.

وهو مخطئ طبعاً بهذا التصور، ولكن هذه النتيجة قد حصلت على أي حال. وقد يحصل التنفير من الطاعة بأن نحمل الناس ما لا يطيقون ولا نراعي الدرجات متفاوتة لإيمانهم، فنثقل مثلاً على الشباب المهتدي حديثاً للإيمان بقائمة طويلة من المستحبات والمكروهات ونحاسبه على بعض تصرفاته التي يمكن غض النظر عنها فينفر منها ومن الواجبات أيضاً.

إن كلاً منكم يستطيع أن يحقق صفة (اللطيف) بحسب عنوانه وموقعه ومساحة تأثيره ولا أقل من نفسه أولاً ثم أسرته وأصدقائه وزملائه في العمل، ولعل الحوزة

العلمية تتمتع بأوسع الفرص من هذه الناحية، ومعها النخبة الواعية المتفقهة من أبناء المجتمع.

٢- إن هذا الاسم المبارك دليل على وجود الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) واستمرار المرجعية الدينية الرشيدة النائبة عنه (عليه السلام) بالنيابة العامة. وبيان ذلك: أن اللطف واجب على الله تعالى كما يقولون في كتب العقائد. بمعنى أنه سبحانه كتب على نفسه اللطف بعباده وقد ظهر هذا - فيما ظهر - في بعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب، ثم واصلها بنصب الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم). ولا ينقطع اللطف بانقطاع الوجود الظاهري للأئمة (عليهم السلام) لأن أسماء الله الحسنى ثابتة له تبارك وتعالى، فاللطف يقتضي وجود امتداد لهذه السلسلة المباركة من الأنبياء والأئمة متمثلاً بالعلماء السائرين على نهجهم والمقتفين لآثارهم ولا تخلوا الأرض منهم، ومرور أربعة عشر قرناً حافلة بالأساطين منهم شاهد على ذلك وسيبقى حتى ظهور القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف). وعلى هذا فمن يقول: أننا لا نحتاج إلى المرجعية وأننا مستغنون عن تقليد أحد من مراجع الدين لأن عندنا من الرسائل العملية ما يكفي، أو أنه لا توجد مرجعية نقلها، فمثل هذا بعيد عن الصواب ولو حللنا كلامه فإنه ينكر هذا اللطف الدائم من اللطيف الخبير والعاذ بالله.

سورة الملوك: ﴿٣٠﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾

من النعم الإلهية:

الماء من النعم الإلهية العظيمة التي يغفل عنها الإنسان لاعتياده لها وتوفرها حوله، فالماء قوام الوجود في هذه الدنيا وبه تقوم الحياة ولا يمكن للمخلوقات (بشراً وحيوانات ونباتات) أن تحيا إلا بالماء، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ﴿٣٠﴾) وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ (النور: ﴿٤٥﴾).

وقد ذكر الله تعالى الماء في القرآن الكريم في عشرات المواضع ليدرك الناس بهذه النعمة لعلهم يتعظون ويعودون إلى ربهم قال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ • أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ • لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ﴿٦٨-٧٠﴾) ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاثٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعِدِلُونَ﴾ (النمل: ﴿٦١﴾) ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ﴿٦٣﴾) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾

(السجدة: ٢٧).

**تأثير الماء في الناس:**

وتأثير الماء في حياة الإنسان واسع جداً فبه يتطهّرون ومنه يشربون وبه يهيئون طعامهم ويحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس ويستخرجون منه لحماً طرياً وحليّة يلبسونها، ويضفي جمالاً وسعادة على الحياة:

ثلاثة للناس ينفين الحزن الماء والخضراء والوجه الحسن

فلا بد أن نستذكر عظيم نعمة الله تعالى عند تناول الماء أو استعماله وتلذّذ بذكر الله وعظيم نعمته، في ثواب الأعمال عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من تلذّذ بالماء في الدنيا لذّذ الله (تعالى) من أشربة الجنّة)<sup>(١)</sup>.

**التأويل المعنوي للماء:**

ولا ينبغي أن نغفل عن التأويل المعنوي للماء في الآيات الكريمة والروايات الشريفة حيث يراد به العلم والمعرفة التي تُحيي قلب الإنسان وتُسعده في حياته المعنوية، ووجه المقاربة أنّ الماء قوام الحياة الطبيعية، والمعرفة قوام الحياة المعنوية فيتشابهان من جهة كونهما قوام الحياة في عالمهما المناسب لهما.

وكثيراً ما يعتمد القرآن الكريم أسلوب ضرب الأمثلة لتقريب الفكرة، والاحتجاج بالمثل للنقض على المنكرين والمشكّكين، كمن ينكر البعث يوم القيامة فيمثّل له بالأرض الميّتة التي نزل عليها الماء وإذا هي اهتزّت وربت وأنبّت

(١) سفينة البحار: ١٤٣/٨.

من كل زوج بهيج وهكذا، ومن ثمرات ضرب الأمثلة فتح الذهن أمام طلاب الكمالات للتأمل في المعارف الإلهية كقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ١٦٥) فتأويلها أن لا يئأس المذنبون الذين جفّت أرض قلوبهم ونفوسهم من حياة الإيمان والحبّ الإلهي من أن تشملهم الرحمة والطف الإلهي فينزل عليهم ماء المعرفة فينبت فيها الإيمان والحب ويزدهر القلب.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ (الرعد: ١٧) قال علي بن إبراهيم (أنزل الحق من السماء فاحتملته القلوب بأهوائها، ذو اليقين على قدر يقينه، وذو الشك على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً وجفاء، فالماء هو الحق، والأودية هي القلوب، والسيّل هو الهواء، والزبد هو الباطل)<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى ﴿وَالْوِاسْطَقَامُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦) ورد تفسير<sup>(٢)</sup> الطريقة بولاية أمير المؤمنين والمعصومين من بنيه (صلوات الله عليهم أجمعين) والماء بالإيمان والعلم الذي يتلقونه من الأئمة (عليه السلام).

وكالآية محل البحث فإن ظاهرها الامتنان على العباد والاحتجاج عليهم وتذكيرهم بهذه النعمة العظيمة التي تعرف قيمتها فيما لو تصوّروا فقدانها بأن

(١) سفينة البحار: ٢٠٠/٥.

(٢) سفينة البحار: ٤٨/١٠.

يصبح الماء غائراً في الأرض فلا يستطيعون تحصيله قال تعالى ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا﴾ (الكهف: ٤١) فلو لم تكن في الأرض خاصية عدم النفاذ لما بقي الماء على سطحها لتناولوه لأنه سيغور في أعماق الأرض، ولو لم تكن فيه خاصية النفاذ ل بقي جميع الماء على سطحها وغرقت اليابسة كلها، أما تأويلها فقد وردت فيه الرواية عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: (قُلْتُ: ما تأويل قول الله عز وجل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾؟ فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون) وفي رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ قال (عليه السلام) (يعني بعلم الإمام) <sup>(١)</sup>.

### الماء والأحكام الصحية والاجتماعية:

ولارتباط الماء بتفاصيل الشؤون الحياتية للإنسان فقد ورد الكثير من الروايات الشريفة لبيان أحكامه وآدابه، وأول ما تبدأ كتب الفقه بأحكام المياه لاشتراط العبادات بالطهارة، وتناولت آداب شرب الماء الصحية والاجتماعية والمعنوية، كما تعرضت لأحكام استعمال الماء والتصرف فيه باعتباره من المباحات العامة واشترك الناس فيه على حد سواء.

وقد نظم المرحوم الفقيه الشيخ محمد علي الأعسم آداب شرب الماء في أرجوزته في الأطعمة والأشربة، ومما قال (قدس سره):

سيد كل المائعات الماء ما عنه في جميعها غناء

(١) راجع الروايات ومصادرها في تفسير البرهان: ٣٤٨/٩ - ٣٥٠.

أما ترى الوحيَ إلى النبي  
ويكره الإكثار منه للنص<sup>(١)</sup>  
يروى به التوريث للكُبادِ  
ومن ينحيه ويشتهيه  
ثلاث مرات فيروى أنه  
وفي ابتداء هذه المرات  
وليجنب موضع كسر الآنية  
تشربه في الليل قاعداً لما  
ويندب الشرب لسؤر المؤمن

منه جعلنا كل شيء حيًّا  
وعبُّه أي شربه بلا مصِّ  
بالضمِّ أعني وجعُ الأكبادِ  
ويحمدُ الله تعالى فيه  
يوجب للمرء دخول الجنة<sup>(٢)</sup>  
جميعها بسمل لنص آتٍ  
وموضع العروة للكرامية  
رووه واشرب في النهار قائما  
وان أدير يُتبدأ بالأيمن

### من أفضل الآداب ذكر الإمام الحسين (عليه السلام):

ومن أفضل الآداب والسنن عند شرب الماء ذكر الإمام الحسين (عليه السلام)  
والسلام عليه وعلى الشهداء بين يديه، لأنَّ ذكر الماء يلازم ذكر الإمام الحسين (عليه السلام)، فلا يكاد يُذكر الماء أو يُشرب أو يُلتذَّب بارده إلا ويستحضر الموالى ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) لأنه حُرْم منه حتى قُتل ظمآنًا إلى جنب الفرات، لقد حرموا الإمام الحسين (عليه السلام) من الماء وهو الإمام المعصوم حجة الله في أرضه الذي

(١) في المحاسن عن الصادق (عليه السلام) قال: (إياكم والإكثار من الماء فإنه مادة لكل داء) وعن النبي (ﷺ) إذا أكل الدسم أقلَّ من شرب الماء ويقول: هو أمرأ لطعامي وفي طب الرضا (عليه السلام) (من أراد أن لا تؤذيه معدته فلا يشرب بين طعامه ماءً حتى يفرغ)، وفسَّر الطب الحديث ذلك بأن كثرة الماء ستخفف تركيز العصارات الهاضمة فلا تؤدي وظيفتها كما ينبغي.

(٢) روي (من شرب الماء فنحاه وهو يشتهيه فحمد الله يفعل ذلك ثلاثاً وجبت له الجنة) (سفينة البحار: ١٤٣: ٨).

خلق الكون لأجلهم، مضافاً إلى أنّ له (عليه السلام) أكثر من حق خاص وعام فيه <sup>(١)</sup>، فله حق خاص في نهر الفرات باعتباره مهر أمّه الزهراء (عليها السلام)، وله حق خاص على أهل الكوفة لأنّه سقاهاهم في صفّين وسقى طليعة الجيش بقيادة الحر في القادسية أثناء الطريق وله حق عام لشموله مع كل الناس باعتبار ما ورد في النبوي الشريف (ثلاثة أشياء الناس فيها شرع سواء الماء والكأ والنار) وله حق عام يشترك به مع كل ذي روح حتى الحيوان لوجوب حفظ حياته لذا لو دار استعمال الماء بين الوضوء وحفظ حياة حيوان محترم وجب صرفه في الثاني.

يقول الشيخ الشوشتری، مقابل هذه الحقوق الأربعة التي ضيّعها جعل الله تعالى له مياهاً أربعة، ماء الكوثر فقد كان شهداء كربلاء يسقون منها قبل خروجهم من الدنيا كما أخبر علي الأكبر، وماء الدموع فهو (عليه السلام) قتل العبرة ما ذكره مؤمن إلاّ استعبر، وماء الحيوان في الجنان يمزج بدموع الباكين ليزيد من عذوبته وفيه رواية معتبرة، وكل ماء بارد يشربه محبّه والموالون له فإنّ للحسين حق ذكره عند شربه.

### التأسيس لذكر الإمام الحسين (عليه السلام):

وقد أسّس الإمام السجاد (عليه السلام) هذه السنة الشريفة وحادثته في سوق القصّابين معروفة، وروى داود الرقي قال (كنت عند الصادق (عليه السلام) فشرّب ماء واغرورقت عيناه بالدموع فقال: ما أنغص ذكر الحسين (عليه السلام) للعيش إنني ما

(١) أشار إلى هذا المعنى المرحوم الشيخ جعفر الشوشتری في كتاب الخصائص الحسينية ١١٧ الموضوع الرابع.

شربتُ ماءً بارداً إلا وذكرت الحسين (عليه السلام)<sup>(١)</sup>، أي أنّ ذكر مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) نغص عليّ حياتي وأنا دائم الذكر لها.

### إذا شربتم عذب ماء فاذكروني:

وقد أحبّ الأئمة (عليهم السلام) من شيعتهم هذا التذكر ووعدوهم بالأجر العظيم فروي أن (من شرب الماء فذكر الحسين (عليه السلام) ولعن قاتله كتب له مائة ألف حسنة وحُطّ عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة وكأنما أعتق مائة ألف نسمة)<sup>(٢)</sup> وروي عن الصادق (عليه السلام) مثل ذلك بزيادة (وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد).

وإلى هذا المعنى أشار المرحوم الأعسم:

والماء إن تفرغ من الشراب له      صلّ على الحسين والعن قاتله  
تؤجر بآلافٍ عدادها مائة      من عتق مملوك وحط سيئة  
ودُرّج وحسنات ترفعُ      فهي إذا مئاتُ ألفٍ أربعُ  
وقد نقل عن الإمام الحسين (عليه السلام) قوله بلسان الحال: شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني<sup>(٣)</sup>.

### فضل الحسين (عليه السلام) على المسلمين:

أداءً لحقه (عليه السلام) على جميع البشرية بل المخلوقات وليس على شيعته فقط

(١) أمالي الصدوق: ١٢٢، كامل الزيارات: ١٠٦، وأورده عنهما في البحار: ٣٠٣/٤٤.

(٢) سفينة البحار: ١٤٤/٨.

(٣) الخصائص الحسينية: ١٨٣ عن مصباح الكفعمي: ٧٤١.

واستذكراً لموقفه العظيم وطلباً لما تقدم ذكره من الأجر الكبير، والمهم أن نلتفت إلى التأويل<sup>(١)</sup> المعنوي لهذا التذكر بأن نتذكر الحسين ونصلي ونسلم عليه كلما استفدنا من علوم أهل البيت (عليه السلام) ومعارفهم وكلما نفحتنا الألفاظ الإلهية وكلما عمر زمان كشهر رمضان أو شهري محرم وصفر، أو مكاناً كمسجد أو حسينية بذكر الله تعالى، لأن هذا الماء المعين العذب سقينا به ببركة أبي عبد الله (عليه السلام)، ولولا تضحياته لا ندرس الدين من ذلك الزمان وعاد الناس إلى أشنع من جاهليتهم الأولى، وشعر يزيد يشهد بذلك:

لعبت هاشم بالملك فلا      خبر جاء ولا وحي نزل<sup>(٢)</sup>  
لست من خندق إن لم أنتقم      من بني أحمد ما كان فعل  
قد قتلنا القرم من ساداتهم      وعدلناه بيد فاعتدل  
وهذا هو تأويل الآية التي جعلناها عنوان البحث فإن الدين لو اندرس بفعل  
آل أمية وأمثالهم من الطواغيت ولم ينهض الإمام الحسين (عليه السلام) فمن الذي كان  
سياًتينا بهذه العلوم والمعارف والأحكام الإلهية.

### تأويل الماء بالإمام المهدي (عليه السلام)

وجاء تأويلها أيضاً بالإمامة وولاية أهل البيت (عليه السلام) وعليه حُمل القول المشهور (ما عرض الماء على عاقل فأبى) أي ولاية أهل البيت (عليه السلام) فإنها لا يرفضها عاقل، وورد تفسير الآية في بعض الروايات بغيبة الإمام المهدي

(١) التفت إلى هذا المعنى المرحوم السيد عبد الحسين دستغيب في كتاب (سيد الشهداء عقائد ومفاهيم: ٣١).

(٢) مقاتل الطالبين - الأصفهاني: ٨٠

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال (نزلت في الإمام القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماوات والأرض، وحلال الله وحرامه؟ ثم قال: والله ما جاء تأويل هذه الآية ولا بد أن يجيء تأويلها)<sup>(١)</sup>.

وهكذا كل مصادر الهداية والصلاح إن فقدتموها فمن يأتيكم بها إلا الله تبارك وتعالى، فاشكروا الله تعالى ليديم بركتها عليكم.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة - الصدوق: ٣٥٤.

## القبس/٢١٨

## سورة القلم: ﴿٤﴾

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

## موضوع القبس: معجزة النبي (ﷺ) في أخلاقه

الآية تخاطب رسول الله (ﷺ) وهي تقع ضمن مجموعة من الآيات الكريمة التي يظهر منها أنها نزلت لتسلية (ﷺ) وتطيب خاطره والدفاع عن حريمه المقدس بعد الهجمات الشرسة التي شنّها عليه طواغيت قريش فرموه بكل وصف قبيح لتنفير الناس عنه (ﷺ) وعدم الاصغاء اليه ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۖ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (القلم: ٤-٥) فالآية تعطيه أعظم المقامات واختار الله تعالى من بينها أن يصفه بهذه الخصلة العظيمة.

وفي الآية تأكيد بعد تأكيد على أخلاقه العظيمة باستعمال (إِنَّ) و(اللام) ثم صيغة الوصف (عَلَىٰ خُلُقٍ) لتدل على رسوخها وثباتها فيه بحيث أنه (ﷺ) تمكن منها واستعلى عليها وجعلها تحت سلطته وتحولت الى ملكات وسجايا ذاتية، ولو قال (إِنَّ لَكَ خُلُقًا عَظِيمًا) فانها تدل على الاتصاف من دون إفادة الثبات وال لزوم إذ ان ما يملك يمكن ان يفقد.

وكيف لا يكون (ﷺ) على هذه الاخلاق العظيمة وقد صنعهُ ربه بيديه وأدّبهُ وربّاه وبلغ به الغاية فيما يريد قال (ﷺ) (أدبني ربّي فأحسن

تأديبي<sup>(١)</sup> حتى بلغ الكمال، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (إن الله تبارك وتعالى أدب نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما انتهى به الى ما أراد قال الله تعالى له ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) قال (إن الله عز وجل: أدب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى في ذلك ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩) فما ناله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان برحمة الله تعالى وحسن رعايته.

وعنوان حسن الخلق وان كان عاماً يشمل كل الاخلاق الحسنة والسجايا الكريمة، الا انه يطلق غالباً على جزء خاص منها وهو حسن المعاشرة مع الناس ومخالطتهم بالجميل والإحسان وبهذا اللحاظ يذكر حسن الخلق في عرض اخلاق حسنة أخرى رغم أنه يشملها بعنوانه العام كقول الإمام الصادق (عليه السلام) (اربع من كنّ فيه كمل ايمانه وإن كان من قرنه الى قدمه ذنباً لم ينقصه ذلك قال: وهو الصدق وأداء الأمانة والحياء وحسن الخلق)<sup>(٤)</sup> ولعل مراده (عليه السلام) بقوله (وإن كان) مجرد فرض او المبالغة والا فأن صاحب هذه الخصال لا يكون كذلك لأن كل صفة من الأربع كفيلة بمعالجة الكثير من الذنوب كما هو واضح.

(١) مجمع البيان: ٥٠/١٠، بحار الأنوار: ٣٨٢/٦٨.

(٢) أصول الكافي: ٢٦٦/١.

(٣) أصول الكافي: ٢٦٦/١.

(٤) أصول الكافي: ٩٩/٢، ح ٣ باب حسن الخلق.

وتشير الروايات أيضاً إلى ان هذا المعنى الذي ذكرناه لحسن الخلق هو المقصود في الآية فقد روى البرقي في بصائر الدرجات عنهم (عليه السلام) (إن الله أدب نبيه (ﷺ) فأحسن تأديبه فقال ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩) فلما كان ذلك انزل الله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، مع ان تلك الصفات داخله في حسن الخلق بمعناه الاعم فهي قسم منه وليست قسماً له الا ان يراد به المعنى الخاص.

وروي أيضاً ان رسول الله (ﷺ) كان يمشي ومعه بعض أصحابه فأدركه اعرابي فجذبه جذباً شديداً، وكان عليه بُرد نجراني غليظ الحاشية فأثرت الحاشية في عنقه (ﷺ) من شدة جذبه، ثم قال: يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك، فالتفت اليه رسول الله (ﷺ) فضحك ثم أمر باعطائه، ولما اكثرت قريش اذاه وضربه قال (ﷺ): اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد كون المراد من الآية هذه الاخلاق وليست كل الاخلاق الحسنة التي اتصف بها رسول الله (ﷺ) أنها الأنسب بسياق السورة التي تقارن بين سلوكه (ﷺ) وسلوك المشركين وعاقبة كل منهما، قال السيد الطباطبائي (قدس) ((والآية وإن كانت في نفسها تمدح حسن خلقه (ﷺ) وتعظمه غير أنها بالنظر الى خصوص السياق ناظرة الى اخلاقه الجميلة الاجتماعية المتعلقة بالمعاشرة

(١) بصائر الدرجات: ٣٧٨.

(٢) تنبيه الخواطر: ٩٩/١.

كالثبات على الحق والصبر على اذى الناس وجفاء اجلافهم والعفو والاعماض وسعة البذل والرفق والمداراة والتواضع وغير ذلك))<sup>(١)</sup>.

أقول: لكن هذا كله لا يقيد اطلاق وصف كل الاخلاق الحسنة التي اتصف بها رسول الله (ﷺ) بالعظيمة على جميع المستويات.

وبهذه الاخلاق كسب قلوب الناس فاهتدوا ببركتها الى الإسلام، في الرواية (كان رسول الله أجود الناس كفاً وأكرمهم عشرة، من خالطه فعرفه أحبه)<sup>(٢)</sup> وكان اعداؤه قبل اتباعه يعلمون عظمة اخلاق رسول الله (ﷺ)، لما فتح النبي (ﷺ) مكة ومكّنه الله تعالى من قريش التي اذاقته القتل والتجويع والتهجير والوان الأذى والعذاب (ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم، فأتى رسول الله (ﷺ) البيت وأخذ بعضادتي الباب ثم قال: لا إله إلا الله أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، ثم قال: ما تظنون؟ وما أنتم قائلون؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً و نظن خيراً، أخ كريم وابن عم، قال: فإنني أقول لكم كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢))<sup>(٣)</sup>.

وروى في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (نزل رسول الله (ﷺ) في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣٨٥/١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣١/١٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٣٢/٢١.

ينتظرون متى ينقطع السيل فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً فجاء  
 وشد على رسول الله (ﷺ) بالسيف، ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: ربي  
 وربك فنسفه جبرئيل (عليه السلام) عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول الله (ﷺ)  
 وأخذ السيف وجلس على صدره وقال: من ينجيك مني يا غورث فقال جودك  
 وكرمك يا محمد، فتركه فقام وهو يقول: والله لانت خير مني وأكرم<sup>(١)</sup> وقال  
 (ﷺ) (أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً وخيركم لأهله)<sup>(٢)</sup>.

وان أهم الشواهد على عظمة أخلاقه تلقيه هذا الثناء وهذه الشهادة من الخالق  
 العظيم دون ان يأخذه العجب او يشمخ بأنفه ويتعالى على الآخرين كأغلب الناس  
 حينما يحصلون على ثناء و تبجيل من كبرائهم، ولم تضطرب أفكاره أو يفقد  
 اتزان شخصيته او يملكه عارض غير حسن، فتلقى هذا التكريم من ربه العظيم  
 بنفس مطمئنة راضية متواضعة وقد حفلت كتب السيرة والحديث والتاريخ  
 بشواهد لا تحصى من أخلاقه العظيمة.

إن هذه الاخلاق السامية التي اتصف بها رسول الله (ﷺ) دليل واضح على  
 نبوته ورسالته وانه من صنع الله تعالى فحسب ولم يكن من صنع بيئته وظروفه أو  
 تلقيه من أحد لأن هذه المسميات كلها عاجزة عن انتاج مثل شخصية رسول الله  
 (ﷺ) حيث كانت تلك البيئة والمجتمعات غارقة في الانحراف والفساد والجهل  
 والضلال والتخلف.

(١) الكافي: ٨ / ١٢٧ ح ٩٧، بحار النوار: ٢٠ / ١٧٩ ح ٦.

(٢) عيون اخبار الرضا (عليه السلام): ٣٨ / ٢.

إن أخلاق النبي (ﷺ) معجزة يتحدى بها الله تعالى من يدعون من دونه  
ليأتوا بنسخة مماثلة له (ﷺ) وأنى لهم ذلك، فالآية نظير قوله تعالى ﴿هَذَا خَلْقُ  
اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ (لقمان: ١١) وهذه اخلاق الله تعالى  
المتماثلة بالنبي (ﷺ) فأروني ما هي أخلاق الذين من دونه؟ حيث لم يكونوا الا  
على النقيض من ذلك، وقد صوّرت السورة بعد أن بيّنت ما عليه رسول الله (ﷺ)  
من الخلق العظيم والأجر غير المنقطع الذين يتصدون لمقاومته بما يستحقون من  
الأوصاف القبيحة ونهت عن اتباعهم ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ<sup>(١)</sup> مَهِينٍ • هَمَّازٍ  
مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ • مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ • عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ • أَنْ كَانَ ذَا  
مَالٍ وَبَنِينَ • إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ • سَنَسِفُهُ عَلَى  
الْخُرُطُومِ﴾ (القلم: ١٧-١٦)، وهذه هي اوصاف المستهزئين برسول الله (ﷺ) أمس  
واليوم كما هو واضح.

ان اختيار هذه الصفة في رسول الله (ﷺ) لتمجيدها والثناء عليها دليل على  
ثقل الاخلاق الحسنة في الميزان الإلهي والأمر كذلك حتى انك لتجد الغرض  
المطلوب من العقائد والتشريعات هو الاتصاف بهذه الاخلاق الحسنة وتربية الأمة  
عليها وقد لخص الغرض في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ

---

(١) ﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف واليمين ﴿مَهِينٍ﴾ وضعيف الرأي حقير، ﴿هَمَّازٍ﴾ طعان في  
اعراض الناس عيَاب ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ يمشي بالنميمة بين الناس فيفرق بينهم ويلقي العداوة والبغضاء  
﴿مَنَّاعٍ﴾ ممسك عن الانفاق بخيل ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متجاوز الحدود ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الأثم والخطايا  
﴿عُتْلٍ﴾ غليظ جافي ﴿زَنِيمٍ﴾ دعي لا يُعرف أبوه.

ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿النحل: ٩٠﴾ وقد صرّح النبي (ﷺ) بهذا الغرض بقوله (ﷺ) (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)<sup>(١)</sup>، ولخصّ شريعة الإسلام بالأخلاق الحسنة قال (ﷺ) (الإسلام حسن الخلق)<sup>(٢)</sup>.

وكان (ﷺ) يحث اتباعه على حسن الخلق كأفضل ما يدعو اليه، روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله (قال رسول الله (ﷺ) ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق)<sup>(٣)</sup>، وقال (ﷺ) (إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم)<sup>(٤)</sup> ونقل الإمام الصادق (عليه السلام) قول جده رسول الله (ﷺ) (أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق) وقال (ﷺ) (ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ولا من الله عز وجل، قيل: يا رسول الله وما هنّ، قال (ﷺ): حلمٌ يرد به جهل الجاهل، وحسن خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن معاصي الله عز وجل)<sup>(٥)</sup>.

وقال (ﷺ) (أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً)<sup>(٦)</sup> وقال لزوجه ام سلمة (يا أم سلمة ان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة)<sup>(١)</sup>.

(١) مجمع البيان: ج ١٠/ ص ٥٠٠.

(٢) كنز العمال: ٥٢٢٥، ميزان الحكمة: ١٣٣/٣.

(٣) عيون أخبار الرضا: ٣٧/٢ ح ٩٨.

(٤) وما بعده أصول الكافي: ١٠٠/٢ ح ٤، ٦ باب حسن الخلق.

(٥) الخصال: ٧١/١.

(٦) تفسير البرهان: ح ٩، عن تفسير علي بن ابراهيم.

ان حسن الأخلاق ليس أمراً ترفيلاً أو كمالياً بل فيه قوام الحياة، قال (ﷺ) (لو يعلم العبد ما في حسن الخلق لعلم أنه محتاج أن يكون له خلق حسن) <sup>(٢)</sup> وبه سعادة الآخرة كما تقدم في الأحاديث الشريفة مع سعادة الدنيا، قال الإمام الصادق (لا عيش أهنأ من حسن الخلق) <sup>(٣)</sup> وتزداد الحاجة اليه لمن يكون في مواقع المسؤولية على اختلاف درجاتها كرب الأسرة ومدير الدائرة والمعلم في مدرسته والمربي والحاكم وغيرهم، روى الإمام الجواد (ﷺ) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (ﷺ) قال (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء فاني سمعت رسول الله يقول: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم) <sup>(٤)</sup> وفي أحاديث أخرى خاطب (ﷺ) بني هاشم بهذا.

وأساس الأخلاق الحسنة الإسلام والايمان بالله تعالى، ففي معاني الأخبار عن الإمام الباقر (ﷺ) في قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال: (هو الإسلام) <sup>(٥)</sup> وروي ان الخلق العظيم هو الدين العظيم <sup>(٦)</sup> فان النبي (ﷺ) جسّد القرآن وتعاليم الإسلام في حياته فكان أعظم الناس أخلاقاً حتى وصفه الإمام الصادق (ﷺ) قال (كان رسول الله (ﷺ) خلقه القرآن) <sup>(٧)</sup> وهذا يعني ان طريق

(١) الخصال: ٤٢/١.

(٢) بحار الأنوار: ١٠ / ٣٦٩ / ح ٢٠.

(٣) علل الشرائع: ٥٦٠ / ح ١، ميزان الحكمة: ١٣٤/٣.

(٤) عيون أخبار الرضا (ﷺ): ٥٣/٢، امالي الصدوق: ٣٦٢ / المجلسي ٦٨ ح ٩.

(٥) معاني الأخبار: ١٨٨/١.

(٦) تفسير البرهان: ٢٣٧/٣ ح ٢٥، عن تفسير علي بن ابراهيم.

(٧) تنبيه الخواطر: ٧٢، ميزان الحكمة: ١٣٥/٣.

الوصول الى المقامات الرفيعة يمرّ من خلال القرآن، وكل شخص يرتفع سهمه من الاخلاق كلما ازداد اتباعاً للقرآن والتزاماً بالإسلام مما يدل على أن الاخلاق التي يدعو اليها الإسلام ليست مقتصرة على الاخلاق الشخصية كالصدق والأمانة والشجاعة والكرم والإحسان ونحو ذلك وإنما يسعى إلى تأسيس منظومة اخلاقية اجتماعية متكاملة تؤسس لمنهج عادل قويم يحفظ كرامة الانسان ويكفل له سعادته.

ومن هنا يفتح الحديث عن الاخلاق الاجتماعية أي اخلاق الأمة كأمة غير اخلاق الأفراد كأفراد ويجعل الأمة كلها مسؤولة عنها ومن تلك الاخلاق، القيام بواجبات المواطنة وحفظ مصالح الدولة والشعب وحقوق الأقليات والتكافل والتعاون على البر والتقوى والعدالة الاجتماعية والتناصح والتواصي بالحق والصبر والمرابطة في ثغورها وتحصين الأمة فكرياً وعقائدياً وثقافياً وسلوكياً والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى رأس الاخلاق الاجتماعية إقامة الدين وحفظ وحدة الأمة وتماسكها ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣) وقد سمينا في بعض بحوثنا مثل هذه الواجبات بالواجبات الاجتماعية في مقابل مصطلح الوجوب الكفائي<sup>(١)</sup> الذي يردده المشهور وشرحنا الوجه في ذلك.

ان سلوك الانسان وعاداته وصفاته قابلة للإصلاح والتغيير فليس صحيحاً ما يقال من انها غير قابلة لذلك وإن الانسان مسير وفق ما جبلت عليه نفسه، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) ولذا تواترت الأنبياء

(١) راجع: فقه الخلاف: ١٥٩/٨، ط. الثانية.

والرسل لهداية الخلق وإصلاحهم، وألف العلماء كتباً في تهذيب الأخلاق وادعوها برامج في سلوك هذا الطريق، نقل العلامة المجلسي (قدس) عن الراوندي (رحمه الله) قال (الخلق السجية والطبيعة ثم يستعمل في العادات التي يتعوذها الانسان من خير أو شر، والخلق ما يوصف العبد بالقدرة عليه، ولذا يمدح ويُذم، ويدل على ذلك قوله (ﷺ) خالق الناس بخلق حسن)<sup>(١)</sup>.

إن مساحة الأخلاق الحسنة كلما اتسعت في المجتمع فانها تعود بالخير على الجميع، وقد يمين الله تعالى على اعدائه ببعض الاخلاق الحسنة لمصلحة اوليائه ففي الكافي ان الإمام الصادق (عليه السلام) قال (ان الله عزوجل أعار اعدائه اخلاقاً من اخلاق اوليائه لتعيش اولياؤه مع اعدائه في دولاتهم، وفي رواية أخرى: ولو لا ذلك لما تركو ولياً لله عزوجل الا قتلوه)<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ٧١ / ٣٧٤.

(٢) الكافي: الجزء ٢: ص ١٠١.

## تطبيق: معجزة لرسول الله (ﷺ) تبين أخلاقه

روى لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) معجزة تحققت لرسول الله (ﷺ) وكان شاهداً عليها، نذكرها تبركاً وإحياءاً لهذه المنقبة العظيمة ولناخذ منها بعض الخصائص النفسية والسمو الأخلاقي عند رسول الله (ﷺ)، فمن خطبة جليلة لأمير المؤمنين (عليه السلام) تسمى القاصعة قال (ولقد كنت معه (عليه السلام) لما أتاه الملاء من قريش، فقالوا له: (يا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ، وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ). فقال (ﷺ): (وما تسألون؟) قالوا: (تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك)، فقال (عليه السلام): (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟) قالوا: (نعم). قال: (فإني سأريكم ما تطلبون، وإنني لأعلم أنكم لا تفيؤون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزب الأحزاب) ثم قال (عليه السلام): (يا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُروِقِكِ حَتَّى تَقْفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ!).

فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دويٌّ شديدٌ، وقصفت كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله (ﷺ) مرفرفةً، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله (ﷺ)، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه (عليه السلام). فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً: (فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها)، فأمرها بذلك، فأقبل إليه

نصفها كأعجب إقبالٍ وأشدّه دويّا، فكادت تلتفُّ برَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فقالوا كُفِّرا وعُتُوًّا: (فمُر هذا النصفَ فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره (ﷺ) فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: (لا إله إلا الله، إني أولُّ مؤمن بك يا رَسُولَ اللَّهِ، وأولُّ مَنْ أَقْرَبُ بَأَنِّ الشَّجَرَةِ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِيقًا بِبُيُوتِكَ، وإجلالا لِكَلِمَتِكَ)، فقال القَوْمُ كُلُّهُمْ: (بل ساحرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟) (يعنوني) <sup>(١)</sup>.

### ما الذي نستفيدُه؟

أقول: مما نستفيدُه منها باختصار:

١- أدبه (ﷺ) مع ربه تبارك وتعالى ومعرفته التامة بالله تعالى وأنه لا يملك شيئاً أمام ربه وأنه (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فيقول للمشركين لما سألوه (فإن فعل الله لكم ذلك) ولم ينسب الفعل إلى نفسه فما من شيء يتحقق له إلا بلطف الله تعالى وفضله وكرمه، بعكس منطق الغافلين والبعيدين عن الله تعالى فإنهم يرون لأنفسهم شيئاً ويتجحون به ويتفاخرون ويطغون، كما حكى الله تعالى عن قارون قوله ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨)، ويأتي التعليق الإلهي ﴿وَلَمْ يَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨).

والقرآن الكريم حرص كثيراً على ترسيخ هذه المعرفة قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ٧) وقال تعالى في

فرعون وقومه ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء: ٥٧-٥٨) مع أن فرعون وجيوشه هم الذين قرروا الخروج لكن بتدبير إلهي.

٢- عدم اليأس من هداية الناس والدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والإرشاد والتوجيه، حتى لو كان يعلم بعناد الآخر وإصراره على الخطأ فيقول (ﷺ) (وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير) فلم يتوقف ويقول ما الفائدة من دعوة هؤلاء وهم لا يرجى منهم خير؟ لأن الأمور والنتائج والعواقب بيد مدبرها الحقيقي، وليس على الإنسان إلا السعي الحثيث بكل ما أتاه الله تعالى، وقد مدح الله تعالى قوماً وأنجاهم من العذاب لأنهم لم يتفاعدوا عن أداء وظائفهم الإلهية مع اليأس ظاهراً من هدايتهم، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٤).

٣- اعتماد لغة الحوار والحجة والبينة مع الآخر لتحقيق القناعة بالأمر وعدم إكراههم على شيء أو استخدام وسائل العنف والضغط لإجبارهم على اعتناق ما تعتقد به، ولو كنت تملك القوى الخارقة الغيبية، وهذا هو منطق القرآن الكريم ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦) ﴿إِثْنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠).

٤- قساوة القوم الذين بُعث لهم رسول الله (ﷺ) وهمجيتهم

بحيث يجري لهم كل هذه المعجزات وهم يصرون على عنادهم واستكبارهم قال تعالى فيهم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة: ٧٦) وقلوب أولئك كانت من القسوة بحيث لم تسمح بتفجير شيء من ينابيع المعرفة والإيمان فيها، فالجبل يتصدع من هذه الكلمات وهم موتى لا حراك فيهم ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ١٦) وإلى اليوم نرى مثل هؤلاء الأقوام الذين تقام عليهم الحجج والبيّنات الدامغة، ولا جواب لهم إلا العناد والاستكبار والمضي على منهجهم المنحرف ومثل هؤلاء أتذكركم عندما أصل إلى قوله تعالى ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

٥- شفقة رسول الله (ﷺ) التي لا حدود لها وقلبه الكبير بحيث لا يتوانى عن تقديم أي عمل ما دام يُرجى منه صلاح الآخرين وهدايتهم رحمةً بهم لانقاذهم مما هم فيه من الضلال حتى لو كانوا من أسوأ خلق الله تعالى وأقساهم فلم يكن (ﷺ) كأسلافه الصالحين من الأنبياء الذين دعوا على أقوامهم بالهلاك ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦) وغاية ما كان يقول (ﷺ) عندما يصيبوه بالأذى والتكذيب اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون<sup>(١)</sup> ولم يشه (ﷺ) عن المضي معهم

استهزأوهم وسخريتهم الواضحة من مطلبهم التعجيزي وكأنهم يتحكمون برسول الله (ﷺ) ويسفّهون دعوته.

إن وجود مثل هذا القلب الشفيق الرحيم خير حافز على العمل الإنساني النبيل، وهو موجود لدى الكثيرين ولكنه يحتاج إلى تحريك وإثارة والدليل على ذلك انه عندما يوجد انسان مبتلى أو مصاب بنكبة أو عاهة أو معدم يحتاج إلى مساعدة فإن الكثيرين تهتز قلوبهم بالشفقة والرحمة ويهبون لنجده ومساعدته، وهذا عمل عظيم ولكن أليس أهم منه أن نهّب لهداية الضال وفاقدا البصيرة والمنحرف والجاهل وهؤلاء أولى بالمساعدة والشفقة والرحمة، لأن حياتهم الباقية الدائمة في خطر، وهي أهم من حياتهم الدنيا.

٦- والدرس الأخير نأخذه من أمير المؤمنين (عليه السلام) بروايته لهذه المنقبة النبوية الشريفة، ولعلها كانت تضيع علينا لو لم ينقلها لنا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلنتعلم منه أن لا نبخل على الناس بما نتعلمه من مسألة شرعية أو موعظة أو نصيحة أو منقبة وفضيلة لأهل البيت (عليهم السلام) أو شيء من سيرتهم الصالحة وأخلاقهم السامية، أو كلمات العلماء ومواقفهم ومآثرهم وبذلك تنتشر الهداية ويزكو العلم والعمل الصالح وينمو ففي الحديث (العلم يزكو بالإنفاق)<sup>(١)</sup>.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾

### موضوع القبس: لا مساومة على المبادئ الحقّة

تكشف الآية الكريمة لرسول الله (ﷺ) عن خدعة يتخذها الكفار والمشركون والمكذّبون كأسلوب لمواجهة دعوته المباركة وإيقاف انتشارها وذلك من خلال سعيهم بكل رغبة واهتمام إلى أن تداهنهم<sup>(١)</sup> وتتوصل معهم إلى انصاف حلول - كما يقال - ترضيهم ويرضونك فتتنازل عن بعض مبادئك وتقبل بواقعهم الفاسد والمنحرف مقابل ان يعترفوا بك وبأهلك ورسالتك ويخفّفوا من ضغوطهم عليك أو يتقاسمون معك المنافع والامتيازات.

وقدّموا عروضاً في ذلك كقول عتبة بن ربيعة (يا ابن أخي إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به احلامهم، وعبت به ألهمهم ودينهم، وكفرت به من مضى من أبائهم فاسمع مني اعرض عليك اموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله (ﷺ): قل أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع

(١) أي تلاطفهم وتلاينهم وتكون مرناً معهم، مأخوذة من الدهن الذي يلين الاجسام الصلبة ويسهل حركتها ويستعمل لفظ المداينة في الحالة المذمومة.

امراً دونك، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا<sup>(١)</sup>.

وفي مرة أخرى جاءه مجموعة من اسياد قريش وطواغيتهم فقالوا (يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد، ولنشترك نحن وانت في امرنا كله، فإن كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظاً، وإن كان الذي أنت عليه أصح من الذي نحن عليه كنّا قد أخذنا منه حظاً)<sup>(٢)</sup>.

وكان الرد الحاسم على مثل هذه المحاولات في الآية السابقة عليها ﴿فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (القلم: ٨) وفي سورة الكافرون ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون: ١-٢) وفي آية أخرى ﴿وَأِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٥١) فقطع عليهم كل طرق المساومة والمداينة رغم انه (ﷺ) كان في اصعب الظروف واحلكها ويعاني الوان الألم والتضييق والتجويع والتعذيب والقتل.

ويتوجه أهل الباطل إلى هذا الأسلوب بعد أن يعجزوا عن القضاء على الحق وتطويقه ومنع الناس من اتباعه ويصبح امراً واقعاً لا يستطيعون الغاءه فيلجأون إلى المساومة وعقد الصفقات ويتخذون مختلف الوسائل لدفع أهل الحق للقبول بهذه المساومة فيهددونهم بالقتل والتجويع تارة أو يطمعونهم تارة أخرى أو يبشوا عليهم الاشاعات بإعلام قوي فاعل للضغط عليهم نفسياً وعزلهم اجتماعياً أو التأثير على

(١) سيرة ابن هشام: ٢٩٣/١.

(٢) الدر المنثور: ٦٥٥/٨.

اتباعهم لينفصّوا عنهم.

وهم بذلك يحصلون على أكثر من هدف:

١- كسب الشرعية لباطلهم من دون ان يخسروا شيئاً لان ما عندهم أوهام وضلالات ودنيا زائفة لذلك فانهم يريدون منك المداهنه اولاً لانهم مستعدون لكل شيء يحفظ مصالحهم كلها او بعضها.

٢- اسقاط أهل الحق في أعين اتباعهم حين يتنازلون عن بعض مبادئهم وإظهارهم منافقين يتغون الدنيا بالدين.

وفي هذا الادب الإلهي لنيه الكريم (ﷺ) درس لكل الرساليين وأصحاب المبادئ أن يحافظوا على استقامتهم ويتمسكوا بالحق الذي امنوا به وساروا عليه ولا ينساقوا وراء المطامع فيدخلوا في صفقات مع أهل الباطل، وهذا الامتحان جارٍ في كل حقول الحياة ولا يختص بمجال العقيدة فيشمل السياسة والتجارة والعمل الوظيفي وأصحاب المهن فكل هؤلاء وغيرهم يتعرضون لهذه المساومات وطلب المداهنه على حساب المبادئ والاستقامة وحتى الزعامات الدينية أيضاً فانهم معرضون لهذا الابتلاء وحينئذٍ يمتاز أهل المبادئ حقاً الذين لا يساومون عليها عن الذين يتاجرون بها ويضحون بها في اول مغنم يعرض عليهم، فيصبحون العوبة بيد أهل الباطل يسيرّونهم وفق اغراضهم، لا يفرّق في ذلك بين رجال الدين او غيرهم.

وكثيرة هي التحالفات التي وقعت بين الحكومات الجائرة والسلطة الدينية فالثاني يوفر للأول الغطاء الشرعي ويمكنه من رقاب الناس ويوفر الأول للثاني الامتيازات والمنافع والجاه والنفوذ ويقف الاثنان معاً متحدّين في مواجهة العاملين

الرساليين الذين يريدون ايقاظ الأمة وتوعيتها وتوجيهها نحو الصلاح، والمشكلة جارية حتى على صعيد الافراد فانهم يفضلون الزعامات الدينية التي تؤمن لهم هذه المصالح والامتيازات وتغض الطرف عن انحرافاتهم ومظالمهم مقابل ما يوصلون اليهم من أموال يفضلونهم على القيادات الرسالية التي تنصحهم وتبين لهم عيوبهم ولا تدهنهم ولا تجاملهم، وهذا انحراف كبير في ثقافة الأمة وتدينها لذا كان القرآن الكريم حازماً في رفض هذه الحالة ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ٦٣).

فالدرس الذي أخذناه من النبي (ﷺ) والقرآن الكريم أن لا مساومة على المبادئ الحقّة، وسار على هذا النهج الائمة المعصومون (عليهم السلام) لذا نجد في صفاتهم التي تسجلها نصوص زياراتهم (ولا لأحداً فيك مطمع).

## القبس/ ٢٢٠

سورة القلم: ﴿٤٤﴾

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

### موضوع القبس: سنة الاستدراج

من سنن الله تعالى الجارية في عباده سنة (الاستدراج) وهي من الابتلاءات العظيمة التي يمر بها الفرد والمجتمع، عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال (ما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له)<sup>(٢)</sup> وقد ذكرها القرآن الكريم صريحاً في موضعين بنفس النص في العنوان، لكن مضمونها ورد في آيات عديدة أخرى كما سيأتي ان شاء الله تعالى.

والاستدراج يعني الايقاع بالكافرين والمنافقين واهل المعاصي تدريجياً درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون فكلما ازدادوا في المعاصي ازدادت عليهم النعم والشواغل والملهيات عن التوبة والرجوع وهكذا حتى تنتهي مهلتهم و يتفاجأوا بالعذاب الذي يستحقونه وقد أحاط بهم وهم في ذروة سكر النعم واقبال الدنيا وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية قال (هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه، تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار عن ذلك الذنب)<sup>(٣)</sup>.

(١) وردت هذه الآية في سورة الأعراف: ١٨٢، أيضاً.

(٢) نهج البلاغة: قصار الكلمات: ١١٦.

(٣) الكافي: ٤٥٢/٢ ح. ٣.

والذي يوقعهم في هذا الاستدراج ما ذكرته الآية التالية في الموضعين ﴿وَأْمُلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم: ٤١) أي اغترارهم بالإمهال والاملاء وعدم التعجيل بالعقوبة على الذنوب ﴿وَأْمُلِ لَهُمْ﴾ الذي هو رحمة وشفقة وإعطاء مزيد من الفرص للتوبة وليس عجزاً أو ضعفاً لأن الاستعجال ديدن من يخاف الفوت فيتوهمون أنهم على خير ولم يصدر معهم شيء سيء وإنهم يستحقون من الله تعالى إغداق النعم كقول قارون لما نصحه قومه بالإحسان كما أحسن الله تعالى إليه وعدم البغي والفساد في الأرض ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨).

فيتملكهم الغرور وتستولي عليهم الغفلة حتى ينتهوا إلى سوء المصير، قال تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

وسنة الاستدراج تأتي بعد الموعظة والتذكير والإنذار والتحذير والتعريض لبعض الابتلاءات لعله يصحو من غفلته وينتبه إلى نفسه فاذا استمر بعصيانته وتمرده تواترت عليه النعم فينسى ربه وينسى نفسه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَواهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (الحشر: ١٩).

ومن الآيات الكريمة التي اشارت إلى هذه المراتب قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٥-٩٦) وفي كتاب

الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (ان الله اذا أراد بعبد خيراً فأذنّب ذنباً أتبعه بنعمة ويذكره الاستغفار، واذا أراد بعبد شراً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادي بها وهو قول الله عز وجل ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالنعم عند المعاصي)<sup>(١)</sup>.

في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إذا أحدث العبد ذنباً جدّد له نعمه فيدع الاستغفار، فهو الاستدراج)<sup>(٢)</sup>.

لذا يجب على الانسان العاقل أن يكون حذراً عندما تقبل النعم عليه قال امير المؤمنين (عليه السلام) (أولى الناس بالحدّز اسلمهم عن الغير)<sup>(٣)</sup> أي من لا يتعرض للابتلاءات والصعوبات ويرفل بالنعم وعنه (عليه السلام) (اذا رأيت ربك يتابع عليك النعم فاحذره)<sup>(٤)</sup> بأن لا تبطره النعمة ولا يشعر بالعجب والزهو وان يتعاهد نفسه بالمحاسبة دائماً ولا يغفل عن أداء حق الله تعالى عليه في هذه النعم، فنعمة الايمان عليها حقوق ونعمة العقل عليها حقوق، ونعمة الصحة والعافية عليها حقوق، ونعمة المال عليها حقوق، ونعمة الجاه والوالدين والأولاد والعلم وغيرها فيها حقوق لله تعالى (راجع رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام) لتعرف تفصيلاً عن هذه الحقوق).

روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله في نهج البلاغة (أنه من وسع

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٥٤٢/٢ ح ١.

(٢) مجمع البيان: ٣٤٠/١٠.

(٣) غرر الحكم: رقم ٣٠٩٦.

(٤) غرر الحكم: رقم ٤٠٨٢.

عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً<sup>(١)</sup>.

ومن كلماته (عليه السلام) (كم من مستدرج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما أبتلى الله أحداً بمثل الاملاء له)<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الحسين (عليه السلام) قال (الاستدراج من الله سبحانه أن يسبغ عليه النعم ويسلبه الشكر)<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه، وكم من مستدرج يستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء الناس عليه)<sup>(٤)</sup>.

وكان أصحاب الأئمة (عليهم السلام) واعين لهذه الحالة وحذرين منها فروي أن أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إني سألت الله تبارك وتعالى أن يرزقني مالاً فرزقني، وإني سألت الله تبارك وتعالى أن يرزقني ولداً فرزقني، وسألته أن يرزقني داراً فرزقني، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً؟ فقال (عليه السلام): (أما مع الحمد فلا)<sup>(٥)</sup> والمقصود بالحمد العملي منه وليس فقط القول، و(أقل ما يلزمك الله تعالى أن لا تستعينوا بنعمه على

(١) نهج البلاغة: قصار الكلمات رقم ٣٥٨، بحار الانوار: ٢٢٠/٥.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١١٦.

(٣) بحار الانوار: ١١٧/٧٨ ح ٧.

(٤) الكافي: ٤٥٢/٢ ح ٤.

(٥) أصول الكافي: ٩٧/٢ ح ١٧.

معاصيه<sup>(١)</sup>.

هذا هو المعنى المعروف للاستدراج، ويستشف من القرآن الكريم معنى آخر له، بأن يكون الاستدراج على شكل تزيين المعصية وتيسيرها بحيث تضعف مقاومة النفس عن تجنبها كما يحكي القرآن عن أصحاب السبت من اليهود، حيث حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت فكانت تأتي بكثرة يوم السبت وتكون في متناول أيديهم ولا يجدونها في غير السبت، فعملوا حيلة لحجزها يوم السبت ثم اصطياها يوم الأحد فقال تعالى ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢). فمسخوا قردة وخنازير<sup>(٢)</sup>.

ومثل الصيد الذي حرمه الله تعالى على المحرم وإذا به يكثر حولهم وهم محرمون لibtلي صبرهم على الالتزام بالحكم الشرعي للمحرم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ

(١) كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في غرر الحكم: رقم ٣٣٣٠.

(٢) ( في تفسير العسكري: عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قال: (ان الله تعالى مسخ هؤلاء لاصطياد السمك فكيف ترى عند الله عز وجل يكون حال من قتل أولاد رسول الله (ﷺ) وهتك حريمه، ان الله تعالى وان لم يمسخهم في الدنيا فان المعدل لهم من عذاب الآخرة اضعاف اضعاف هذا المسخ) (تفسير البرهان: ١٢٩/٤).

## عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿المائدة:٢٤﴾.

فالمستفاد من الآية عدة دروس:

١- عدم الاغترار بالنعم والأمن من العقوبة لأن ذلك امهالاً وليس اهمالاً وأن العاقبة السيئة قد تحل به في أي لحظة في الدنيا والآخرة، مثلاً الزعماء السياسيون عليهم أن لا تغرهم الرئاسة والقدرة وكثرة الاتباع وضجيجهم وتداول وسائل الاعلام فتتضخم الانا عند احدهم ويتصور أنه قادر على كل شيء وأنه بمتناول يده أن يفعل ما يشاء فيتخلى عن مبادئه وينسى واجباته تجاه شعبه وبلده وينحرف مبتعداً عن جادة الصواب ويصمّ اذنه عن سماع النصيحة ويغفل عن قدرة الله عليه، أو أصحاب الأموال يرون أموالهم تتكاثر بسرعة وتأتيهم من حيث لا يحتسبون، فيغتروا بها ويغضوا الطرف عن مصادرها وإخراج الحقوق الشرعية منها ويبقون في هذا الوهم حتى تذهب لذتها وتبقى تبعثها.

٢- أن لا ننساق وراء شهوات النفس واطماعها فنسقط في المعصية مهما بدت لذيذة وسهلة ومغرية وفي متناول اليد كالأموال الطائلة التي يبذلها الفاسدون من أجل تمرير باطلهم أو السكوت عنه، فيغتر بها ضعاف النفوس ويسقطون في فخوخهم أو كالعلاقات الجنسية التي تبذل بيسر للشباب في المجتمعات المختلطة أو على وسائل التواصل الاجتماعي والتقنيات الحديثة أو أي مجال آخر، فالحذر من كل ذلك لأن القدم اذا زلّت فأن الانحراف يزداد بمرور الوقت وتصبح العودة إلى جادة الصواب.

٣- الثقة بوعده الله تعالى وأنه لا يضيع أجر المحسنين ولا يسكت عن ظلم أو جور وأنه ينصر عباده المؤمنين ولكننا لا نستطيع توقيت ذلك وما يفعله الله تعالى هو الخير.

٤- أن نعي هذه السنة الإلهية (الاستدراج) حتى لا يتحول الاغترار بها إلى ظاهرة خطيرة حينما ينخدع المجتمع ببعض المظاهر الجذابة المبهرة التي يتنعم بها المستدرجون فيتمنى أن يكون مثلهم ولا يعلم العاقبة الوخيمة التي تنتظرهم كما ابتلي الكثير من أبناء المجتمع اليوم بهوس السلطة والصراع على المغانم ونيل الثراء الفاحش بسرعة، قال تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۖ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُبْسِ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران: ١٩٦-١٩٧).

ويحكي القرآن الكريم حادثة قارون من بني إسرائيل التحذير من هذه الظاهرة الخطيرة حيث آتاه الله تعالى أموالاً عظيمة ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ فنصحه قومه فلم يستجب ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨) أي ان هذه النعم حصلت عليها بقدراتي وامكانياتي الشخصية وهنا ترد الإشارة الى هذه الظاهرة ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وقال الذين أوتوا العلم ويملككم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ • وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانُّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ • تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦-٨٢﴾، فلنحذر من السقوط في مقولة (ياليت لنا مثل ما اوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) لان عاقبته الندم الكبير حيث لا ينفع الندم.

ويقدم السيد الطباطبائي (قُلَيْبٌ) تحليلاً لاستدراج هؤلاء ووقوعهم في العذاب الدنيوي قبل الآخرة، قال (قُلَيْبٌ) ((«ومن وجه آخر» لما انقطع هؤلاء عن ذكر ربهم وكذبوا بآياته سُلِبُوا اطمئنان القلوب وأمنها للتشبهت بذيل الأسباب التي من دون الله، وعذبوا باضطراب النفوس وقلق القلوب وقصور الأسباب وتراكم النوائب، وهم يظنون انها الحياة ناسين معنى حقيقة الحياة السعيدة فلا يزالون يستريدون من مهلكات زخارف الدنيا فيزدادون عذاباً وهم يحسبونه زيادة في النعمة حتى يردوا عذاب الآخرة وهو أمر وأدهى، فهم يستدرجون في العذاب من لدن تكذيبهم بآيات ربهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون))<sup>(١)</sup>.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣٥١/٨ تفسير الآية ١٨٢ من سورة الأعراف.

## ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾

### موضوع القبس: في من رفض التسليم بحديث الغدير

قال الله تبارك وتعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۖ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (المعارج: ١-٣).

﴿سَأَلَ﴾ بمعنى طلب واستدعى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣) أي لا أطلب، وقوله تعالى ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمَنِينَ﴾ (الدخان: ٥٥) كقولنا (سألته شيئاً) أي طلبته منه، وهو يأخذ مفعولين، وليس بمعنى استفهم واستفسر، لأن الثاني يتعدى ب (عن)<sup>(١)</sup>.

فيكون المعنى دعا داع بعذاب على نفسه مستعجلاً إياه، وهذا الطلب منهم كان سخرية واستهزاءً وتكديباً، ومحاولة لإظهار عجز رسول الله (ﷺ) عن تنفيذ

(١) ذكرت بعض التفاسير أن الباء هنا بمعنى (عن) كما في قوله تعالى ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩) وذكروا قول علقمة شاهداً:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خير بادواء النساء طيب

فيكون السؤال بمعنى الاستفهام، ويمكن أن يفيد معنى الاستعجال كما في قوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ (الحج: ٥٧)، وقوله تعالى ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ (الشورى: ٥٨)، ومن بلاغة القرآن تعدية (سأل) بالباء ليصلح الفعل بمعنى الاستفهام والدعاء والاستعجال (التحرير والتنوير: ١٤٤/٢٩).

ما يتوعدهم به مستغلين حلم الله تعالى وطول اناته في غضبه، وإعطائه أطول فرصة للمذنبين كي يتوبوا ويثوبوا إلى رشدهم رحمة بهم، وتعظيماً لمقام رسول الله (ﷺ) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣).

وقد تكرر منهم هذا الاستدعاء للعذاب الإلهي كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (ص: ١٦) وقوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: ٤٨)، وقوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ (الحج: ٤٧) وقوله تعالى ﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الشعراء: ٢٠٤) وكانوا يوهمون أنفسهم وأتباعهم بأنهم على الحق وان ما نقله النبي (ﷺ) من وحي السماء هو باطل - والعياذ بالله - ويتباهلون على ذلك ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ارْتُنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢).

فتؤكد الآية الكريمة ان العذاب واقع صدقاً وحقاً كقوله تعالى في آية أخرى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ (الطور: ٧-٨) لكن دار الحساب والجزاء هي الآخرة.

كما يظهر من باقي الآيات الكريمة ان هذا العذاب مختص بالكافرين لا يدفعه عنهم دافع ولا ينفعهم شيء ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨) أما المؤمنون فيمكن أن يدفع العذاب عنهم بتوبة أو شفاعاة أو عمل صالح يكفر به عن سيئاتهم ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿النساء: ٣١﴾، وهذا العذاب يكون بأمر الله تبارك وتعالى.

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ وهو موضع العروج أي الصعود مرتبة بعد مرتبة كما في المجمع والمعارج جمع مَعْرَج والظاهر انها معارج الملائكة أي مقامات الملائكة التي يتوجهون منها الى قربه تعالى، وهي درجات متصاعدة يعرج اليها الملائكة عند رجوعهم إلى الله سبحانه على ما يفسره قوله بعد ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤) ﴿٤﴾ فله سبحانه معارج الملكوت ومقاماتها المترتبة علواً وشرفاً بحسب قربهم من الله سبحانه وليست بمقامات وهمية واعتبارية <sup>(١)</sup>.

وقيل انها المقامات المعنوية التي يرتقي فيها السالكون للقرب من الله تعالى أعم من ان تكون للملائكة أو للمؤمنين، وتختار الآية الكريمة هذا الاسم من الأسماء الحسنى <sup>(٢)</sup> للتعبير عن الاستعلاء والهيمنة والتسلط على هؤلاء الجهلة التافهين وللإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه وثوابه، فان المعارج من خصائص منازل العظماء، قال تعالى ﴿لَبِئْسَ أَهْلُ الْبَيْتِ هَؤُلَاءِ جَاءُوا مِنْكُمْ فِي غَضَبٍ وَلِيْلَ الْوَجْدِ﴾ (الزخرف: ٣٣) ﴿٣٣﴾ ولكل درجة من درجات المعارج قوم عملوا لنوالها قال

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٧/٢٠.

(٢) روى في الدر المنثور (٢٧٨/٨) أن سعد بن أبي وقاص سمع رجلاً يقول: لبيك ذي المعارج فقال: إنه لذو المعارج، ولكننا كنا مع رسول الله (ﷺ) لا يقول ذلك) أقول: وينافيه ما ورد في استحباب التلبية عند الاحرام بالقول (لبيك ذا المعارج لبيك) (الكافي: ٢٣٥/٤).

تعالى ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾  
(المجادلة: ١١).

ويأمر الله تعالى نبيه بأن لا يستفزّه تحدّيههم واستكبارهم فيستعجل لهم العذاب ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٢٥) فان الله تعالى لا يعجل لظلم العباد، وهنا تقول الآيات التالية من السورة ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۖ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۖ﴾ (المعارج: ٥٠-٥١) فان المدة القصيرة الفانية التي يمهلهم الله تعالى فيها ليستدرجهم لا قيمة لها في عمر الزمن الطويل وفي مقابل الحياة الاخرة الباقية، ولا تستحق أن تكون ثمناً لمعصية الله تعالى وتحصيل عقابه الأكيد، لكنهم لجهلهم وقصر نظرهم يرون يوم الانتقام بعيداً وكأنه لا يقع فيغترون ويتمادون في باطلهم، ولكنه سرعان ما يتحقق وعد الله الصادق، وفي هذا دعوة إلى عدم تضييع العمر القصير في توافه الأمور واستثماره في طاعة الله تعالى. وقد دلّت الروايات الكثيرة من كتب الفريقين<sup>(١)</sup> على ان السائل المقصود هو النعمان أو النضر بن الحارث الفهري حين رفض التسليم لأمر النبي (ﷺ) بمبايعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ولياً لأمر الأمة من بعده في واقعة الغدير المشهورة فقد روى الطبرسي في مجمع البيان بسنده عن الحاكم الحسكاني صاحب شواهد التنزيل بسنده عن سفيان بن عيينه عن جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ (عليه السلام)، عَنْ

(١) نقل العلامة الأميني (رضوان الله تعالى عليه) في سفره القيم (الغدير: ٢٣٩-٢٤٦) عن ثلاثين من علماء أهل السنة المشهورين نزول الآية في هذه الواقعة.

آبَائِهِ (عليه السلام) قَالَ: (لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلِيًّا (عليه السلام) يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ، وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، شَاعَ ذَلِكَ فِي الْبِلَادِ، فَقَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) النُّعْمَانُ بْنُ الْحَارِثِ الْفَهْرِيُّ، فَقَالَ: أَمَرْتَنَا عَنْ اللَّهِ أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَمَرْتَنَا بِالْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ فَقَبِلْنَاهَا، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ حَتَّى نَصَبْتَ هَذَا الْغُلَامَ، فَقُلْتُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، فَهَذَا شَيْءٌ مِنْكَ أَوْ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّ هَذَا مِنَ اللَّهِ، فَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، فَرَمَاهُ اللَّهُ بِحَجَرٍ عَلَى رَأْسِهِ فَقَتَلَهُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وروى الشيخ الكليني (رحمته الله) في الروضة بسنده عن أبي بصير قال (بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا إِذْ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِنَّ فِيكَ شَبَهًا مِنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَلَوْ لَا أَنْ تَقُولَ فِيكَ طَوَائِفٌ مِنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لَقُلْتُ فِيكَ قَوْلًا لَا تَمُرُّ بِمَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ قَالَ فَغَضِبَ الْأَعْرَابِيَانِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَغَدَّةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ فَقَالُوا مَا رَضِيَ أَنْ يَضْرِبَ لِابْنِ عَمِّهِ مَثَلًا إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ (ﷺ) فَقَالَ - وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا أِلهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ يَغْنِي مِنْ

(١) مجمع البيان: ٥٢٩/١٠، البرهان: ٣١/١٠ ح ١٠.

بَنِي هَاشِمٍ - مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ قَالَ فَغَضِبَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو الْفَهْرِيُّ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ أَنْ بَنِي هَاشِمٍ يَتَوَارَثُونَ هِرْقُلًا بَعْدَ هِرْقُلٍ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَقَالَةَ الْحَارِثِ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣) ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا ابْنَ عَمْرِو إِمَّا تُبْتَ وَإِمَّا رَحِلْتَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ بَلْ تَجْعَلُ لِسَائِرِ قُرَيْشٍ شَيْئًا مِمَّا فِي يَدَيْكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ بَنُو هَاشِمٍ بِمَكْرَمَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قَلْبِي مَا يُتَابِعُنِي عَلَى التَّوْبَةِ وَلَكِنْ أُرْحَلُ عَنْكَ فَدَعَا بِرَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا فَلَمَّا صَارَ بَظَهَرِ الْمَدِينَةِ أَتَتْهُ جُنْدَلَةٌ فَرَضَخَتْ هَامَتَهُ ثُمَّ أَتَى الْوَحْيُ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ • لِلْكَافِرِينَ - بَوَايَةِ عَلِيٍّ - لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ • مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّا لَا نَقْرُؤُهَا هَكَذَا فَقَالَ هَكَذَا وَاللَّهُ نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ (ﷺ) وَهَكَذَا هُوَ وَاللَّهُ مُبْتَدِئُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ (عليها السلام) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ انْطَلِقُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَقَدْ أَتَاهُ مَا اسْتَفْتَحَ بِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (إبراهيم: ٥٥) (١).

وأورد ابن تيمية في كتاب (منهاج السنة) (٢) وغيره (٣) اشكالا على هذه

(١) الكافي: ٥٧/٨ ح ١٨، البرهان: ٢٩/١٠ ح ٦.

(٢) منهاج السنة: ١٣/٤.

(٣) كالألوسي في (روح المعاني: ٨٨/٢٩).

الروايات بأن سورة المعارج مكية وان واقعة الغدير حصلت في السنة العاشرة من الهجرة، فلا يصح ان تكون نازلة في هذه الواقعة.

ويمكن جوابه بوجوه:

١- ان تقسيم السور إلى مكية ومدنية وترتيب السور بحسب تاريخ نزولها لم يرد الينا بطريق معتبر وإنما هي في الغالب اجتهادات من العلماء فلا تكون حجة، وقد ثبت في بعض الموارد بمقتضى قرائن ترجح هذا أو ذاك كما لو عرف سبب نزولها وتاريخ الواقعة التي نزلت فيها.

٢- ولو قلنا بأن السورة مكية بشهادة السياق ونحوه، فإن كثيراً من السور المكية تضمنت آيات مدنية وهذا مثبت في بعض نسخ المصحف الشريف فلتكن الآيات منها.

٣- ما قيل من ان الآيتين من هذه السورة ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥) مدنيتان<sup>(١)</sup> ويراد منهما الزكاة المفروضة وقد وجبت في المدينة وهما جزء من مقطع لا يقبل التفكيك أوله ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فِي جَنَّاتٍ مُّكْرُمُونَ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥) (ومدنية هذه الآيات الواقعة تحت الاستثناء تستدعي ما استثنت منه وهو على الأقل ثلاث آيات، قوله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (المعارج: ١٩) إلى قوله ﴿مَنْوَعًا﴾ (المعارج: ٢١) على ان قوله ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مَهْطِعِينَ﴾ (المعارج: ٣٦) متفرع على ما قبله تفرعاً ظاهراً وهو وما بعده الى آخر السورة ذو سياق واحد

(١) نسبه في (مجمع البيان: ٦٥/١٠) إلى الحسن.

فتكون هذه الآيات أيضاً مدنية.

ومن جهة أخرى: مضامين هذا الفصل من الآيات تناسب حال المنافقين الحافين حول النبي (ﷺ) عن اليمين وعن الشمال عزين، وهم الرادون الى بعض ما أنزل الله من الحكم وخاصة قوله ﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (المعارج: ٣٨) وقوله ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ (المعارج: ٤١) الخ، وموطن ظهور هذا النفاق المدينة لا مكة، ولا ضير في التعبير عن هؤلاء بالذين كفروا فنظروا ذلك موجود في سورة التوبة وغيرها<sup>(١)</sup>.

أقول: هذا الوجه مبني على ما ذكره من إرادة الزكاة الواجبة، لكن توجد لدينا روايات عديدة تشير إلى أن هذا الحق المعلوم غير الزكاة المفروضة كما في موثقة سماعة عن ابي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال (ولكن الله تعالى فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ (المعارج: ٤١) فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله)<sup>(٢)</sup>.

٤- المروي<sup>(٣)</sup> ان السورة نزلت عند دعاء السائل ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَرَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اسْتِنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢) فهو ناظر إلى ما جاء في سورة الأنفال التي هي مدنية فسورة المعارج

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٦/٢٠

(٢) الكافي: ٤/٩٨/٣ ح ٨، البرهان: ٣٤/١٠.

(٣) أخرجه الآلوسي في (روح المعاني: ٨٨/٢٩) عن جملة من اعلام مفسري العامة.

مدنية متأخرة عن سورة الأنفال.

٥- ان بعض السور والآيات تنزل أكثر من مرة عندما يتكرر الموجب لها،  
 فلعل قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ نزل أول مرة في مكة جواباً على ما ذكرته جملة  
 من الآيات المتقدمة عن استعجال المشركين العذاب، فيكون موضوعها عاماً،  
 شاملاً لكل موقف استهزاء بالحق وتكذيب به، ثم نزلت نزولاً خاصاً من باب  
 التطبيق في قضية الفهري، فما ذكرته الروايات من ان الآيات نزلت في هذه  
 القضية يراد به النزول الخاص، كما في رواية<sup>(١)</sup> أبي بصير عن الإمام الصادق  
 (عليه السلام).

وأفادت بعض الروايات أنها نزلت في أبي جهل يوم بدر فقد روى  
 القمي في تفسيره أنه (لما اصطف الخيلان يوم بدر رفع أبو جهل يده،  
 فقال: اللهم اقطعنا للرحم وآتنا بما لا نعرفه فأجئته العذاب، فأنزل الله تبارك  
 وتعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأورد ابن تيمية إشكالاً آخر بأن الله تعالى قال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ  
 لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾  
 (الأنفال: ٣٣) فكيف نزل العذاب بهذا السائل؟

أقول: وهو إشكال واهٍ لأن المرفوع عن الأمة هو عذاب الاستئصال  
 ونحوه واما العقوبات الفردية النازلة على الأشخاص عقوبة لتماديهم في

(١) الكافي: ٣٤٩/١ ح ٤٧، البرهان: ٢٩/١٠ ح ٥.

(٢) تفسير القمي: ٣٨٥/٢ نور الثقلين، ج ٥، تفسير سورة المعارج: ح ٨.

الظلم فأنها غير مشمولة بالآية وقد دعا النبي (ﷺ) على جماعة وأراه الله تعالى استجابة دعائه كقتل النضر بن الحارث يوم بدر وهو ممن روي عنه أنه قال ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> (الأنفال: ٣٢) ونحو ذلك وتوجد إشكالات أخرى لا تستحق الاطالة في عرضها والاجابة عليها<sup>(٢)</sup>.

جعلنا الله تعالى من المسلمین لأمره المطيعين لحججه والثابتين على الإسلام وولاية امير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين (سلام الله عليهم اجمعين).

---

(١) الدر المنثور: ٢٧٧/٨.

(٢) أوردها ملخصة في تفسير الأمثل (٤٢٦/١٤) وأجاب بحقائق تاريخية ناصعة في الغدير: ٢٤٧/١ -

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۖ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾

**موضوع القبس: السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والوعد بالفتح**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۖ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۖ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ (المعارج: ٥-٧).

الآية الكريمة فيها تسلية ومواساة للنبي (ﷺ) وتطيب لقلبه وتخفيف لآلامه التي كان يتجرّعها من مشرّكي قريش، وكذلك فإنها تحمل معنى التهديد والوعيد لأعداء الإسلام من نهايتهم المخزية والبائسة في الدنيا والآخرة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥)، وتقول للنبي (ﷺ): إن يوم القيامة الذي نقص فيه من أعداء الله تعالى ورسوله (ﷺ) والإنسانية يرونه بعيداً، أي يعتقدون بأنه بعيد عن الواقع وغير ممكن بحكم عقولهم القاصرة وأنه لا وجود له واستغراقهم في الماديات، فيتساءلون مستنكرين: إذ كيف يُبعث الإنسان من قبره بعد أن يتلاشى جسده في القبر ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَماً أَأِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الصفات: ١٦)، وهم يروونه بعيداً زماناً أيضاً ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق: ٣) فهو عندهم بحكم العدم، لكنهم في قرارة أنفسهم يعترفون به، ولا يستطيعون نفيه وهذا ظاهر من زعمهم أن آلهتهم ستشفع لهم ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨).

فَيُطَمِّنُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَهُ الْكَرِيمَ (ﷺ) من خلال الآيات الكريمة بأننا نرى يوم القيامة واقعاً حتماً بلا ريب، وأن وقوعه قريبٌ لحكم العقل والفطرة السليمة، لأنه مقتضى العدالة وإنصاف المظلوم من الظالم، وتقتضيه الحكمة وإلا كان خلق الناس عبثاً، وهو قريب زماناً أيضاً عند مَنْ تكون رؤيته خارج الزمان، فالحوادث والأمور الزمانية السابقة واللاحقة كلها حاضرة عنده كشريط من الصور والأحداث، ولأن عمر الدنيا مقابل الخلود في الآخرة لا شيء، ولأن يوم القيامة آتٍ، ((وكل آتٍ قريب))<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ (الأحزاب: ٦٣) ومهما طال عمر الكفار والمعاندين في الدنيا فإنهم ميتون، وستنكشف الحقيقة جلية أمامهم، وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته)<sup>(٢)</sup>، فما أقربهم من يوم الجزاء، وحينئذٍ لا يبقى لهم شيء مما حرصوا عليه من متاع الدنيا مهما طال مدته ولا يدفع عنهم العذاب ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ • ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ • مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ (الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧).

وسرعان ما تحقق وعد الله تعالى فيهم، فقد قتل الله تعالى صناديد قريش وطغاتها في معركة بدر، بل إنهم يتعذبون بالنار التي أججوها بظلمهم ومعاصيهم وهم في دار الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٤٩)، أي الآن وليس أنها ستحيط بهم يوم القيامة فقط ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٩٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٤/ ٢٩٥٤، عن كنز العمال: ٤٢٧٤٨، ٤٢١٢٣.

فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٨١﴾ فَأَيُّ بَعْدٍ يَتَشَبَثُونَ بِهِ  
ويخدعون به أنفسهم؟

وإلى أن تتحقق هذه النهاية الشقية للكافرين والسعيدة للمؤمنين تأمر الآية  
الكريمة السابقة بالصبر الجميل ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ وهو الصبر الذي يكون  
لوجه الله تعالى ورضاً بقضائه وتسليماً لأمره وثقة بوعده، ليس فيه شكوى ولا  
اعتراض ولا ضجر ولا كسل، على النحو الذي سلى به النبي يعقوب (عليه السلام) نفسه  
عند فقد ولده يوسف النبي (عليه السلام) ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا  
تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨) قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير الصبر الجميل: أنه  
(بلا شكوى)<sup>(١)</sup>، ومثل هذا الصبر يكون حافزاً على العمل والتقدم وليس مثبطاً أو  
محبطاً، والله تعالى قادر على أن يحقق المطلوب فوراً من دون انتظار، لكنه تعالى  
أراد للأمر أن تجري بأسبابها ليميز الصابر المحتسب العامل عن غيره فيثيب  
المحسن على إحسانه.

وما على المؤمنين إلا التربص والانتظار والثقة التامة بوعده الله تعالى ليروا  
ما يحلّ بالكافرين ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ  
بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ  
مُتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة: ٥٢) ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾  
(يونس: ١٢٢).

وإذا لاحظنا الآية الكريمة ضمن سياق الآيات السابقة عليها <sup>(١)</sup> ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج: ٥) التي دلت الروايات على أنها نزلت في المعترضين على تنصيب النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) خليفة من بعده وولياً لأمر الأمة في يوم الغدير <sup>(٢)</sup>، وقالوا ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢)، وعلى هذا فالآيات الكريمة تتوعد الذين أنكروا ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعذاب القريب.

### أيها الأخوة والاخوات:

وللآية الكريمة معنى أوسع من هذا يقوِّي إيماننا، ويربط على قلوبنا، ويعيننا على تحمُّل كل ما نلاقه في حياتنا ويكون بلسماً لجراحنا، وهو أن كل مشكلة تحصل لنا، أو أزمة تمرُّ بنا، أو أمر يتعسَّر علينا أو ابتلاء سواء في البدن أو الرزق أو الأمن أو المصائب والابتلاءات في الأهل والأقرباء والأحبة أو الكوارث العامة التي تعاني منها الأمة، والتحديات المعقَّدة التي تواجهها، وترى أنها مستعصية على الحل وأن الخروج منها بعيد المنال وقد يحصل اليأس منه، فعليك

(١) تناولناها في قبس قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج: ٥)، راجع تفسير من نور القرآن.

(٢) نقل العلامة الأميني (قدس سره) في كتاب (الغدير: ١/ ٤٦٠-٤٧١) الواقعة عن ٢٩ محدثاً ومفسراً، ونقله من العامة الحسكاني في شواهد التنزيل: ٣٨١/٢، والحافظ أبو عبيد بن سلام في تفسيره (غريب القرآن: ٨٦).

أن تذكر حينئذ هذه الآية الكريمة وتستحضرها في وجدانك لتعيد إليك الأمل والاطمئنان وتزید في إيمانك، وتقوي عزيمتك، وترفع درجتك عند الله تعالى، فإنها تعدك بأن العقدة ستحلّ، والخطر سيزول، ويتحوّل الفشل إلى نجاح وسيأتي الفرج بأقرب ما يكون ومن حيث لا تحتسب، (فَكَمْ يَا إِلَهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَجْتَهَا وَهُمْ وَمِنْ قَدْ كَشَفْتَهَا وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقْلَتْهَا وَرَحْمَةٍ ... فَكَمْ مِنْ مَوْهَبَةٍ هَنِئْتِ قَدْ أَعْطَانِي وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفَانِي، وَبَهْجَةٍ مُوْنَقَةٍ قَدْ أَرَانِي) <sup>(١)</sup> وما عليك إلا حسن الظن بالله تعالى والاستعانة بالصبر الجميل المحرك نحو العمل الصالح قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ١٥٣) من دون أن تذكر الآية أن الاستعانة بالصبر على ماذا؟ ليقى مطلقاً ومفتوحاً، فإن الاستعانة بالصبر والصلاة يكون على كل شيء، فبالصبر ينال الظفر والدرجات الرفيعة، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن العبد ليكون له عند الله الدرجة لا يبلغها بعمله فيبتليه الله في جسده أو يصاب بماله أو يصاب في ولده فإن هو صبر بلغه الله إياها) <sup>(٢)</sup>، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء) <sup>(٣)</sup> وعليكم أن تحسنوا الظن بالله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ (يوسف: ١١١).

وعلى هذا الفهم فإن ضمير (هم) في ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يعود إلى المؤمنين، وبذلك تؤسس الآية الكريمة قاعدة عامة توجه سلوك المؤمن، وتجعل قلبه مفعماً

(١) من دعاء الافتتاح الذي يستحب في ليالي شهر رمضان المبارك.

(٢) التمهيد لابن همام الاسكافي: ٥٨.

(٣) نهج البلاغة: ٨٢ / ٤

بالأمل والانسراح، وتجعله مندفعاً نحو العمل الإيجابي المثمر المبارك، فلنستفد منها في كل شؤون حياتنا.

أيها الموالون المجتمعون على محبة السيدة الزهراء (عليها السلام):

لقد وعت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه الحقيقة القرآنية وكانت على ثقة تامة بوعد الله تعالى، لذا وقفت متحدية طغيان القوم لتحذرهم من مغبة ظلمهم وعدوانهم وانقلابهم على تعاليم الدين ووصية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن هذه النهاية التي يرونها بعيدة هي قريبة منهم وتراها السيدة الزهراء (عليها السلام) رأي العين، ومما قالت (فدونكموها فاحتقبوها باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون)<sup>(١)</sup>.

وقالت (عليها السلام): (أما لعمرى لقد لقحت، فنظرة ريشما تُنتج، هنالك يخسر المبتلون، ويعرف التالون غب - أي عاقبة - ما أسس الأولون، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم! ﴿أَنْزِلْ مُكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود: ٦٨))<sup>(٢)</sup>.

وسرعان ما حل بهم ذلك، وكانت البداية ضياع دينهم وآخرتهم وانحرافهم عن شريعة الله تبارك وتعالى، روى البخاري بسنده عن الزهري قال:

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١ / ١٣٤.

(٢) الاحتجاج: ١ / ١٣٩.

(دخلت على أنس بن مالك - الصحابي - بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ) إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيّعت<sup>(١)</sup> يحصل ذلك وأصحاب النبي ﷺ لا زالوا موجودين. أيها الأحبة:

إن الباطل والظلم والعدوان مهما تفرعن وتجرّ وطغى، وظنّ بعدم وجود من يردعه فإن نهايته قريبة وغير متوقعة، فمن كان يتصور أن نجاة النبي موسى (عليه السلام) والذين آمنوا معه تكون بتلك الطريقة وهي إغراق فرعون وجيشه العظيم في الماء في اللحظة التي يؤس المؤمنون فيها من النجاة ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿الشعراء: ٦١-٦٢﴾؟ وهل كان أصحاب الكهف يتوقعون أن نجاتهم تكون بالنوم ثلاثمائة وتسعة أعوام حتى انتشر التوحيد وأضحل الكفر؟ ومن كان يصدّق أن النمرود الطاغية المتجرّب تنهي حياته حشرة، والأمثلة لا تعد ولا تحصى.

وهكذا يوم الظهور الميمون لإمامنا المهدي (عليه السلام) مهما رأوه بعيداً عن التصور ومستحيلاً، فإنه قريب وسينعم برؤيته وأتباعه المؤمنون، وسيشرق نوره على الأرض كلها، وهو ما ورد في دعاء العهد (اللهم اكشف هذه الغمة عن هذه الأمة بحضوره وعجل لنا ظهوره إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً)<sup>(٢)</sup> وورد عن الإمام

(١) صحيح البخاري: ٦٧/ كتاب ٩ مواقيت الصلاة، باب ٧ ح ٥٢٩، ٦٣٠.

(٢) مفاتيح الجنان: ٦١٧.

الكاظم (عليه السلام) قوله: (إن الشيعة تربى بالأمانى منذ مائتي سنة)<sup>(١)</sup> أقول: ولا زالت الأمة تُربى بالأمل بعد ألف ومئتي عام.

فإن الفتح يشرق من داخل النفس ثم يتحقق في الخارج ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، وما زال الأمل يحدونا بقرب الفرج والنصر، وظهور دين الإسلام المحمدي الأصيل على الدين كله ولو كره الكافرون والمستكبرون جعلنا الله تعالى وإياكم من أنصاره والممهدين له والممكنين في دولته المباركة إنه نعم المولى ونعم النصير.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾

### موضوع القبس: الارتباط الوثيق بين الاستغفار وتواتر النعم

قال الله تبارك وتعالى وهو يحكي الرسالة التي كان يؤديها النبي العظيم نوح (عليه السلام) إلى قومه ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ﴿١٠﴾-﴿١١﴾).

تبين الآية الكريمة احدى السنن الإلهية الجارية في البشر وهي الارتباط الوثيق والفاعل بين صلاح البشر وصلاح الأوضاع الكونية العامة المؤثرة في حياة الإنسان، أي أنهم كلما تابوا ورجعوا إلى ربهم وأقاموا الدين في حياتهم، وقلعوا عن ذنوبهم ومعاصيهم وأصلحوا نفوسهم وغيروا واقعهم الفاسد، فإن الله تبارك وتعالى يغدق عليهم بالخيرات وينعم عليهم بحياة طيبة هنيئة، ويزيل عنهم النكد والضيق والمنغصات، فالإيمان والعمل الصالح يجلبان للفرد والمجتمع الحياة الهنيئة والعيش الرغيد، قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ﴿٩٧﴾) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اسْتَفْقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ﴿١٦﴾).

وأشار الى هذه الحقيقة أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة الاستسقاء بقوله

(وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ) ثم قرأ الآية المباركة وقال (ﷺ) (فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ)<sup>(١)</sup>.

ويعدهم الله تعالى ويتعهد لهم بالاستجابة اذا طلبوا المغفرة فإنه تعالى موصوف بالمغفرة ومن شأنه ذلك ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ فان ﴿كَانَ﴾ هنا شأنية والمغفرة صفة ثابتة له، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (أكثرُوا من الاستغفار فان الله عزوجل لم يعلمكم الاستغفار الا وهو يريد ان يغفر لكم)<sup>(٢)</sup>، وتوسع مغفرته لكل الذنوب ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٢) ولكن اذا طلبها العبد من ربه فقد ورد عن النبي (ﷺ) قوله (إن الله تعالى يغفر للمذنبين الا من لا يريد أن يُغْفَرَ له! قالوا يا رسول الله من الذي يريد أن لا يُغْفَرَ له؟ قال: من لا يستغفر)<sup>(٣)</sup>.

وتذكر هذه الآيات والتي سبقتها نماذج من هذه النعم التي يجلبها الاستغفار فمنها إطالة الأعمار وتأخير الآجال، حيث تقدم عليها قوله تعالى ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (نوح: ٣-٤).

ثم ذكرت بعض النعم التي يفهمها المخاطبون وتناسب حياتهم كونهم أهل زراعة وأنعام فقال تعالى ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ويراد بالسما

(١) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده: ج ٢/ ص ٢٩٠، الخطبة ١٤١.

(٢) ميزان الحكمة: ٤٣١/٦ عن تنبيه الخواطر: ٥/١، الدر المنثور: ٨/ ٢٩٠ بسنده عن سلمان.

(٣) ميزان الحكمة: ٤٣١/٦ عن مستدرک الوسائل: ١٢/١٢٢ ح ١٣٦٨٥.

المطر<sup>(١)</sup>، أو يراد بها السماء المعروفة وأنها لكثرة ما فيها من مطر كأنها تسقط عليها فيطلق الله تعالى ما فيها غزيراً يدرّ بمائه المبارك على الأرض والإنسان بما يحمل معه من خيرات، والدُّرُور والدر: تتابع السيلان.

﴿وَيُمْدِدْكُمْ﴾ أي يواصل إمدادكم بما يقوِّكم ويمكنكم من سدِّ احتياجاتكم الحياتية الهائلة، وأوضح مصاديق الإمداد: الأموال والبنون فان الثروة المالية والبشرية قوام إعمار الحياة بخلاف من يدعون إلى تحديد النسل وتقليل الإنجاب وهي دعوة تتفق مع مشروع الماسونية لإهلاك البشرية ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ وهي بساتين النخيل والأعناب التي تحتاج الى سقي ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ تجتمع فيها هذه المياه النازلة لتحمي الناس ومزروعاتهم وممتلكاتهم من الغرق، ولتنقل الماء الى الأراضي الأخرى التي لم يسقط عليها المطر ولتستصلح به الأراضي للزراعة التي هي قوام حياة البشر والحيوانات، وتكون بيئة لحياة الحيوانات المفيدة للبشر كالأسماك، وتكون وسطاً ناقلاً لأشخاصهم وبضائعهم فالنقل النهري والبحري يشكل عصب الحياة، وعلى الأنهار تقام المدن والحضارات وبها تعمّر الحياة، مضافاً الى كونها محلاً للترفيه والترفيه، وسبباً للحفاظ على التوازن البيئي وتلطيف الجو، وغيرها من الفوائد.

وقوله تعالى ﴿يَجْعَلْ﴾ لا يعني على نحو المعجزة بحيث تنزل عليهم جنات

(١) روي في الموطأ والصحيحين عن زيد بن خالد الجهني أنه قال (صلى بنا رسول الله ﷺ) صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل) وقال معاوية بن مالك بن جعفر:

إذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

كاملة من السماء وإنما يهيء لهم أسباب النجاح وظروفه وعلى الإنسان استثمارها لتحقيق النتائج المطلوبة بإذن الله تعالى وفضله وكرمه.

وفي الآية إشارة إلى أنهم أصيبوا بقحط وجفاف وانقطاع الأرزاق وفقدان الولد بسبب طغيانهم وكفرهم وهو مروي في مجمع البيان<sup>(١)</sup> فعلمهم النبي نوح (عليه السلام) طريق التخلص من تلك المحن والكوارث وإصلاح أوضاعهم المعيشية.

ولابد من الالتفات الى الآثار المعنوية لهذه النعم فانزال الماء كناية عن تطهير القلوب والنفوس من الادران والكدورات والأوهام الباطلة وإعمارها بالإيمان والعمل الصالح (تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب)<sup>(٢)</sup>.

وقد تكرّر بيان هذه السنة الإلهية في القرآن الكريم، وان تقوى الأفراد وإقامة النظام الاجتماعي العادل كفيلاً بجلب الخير والسعادة للناس، كما في قوله تعالى ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٦) وقوله تعالى ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۖ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود: ٥٧-٥٨).

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦) وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

(١) مجمع البيان: ١٠/٤٥٧، بحار الأنوار: ٢٧٨/٩٣ ح ٧.

(٢) البحار: ٢٧٨/٩٣ ح ٧.

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿٦٦﴾ (المائدة: ٦٦).  
والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك كثيرة، فقد روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً) <sup>(١)</sup> وعنه (ﷺ) قال (من كثرت همومه فعليه بالاستغفار) <sup>(٢)</sup> وفي الخصال عن علي (عليه السلام) في حديث الأربعمئة (أكثر الاستغفار تجلب الرزق).

وهذه السنة جارية في الاتجاه المقابل أيضاً، فإن الناس اذا ابتعدوا عن الله تبارك وتعالى واعرضوا عن العمل بشريعته فان البلاء ينزل عليهم ويحرمون من الخيرات والحياة الكريمة، قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١) وقال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

وروي في تطبيق الآية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (توقوا الذنوب، فما من بليّة ولا نقص رزق الا بذنب، حتى الخدش والكبوة والمصيبة) <sup>(٣)</sup> وكشف الإمام الصادق (عليه السلام) عن حقيقة عجيبة يجب التوقف عندها ودراستها حيثما قال

(١) ميزان الحكمة: ٦ / ٤٣٥ عن الدعوات: ٢٩ / ٨٦.

(٢) الكافي: ٩٣ / ٨ ح ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ٣٥٠ / ٧٣ ح ٤٧.

(عليه السلام) (من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال) <sup>(١)</sup> وقال الإمام الرضا (عليه السلام) (كلما أحدث العباد من الذنوب مالم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون) <sup>(٢)</sup>.

وقد شرحنا في خطاب سابق <sup>(٣)</sup> وجهاً لذلك للرد على من يسخر من هذه الملازمة ويفسّر الأحداث تفسيراً مادياً وضربنا مثلاً تخلف بعض الدول كالولايات المتحدة عن التوقيع على معاهدة كيوتو للمحافظة على البيئة وهو عصيان وتمرد على هذا القانون الإنساني وأدى ذلك الى حصول ظاهرة الاحتباس الحراري وارتفاع درجة الحرارة مما أدى إلى الحرائق الواسعة وتلوث البيئة والتصحر والفيضانات وغيرها من الكوارث المدمرة فهذا مثال لتقريب فكرة ان المعصية تنتج المصائب.

والآية الكريمة في الوقت الذي تثير فيه المحفزات لدى الناس للرجوع الى الله تعالى والالتزام بالمنهج الرباني فإنها ترد على عقيدة المشركين الذين يسلمون بأن الله تعالى هو الخالق ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥)، الا أنهم يعتقدون أنّ تدبير الكون وتسيير أموره بيد الهة أخرى فإنه للخصب وآخر للانتصار في الحرب وآخر لتحصيل الولد وآخر للصحة

---

(١) ميزان الحكمة: ٤٣٥/٦ عن الدعوات: ٢٩/٨٦ مثلاً ينظر في جهاز الموبايل وهو يقود السيارة أو يخالف الإشارات المرورية فيرتكب حادثاً مفاجئاً بسبب هذا الخطأ، أو يلقي تهماً من غير دليل فتحصل فتنة واقتتال يزهق أرواح الناس وهكذا.

(٢) الكافي: ٢/٢٧٥/ح ٢٩.

(٣) خطاب المرحلة: ١/ ٣٩٤.

وهكذا فتقرّر الآية الكريمة ان مدبر الأمور كافة والمهيمن على الخلق أجمعين هو الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له فهو تبارك وتعالى الذي ينزل المطر من السماء ويجعل للناس جنات وأنهار أو ويمددهم بأموالٍ وبنين.  
وينبغي إيضاح بعض التفاصيل المتعلقة بهذه الآية الكريمة من خلال نقاط:

### الدين مشروع لإعمار الدنيا:

١- ان الأنبياء حينما كانوا يؤدون رسالتهم في دعوة الناس الى الله تعالى وتطبيق شريعته، لم يكونوا يكتفون بوعد الناس بالجنة ان آمنوا والوعيد بالنار ان كفروا، أي انهم لم يقتصروا على الجزاء في الآخرة بل تعهّدوا لهم بجلب المصالح الدنيوية أيضاً من رفع مستوى الرفاه الاقتصادي وتحسين الأمن والخدمات، لأن الناس بطبيعتهم يريدون أثراً ايجابياً ملموساً في العاجل ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (القيامة: ٣٠) حتى يثبت الإيمان في قلوبهم ويثقوا بأن ما اختاروه من النظام هو الصحيح، وهذا المعنى يستفاد من قوله تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ • الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (القريش: ٣-١) فمطالبتهم بالعبادة واتباع الدين بعد ان ضمن لهم أهم عنصرين لاستقرار حياة الإنسان الغذاء والأمن، وهذه النتائج العاجلة ساهمت في تثبيت قلوب كثير من المؤمنين بالإسلام وبالنبي (ﷺ) فهم لمسوا بركات الدين الجديد في حياتهم، حيث توحدوا وتآلفت قلوبهم بعد أن مزقتهم الحروب الدامية وأهلكتهم، وتكوّنت منهم أمة موحدة قوية، ووجدوا الرفاه الاقتصادي حينما بسطوا نفوذهم على تمام الجزيرة العربية وفتحوا بلاد الفرس والروم وأصبحوا أسياد الدنيا

وصارت لهم دولة مهابة.

فعلى العاملين الرساليين والساعين لإقناع الناس بمشروع الإسلام أن يعوا هذا الدرس فلا يكتفوا بالمواعظ والشعارات والادعاءات، وتأجيل الثواب والعقاب إلى يوم القيامة، بل عليهم أن يقدموا حلولاً عملية لمشاكل الناس ويقودوا مبادرات لتحسين أوضاعهم حتى يلمس الناس بركات المشروع الإسلامي وما يجلب لهم من مصالح خصوصاً اذا مكّن الله تعالى لهم في الأرض وجعل لهم نفوذاً وسلطة، بل عليهم أن يسعوا لهذا التمكين حتى يستطيعوا أن يقدموا تلك الخدمات للناس فان هذا واجب على من يستطيع منهم ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ (النساء: ٧٥) ، ومقدمة الواجب واجبة كما قالوا، وهذا باب يفتح منه ألف باب يفهمها أهلها من النخب والكفاءات.

٢- ان الاستغفار له حقيقة تتضمنها كلماته وليس مجرد تحريك اللسان بها، وهذه الحقيقة عبارة عن برنامج متكامل من المواقف والأفعال، وقد شرح أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحقيقة عندما سمع قائلاً بحضرته: استغفر الله فقال (عليه السلام) (تَكَلَّمْتُكَ أُمُّكَ، أَتَذَرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ؟ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ، وَهُوَ اسْمُ وَاقِعٍ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى. وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَالثَّلَاثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيْعَتُهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذَيِّبَهُ بِالْأَخْزَانِ، حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذَيِّقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ

الْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»<sup>(١)</sup>.

لذلك روي ان علياً (عليه السلام) علم شخصاً الاستغفار لتوسعة الرزق ففعل ولم يحصل تغيير في حياته، فقال (عليه السلام) (لعلك لا تحسن ان تستغفر، قال: علمني، قال (عليه السلام): أخلص نيتك وأطع ربك)<sup>(٢)</sup>.

٣- الاستغفار المقصود بالآية له معنى أسمى وأرقى وأوسع من المعنى الخاص للاستغفار الذي هو الندم على ذنب ارتكبه وطلب العفو والصفح عما صدر منه من الذنوب التي وقع فيها وصدرت منه فعلاً لأنه هنا يعني مطلق العودة الى الله تعالى والإيمان به والالتزام بشريعته ولو بقرينة الآيات المشابهة المتقدمة عليها في نفس السورة التي صرحت بذلك ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾<sup>(٣)</sup> يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿نوح: ٣٠-٣١﴾ فهي دعوة إلى سبب المغفرة بلسان طلبها وبيان لموجبها وحث عليه: وهو الإيمان وطاعة الله ورسوله (ﷺ) والعمل الصالح قال تعالى ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال: ٢٩) وقال تعالى ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١) فالآية الكريمة تدعو الى طلب العصمة والوقاية من الوقوع في الذنب أصلاً بالاشتغال بالطاعة

(١) نهج البلاغة: ج ٤/ ص ٩٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٤٣٥/٦، عن كنز العمال: ٣٩٦٦.

وبالالتفات إلى الآثار السيئة للذنوب وعاقبتها القاسية، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار<sup>(١)</sup> وبالالتفات أيضاً إلى الأثر المبارك لاجتناب الذنب ونشوة النصر على النفس والشیطان، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (من أعرض عن محرم أبدله الله به عبادة تسره)<sup>(٢)</sup> وعنه (ﷺ) قال (غضوا أبصاركم ترون العجائب)<sup>(٣)</sup> وعنه (ﷺ) قال (ما من مسلم ينظر امرأة أول نظرة ثم يغضوا بصره الا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه)<sup>(٤)</sup> وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) (من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين)<sup>(٥)</sup> فالآية الكريمة تدعو الناس إلى طلب المعونة من الله تعالى على أن يسدّد العبد ويعينه على طاعته وتجنب معصيته أي الاستغفار بالدفع لا بالرفع روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله (إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟ وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض)<sup>(٦)</sup> وفي الدعاء (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية) وفي أدعية أيام شهر رمضان (اللهم قربني فيه إلى مرضاتك وجنبي فيه سخطك ونقماتك)، وورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (اجتناب السيئات أولى من اكتساب

(١) تحف العقول: ٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٢١/٧٧ ح ٢٠.

(٣) بحار الأنوار: ٤١/١٠٤ ح ٥٢.

(٤) ميزان الحكمة: ٤٦/٩، عن كنز العمال: ١٣٠٥٩.

(٥) ميزان الحكمة: ٤٦/٩ عن مكارم الأخلاق: ١/٥٠٥ ح ١٧٤٧.

(٦) بحار الأنوار: ٣٠١/٧٨ ح ١.

الحسنات<sup>(١)</sup> ووجه الأولوية أن ارتكاب الذنب له أثر يبقى وإن غفر الذنب وسقطت عقوبته، فالمطلوب عدم الوقوع في الذنب أصلاً عن رسول الله (ﷺ) قال (من قارف ذنباً فارق عقل لا يرجع إليه أبداً)<sup>(٢)</sup> وإن كان المأمول من كرم الله تعالى أن يزيل كل الآثار بل يبدل السيئات الى حسنات ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠).

٤- قد يقال بأننا نرى أمماً فاسقة معرضة عن الله تعالى وهي تنعم بالرفاهية والعيش الرغيد وهذا خلاف السنة المذكورة، وجوابه بوجه:

أ/ ربما كان نعيمهم هذا جزاءً لالتزامهم ببعض القيم الإنسانية التي يحبها الله تعالى كما ينقل عنهم - وهذه من ميراث الأنبياء والعلماء الصالحين الذين أسسوا - فما يتنعمون به ليس خارجاً عن هذه السنة الإلهية بل دليل عليها.

ب/ إنهم مروا بكوارث كثيرة كالحربين العالميتين اللتين أزهقتا أرواح حوالي مئة مليون من البشر والحروب الداخلية الطاحنة التي استمرت قروناً، وانتشار الأوبئة الفتاكة، فالنظر إلى نعيمهم الحالي فيه قصور واقتصار على حلقة يسيرة من زمن طويل.

ج/ ان في هذا استدراجاً لهم واغراءً ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القلم: ٤٤) لاستحقاق المزيد من العذاب ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّهُمْ لُمْلِي لَهُمْ

(١) غرر الحكم: رقم ١٥٢٢.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/ ٣٧٠ عن المحجة البيضاء: ٨/ ١٦٠.

لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤٩﴾ (آل عمران: ١٤٩).

٥- وقد يصاغ الاشكال في الجانب الآخر فيقال بأننا نرى أشخاصاً مؤمنين ملتزمين بالشريعة قد ضيق عليهم في المعيشة وابتلوا بمصائب متنوعة، وجوابه: أن ظاهر الآية الكريمة أنها تقرّر هذه السنة بلحاظ مجموع الأفراد أي الأمم والمجتمعات وأنها كلما صلحت وتحلّت بالفضائل وأقامت نظاماً صالحاً عادلاً أغدقت عليها النعم لأنها ستكون نتيجة طبيعية لهذا الصلاح ولا يتحقق هذا النظام الا بتطبيق الشريعة الإلهية والواقع يشهد بذلك فالنتيجة حتمية.

لكن هذا لا يعني عدم جريانها في حق الأفراد أيضاً لكن على نحو الاقتضاء لا العلية كما في المصطلح أي أنها تقبل الاستثناء ويمكن أن تتخلف النتيجة، اذا وجد مانع فيه مصلحة للفرد نجهلها، ولولا هذا المانع لأوجب الاستغفار هذه النتيجة جزماً، اذ قد يكون الأصلح للعبد أن يمرّ بهذا الضيق لتكامله ورفعة درجاته أو لتحصيل شيء أفضل مما كان يطلبه فيضحي بالقليل من أجل الكثير كما في الآية الشريفة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْبُحُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦) وفي دعاء الافتتاح (ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلكم بعاقبة الأمور).

ومما يدلّ على جريانها للأفراد تعليم الأئمة (عليه السلام) مضمونها لمن طلب الولد أو السعة في الرزق، فقد روى الشيخ الصدوق في الفقيه عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنه قال لبعض أصحابه: (قل في طلب الولد: رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين واجعل لي من لدنك ولياً يرثني في حياتي ويستغفر لي بعد موتي واجعله لي خلقاً سوياً، ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك إنك أنت الغفور الرحيم "سبعين مرة"، فإنه من أكثر من هذا القول رزقه الله تعالى

ما تمنى من مال وولد ومن خير الدنيا والآخرة، فإنه يقول: ﴿...اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي الكافي بسنده قال (شكا الأبرش الكلبي إلى أبي جعفر (عليه السلام)) أنه لا يولد له فقال له: علمني شيئاً قال: استغفر الله في كل يوم أو في كل ليلة مائة مرة فإن الله يقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ إلى قوله وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴿٢﴾<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضاً بسنده عن سعيد بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): لا يولد لي، فقال (عليه السلام) (استغفر ربك في السحر مائة مرة، فإن نسيته فاقضه)<sup>(٣)</sup>.

(١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق: ج ٣/ ص ٤٧٤.

(٢) الكافي: ٦ / ٨ / ح ٤، نور الثقلين: ٥ / ٢٥٦ / ح ١٠، البرهان: ١٠ / ٤٠ / ح ١.

(٣) الكافي: ٦ / ٩ / ح ٦، البرهان: ١٠ / ٤٠ / ح ٣.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾

### موضوع القبس: أجعل همك التزود للآخرة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل: ٥٠) وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ١١٠).

التقدم مقابل التأخر، والمراد بالتقديم هنا التزود للآخرة التي سنقدم عليها بفعل الصالحات وتقديمها إلى يوم الحساب والجزاء في الآخرة التي هي قدامنا ونحن نتحرك إليها وهي مألنا، فاستعمل التقديم بلحاظ هذه الحركة، فمن عمل صالحاً فقد قدّم لآخرفته، ومن ترّكه وخلفه في الدنيا فقد أخره، والا فإن الدنيا مقدّمة على الآخرة بلحاظ الزمان وبلحاظ ورودها علينا كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ (ق: ٨٨)، ولذا سميت الآخرة لأنها متأخرة عن الدنيا الحاضرة.

وقد وردت كلمة ﴿خَيْرٌ﴾ مطلقة في الآية الكريمة لتشمل كل عمل مقرب إلى الله تعالى وفيه نفع للمجتمع في دنياهم وآخرتهم، ولا تختص بالعبادات المعروفة أو الإنفاق المالي ومن أرقى مصاديقه التفقه في الدين ونشر المعارف الدينية بين الناس وتعليمهم الأحكام الشرعية، ويشمل مثلاً رعاية الشباب

والأطفال، وإقامة المعارض الثقافية، ونشر كلمات الوعي والهداية، والإصلاح بين المتخاصمين، والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، كالذي قلناه<sup>(١)</sup> في الإقراض في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ (الحديد: ١٨)، وقد وقع نفس المقطع أيضاً قبل هذه في نفس الآية الكريمة، قال الفيض الكاشاني (كصلاة ومالٍ تنفقونه في طاعة الله تعالى، أو جاءه تبذلونه لإخوانكم المؤمنين تجرّون به إليهم المنافع وتدفعون به المضار)<sup>(٢)</sup>.

وفي إضافة كلمة ﴿لِأَنْفُسِكُمْ﴾ وهي مقرونة بلام الاختصاص أو الملك مزيد عناية بأن مرجع هذا الخير اليكم وإن كان ظاهراً في الدنيا أنه لنفع غيركم كالصدقة للفقير أو مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧)، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦) وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (يوماً ما أحسنت إلى أحد قط! فرفع الناس رؤوسهم تعجباً، فقرأ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾)<sup>(٣)</sup>

(١) راجع قيس قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾

(البقرة: ٢٤٥) في تفسير من نور القرآن.

(٢) تفسير الصافي: ١/١٦٣.

(٣) نشر الدر: ١/٢٩٣.

وقال الإمام علي (عليه السلام): (إنك إن أحسنت فنفسك تكرم، وإليها تحسن؛ إنك إن أسأت فنفسك تمتهن وإياها تغبن)<sup>(١)</sup>.

وإذا أضاع الإنسان عمره في التفاهات واللغو فإنه سيندم على عدم تقديمه لآخرته، وستكون حسرته كبيرة ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: ٢٤) أي الآخرة ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤) ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ (الأنعام: ٣١) ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٦)، ولا ينفعه حينئذ الندم لأن وقت العمل قد انتهى وأغلقت أبوابه.

وفي الآية الكريمة حث وترغيب على الازدياد من أعمال البر كلها والطاعات المقربة إلى الله تعالى كما في الدعاء (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير)<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي ستجدون نفس ما قدمتم من أعمال مسجلة عند الله تعالى، ومحفوظة بحقائقها ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠)، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥) وفي هذا الوعد ثمرتان مباركتان:

(١) غرر الحكم: ٣٨٠٨ و ٣٨٠٩، عيون الحكم والمواعظ: ١٧٢ / ٣٥٩٥ و ٣٥٩٦.

(٢) الصحيفة السجادية: ص ٥٤٨.

أ- ﴿تَجِدُوهُ﴾ وفيه تطمين للعاملين بأن أعمالكم مسجلة عند الله تعالى مهما كان العمل ضئيلاً وغير ذي قيمة في نظر الناس كالإبتسامة في وجوه الآخرين والسلام عليهم ورفع الأذى عن طريق المسلمين فقد وردت الأحاديث بأنها كلها مما توجب الاجر العظيم <sup>(١)</sup> ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] لأن الله تعالى محيط احاطة تامة بعباده وما يصدر عنهم ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: ٧)، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧)، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وما قدمته من خير فعند من لا يبخر الشواب، وما ارتكبته من شر فعند من لا يعجزه العقاب) <sup>(٢)</sup>.

ب- ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وليس كأبي عمل تقدمونه لغير الله تعالى، وإن الله تعالى كريم يتفضل على عباده فيجازي الحسنة بأضعافها وبأحسن منها ﴿هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ (المزمل: ٦٠)، فمادامت هذه الاعمال لله تبارك وتعالى وهو

---

(١) عن كتاب شعب الإيمان أن رسول الله (ﷺ) قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (كنز العمال: ٥٢)، وفي دعوات الراوندي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (نزعك القذاة، عن وجه أخيك عشر حسنات، وتبسمك في وجهه حسنة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف)، وعن المحجة البيضاء أن النبي (ﷺ) قال: (إن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته).

الذي يجازي عليها ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٣٣).

قوله تعالى: (هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا) هذا العمل الصالح خير أكيد من ابتغاء غير وجه الله تعالى به، ومن تركه والكسل والخمول والقعود عن فعل الخير كما ورد في الصوم ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٥)، أو أن حقائق هذه الأعمال الصالحة التي ستكشف في الآخرة هي أجمل وأسمى بكثير من نفس الفعل الذي نقوم به في الدنيا كما ورد<sup>(١)</sup> من أدخل السرور على قلب أخيه المؤمن فإنه سيجده سروراً في قبره على هيئة مخلوق جميل وهكذا، وهذا معنى آخر للخيرية كما أن حقائق الأعمال الشريرة التي تنكشف في الآخرة هي أسوأ من نفس العمل السيئ كالغيبة التي تظهر بصورة أكل لحم الأخ الميت.

﴿وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ لأن فاعله سيثاب عليه بأضعاف كثيرة لا تحصى، وقد أطلقت كلمة ﴿خَيْرًا﴾ و﴿أَجْرًا﴾ هنا لتنفيذ معنى أوسع من ثواب الآخرة، لأن كثيراً من الأعمال الصالحة توجب مضافاً إلى الأجر: خيراً في الدنيا كسعة الرزق

---

(١) قال أبو عبد الله (عليه السلام) (إذا بعث المؤمن من قبره خرج معه مثال من قبره يقدمه أمامه وكلما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال لا تحزن ولا تفرح وأبشر بالسرور والكرامة من الله فلا يزال يبشره بالسرور والكرامة من الله حتى يقف بين يدي الله جل جلاله فيحاسبه حساباً يسيراً ويأمر به إلى الجنة والمثال أمامه فيقول له المؤمن رحمك الله نعم الخارج كنت معي من قبري وما زلت تبشرني بالسرور والكرامة حتى رأيت ذلك فمن أنت؟ قال: فيقول أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن خلقني الله منه لا بشرك) ثواب الأعمال - الشيخ الصدوق: ١٥٠، وقريب منه ما أورده ابن كثير في تفسيره، أنظر: ج ٢/ ص ٢٢٢.

وطول العمر في عافية وقرة العين في الأهل والولد وكثرة البركة والتوفيق، ودفع الشرور والبلايا والمكاريه عنه، وقد نصّت الأحاديث الشريفة الكثيرة على ذلك <sup>(١)</sup>.  
فعلى الإنسان أن يكون حريصاً على عمره فلا ينفق أوقاته إلا فيما ينفعه في آخرته فيقدمه لها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)، لأنه سيأتي اليوم الذي ينظر فيه المرء في صحيفة أعماله وما قدم لآخرته ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة: ١٣)، بما قدم لآخرته، وبما بخل به فتركه وأخره في دنياه، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۖ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٤-٥)، وهذه الحقائق كلها قد بينها الله تبارك وتعالى وحذر من وقوعها ودعا إلى الاستعداد لها ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَّا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبا: ٥).

وقد دعا الله تبارك وتعالى عباده إلى تهيئة الزاد لهذه الرحلة الطويلة وتقديمه أمامهم، ولأن هذه الرحلة مجهولة للإنسان ولم يرجع إلينا أحد من ذلك العالم ليخبرنا بما ينفعنا في تلك الحياة، فقد رفع الله تعالى حيرتنا وأجاب سؤالنا ابتداءً رحمةً منه وكرماً وبين لنا خير زادٍ نقدمه لآخرتنا، قال تعالى: ﴿تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧) فخير ما يقدمه الإنسان لآخرته التقوى وما تقتضيه من أفعال وتروك، وفي نهج البلاغة أن الإمام أمير

(١) للوقوف على تلك الأحاديث راجع كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه).

المؤمنين (عليه السلام) زار مقبرة بجوار الكوفة وسلم على أهلها (ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أُذنَ لهم في الكلام لأخبروكم أن ﴿خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>(١)</sup>).

وبذلك تحلّ الآية الكريمة أعقد مشكلة تواجهها البشرية وهي الخوف من الموت، فإن الإنسان الصالح الذي استعد لآخرته وقدم لها الزاد الذي يوفر له السعادة هناك فإنه سيكون راضياً بقضاء الله تعالى مسروراً بلقاء الله تعالى مطمئناً إلى أن الموت ليس فناءً ولا نهاية الحياة، بل بوابة ينطلق منها إلى الخلود في عالم رحيب فيه من النعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت خالداً فيها ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ (الفجر: ٢٧-٢٨) لذا لم يكن الموت يشكّل عقبة في طريق أولياء الله الصالحين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَاللّٰهُ لَأَبْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسٌ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ)<sup>(٢)</sup>، وإنما يخافه من لم يقدم لآخرته ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة: ٩٦).

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فتركهون أن تُنقلوا من عمران إلى خراب)<sup>(٣)</sup>، وعن رسول الله (ﷺ) لرجل سأله عن علة كراهة الموت (فَقَالَ لَهُ مَا لِي لَا أَحِبُّ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُ أَلَيْكَ مَالٌ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدَّمْتَهُ قَالَ:

(١) نهج البلاغة: ٣١ / ٤.

(٢) نهج البلاغة (شرح عبده) ص ٣٦.

(٣) الكافي: ٢ / ٤٥٨ / ح ٢٠.

لَا، قَالَ: فَمِنْ ثَمَّ لَا تُحِبُّ الْمَوْتَ<sup>(١)</sup>، وعنه (عليه السلام): (هل لك مال؟ فقدم مالك بين يديك، فإن المرء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن خلفه أحب أن يتخلف معه)<sup>(٢)</sup>، وكذا من تقدمه أحبابه إلى الآخرة أشتاق إلى لقائهم كما هو واضح في رثاء السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لأبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي رثاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام)<sup>(٣)</sup>.

ولأهمية قضية التقديم للآخرة والاستعداد للموت وما بعده فقد شغلت حيزاً كبيراً من القرآن الكريم، فقد جاء المقطع الذي نحن بصدده في سياق آية كريمة تأمر بالصلاة والزكاة وقيام الليل وتلاوة القرآن والإنفاق في سبيل الله تعالى والإقراض الحسن والسعي في الأرض طلباً للرزق<sup>(٤)</sup> ﴿وَأَخْرُوجْ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: ٢٠) ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي من هذه الأعمال الصالحة وغيرها، وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١٠-١١).

(١) الخصال: ١٣/ ح ٤٧.

(٢) كنز العمال: ٤٢١٣٩.

(٣) أنظر: بحار الأنوار للمجلسي: ٤٣/ ١٧٧. والكافي للشيخ الكليني: ١/ ٤٥٨/ ح ٣.

(٤) روى في الدر المنثور، والعلامة الطبرسي في (مجمع البيان: ٩٣/ ١٠) عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء) ثم قرأ المقطع المذكور من الآية الكريمة.

والأحاديث الشريفة عن المعصومين (عليهم السلام) في هذا المعنى غزيرة، فمن وصية النبي (ﷺ) لأبي ذر في استثمار ما عند الإنسان من قوة وإمكانات لزيادة الرصيد في الآخرة قال (ﷺ): (يا أبا ذر، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)<sup>(١)</sup>، ومن خطب أمير المؤمنين (عليه السلام): (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ؛ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْوَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْرَجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ، فَقَدَّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا، وَلَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرَضًا عَلَيْكُمْ)<sup>(٢)</sup>، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما قدمت من دنياك فلنفسك وما أخرت منها فللعُدو)<sup>(٣)</sup>، وقال (عليه السلام): (إنك لن يغني عنك بعد الموت إلا صالح عمل قدمته فتزود من صالح العمل)<sup>(٤)</sup>، وقال (عليه السلام): (أكثر سرورك على ما قدمت من الخير وحزنك على ما فات منه)<sup>(٥)</sup>، وقال (عليه السلام): (بادروا بأعمالكم وسابقوا آجالكم، فإنكم مدينون بما أسلفتم مجازون بما قدمتم ومطالبون بما خلفتم)<sup>(٦)</sup>.

(١) مكارم الأخلاق، للشيخ الطبرسي: ٤٥٩، ط. السادسة.

(٢) نهج البلاغة: ١٨٣/٢، بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ٦٧/٧٥، ط. الوفاء - بيروت.

(٣) غرر الحكم: ح ٢٧٢٨.

(٤) غرر الحكم: ح ٢٨٦٧.

(٥) غرر الحكم: ح ٢٦٣١.

(٦) غرر الحكم: ح ٢٧٩٥.

وبينوا (سلام الله عليهم) أن كلَّ ما يمكن تقديمه للآخرة من علم أو جهد أو مال أو فكر أو خطة أو مشروع بخل به الإنسان في الدنيا ولم يبتغ به رضوان الله تعالى ولم يقدمه لآخرته فإنه سيكون سبباً لندمه، قال الإمام الحسن (عليه السلام) في وصيته لجنادة ابن أبي أمية: (واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك)<sup>(١)</sup>.

روت عائشة (أنهم ذبحوا شاةً ووزعوا لحمها فقال النبي ﷺ) ما بقي منها؟ قالت ما بقي منها إلّا كتفها. قال (ﷺ): بقي كلُّها غير كتفها)<sup>(٢)</sup>.

وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (تصدقوا ولو بصاع من تمر ولو ببعض صاع ولو بقبضة وبيع بعض قبضة ولو بتمرة ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة لينة فإن أحدكم لاق الله فقائل له ألم افعل بك ألم أجعلك سميعاً بصيراً ألم أجعل لك مالا وولداً فيقول بلى فيقول الله تبارك وتعالى فانظر ما قدمت لنفسك قال فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يجد شيئاً يقي به وجهه من النار)<sup>(٣)</sup>.

ونُقل في الأثر أن أحد أصحاب النبي (ﷺ) أوصى بالتصدق بكمية كبيرة من التمر بعد وفاته فأشرف النبي (ﷺ) على توزيعه حتى نفذت وبقيت تمرة في شق الحائط، فقال (ﷺ): لو أنفق هذه التمرة بيده في حياته كانت خيراً له من

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ١٣٨.

(٢) رواه الترمذي في شرح كتاب رياض الصالحين: ٦٠، باب: الكرم والإنفاق في سبيل الله. ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٤ / ص ٣٥٥.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ٩ / ٣٧٩ / ح ١.

كل هذا بعد وفاته، ومع الالتفات إلى ما دلت عليه الروايات الشريفة من أن الوصية بشيء كفعله في الحياة<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى قد ذكره النبي (ﷺ) في خطبته التي استقبل بها شهر رمضان المبارك لما اشتكى الصحابة من الفقر وعدم قدرتهم على الإنفاق، قال (ﷺ): (اتقوا الله ولو بشقّ تمرّة، اتقوا الله ولو بشربة ماء)<sup>(٢)</sup>، اللهم أرزقنا (الاستعداد للموت قبل حلول الفوت)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أنظر: ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٤ / ص ٣٥٥٠.

(٢) مصابيح الجنان: ٥٢٤.

(٣) الصحيفة السجادية: ٢٧٧.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ أصلها المتدثر والمخاطب هو رسول الله (ﷺ) حتى ورد في الرواية <sup>(١)</sup> أن من اسمائه ذلك ويعني عرفاً من ألقى عليه كساءً أو غطاءً وتلفف به لأجل النوم أو وقاية من البرد ونحو ذلك.

وهو في اللغة أوسع من ذلك إذ يعني التدثر (تضاعف شيء وتناضد بعضه على بعض) <sup>(٢)</sup> كما في معجم مقاييس اللغة أي تراكم وتكاثر شيء على شيء ولذا يطلق على المال الكثير: الدثر، فالمعنى الأوسع للمتدثر هو المحاط والمتغطي بما يمنعه من الحركة والفعالية سواء كان مادياً كما يفهم العرف أو معنوياً كالكسل والترف وحب الراحة والخوف والقلق والاغلال الدنيوية التي تعيق الحركة نحو التكامل مثل المال والمكانة الاجتماعية والأهل والولد وغير ذلك.

فآيات الكريمة تأمر النبي (ﷺ) بأن ينهض من دثاره ويقوم بالإنذار وتبليغ الرسالة الإلهية التي كُلف بها، ويشهد سياق الآيات أنها من أوائل ما نزل من القرآن الكريم حتى روى بعضهم أنها أول ما نزل منه ففسر الدثار بأنه

(١) روى الكلبي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال (قال لي: كم لمحمد اسم في القرآن؟ فقلت به اسمان أو ثلاث فقال (عليه السلام): يا كلبي له عشرة أسماء) ثم ذكر منها ما في آية المدثر (راجع بحار الأنوار: ١٦ / ١٠١).

(٢) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس: ٣٢٨/٢.

((اعتزاله ﷺ)) وغيبته عن النظر فهو خطاب له بما كان عليه في غار حراء))<sup>(١)</sup>، لكن ما ورد في سبب نزولها وتعرف النبي (ﷺ) على الوحي النازل عليه من قبل، مضافاً إلى تضمن الآيات لتكذيب قريش يدل على أنها مسبقة بآيات البعثة النبوية الشريفة، فربما كانت الآيات الأولى التي أمرت بإعلان الدعوة إلى الإسلام والجهار بها بعد ان كانت سرّية في بدايتها، أو ان المقطع الأول من السورة نزل أولاً قبل التكذيب لإعداد النبي (ﷺ) للمسؤولية القادمة شأنها في ذلك شأن مطلع سورة المزمل من دون ان تدل على ان حالة التندر أو التزمل موجودة فعلاً وبذلك يصح القول بأنها أول ما نزل من القرآن بعد العلق أو هي والحمد ونحو ذلك.

ويمكن أن يراد بالذثار مرحلتين زمنيتين من مراحل الرسالة الإسلامية:  
الأولى: بعد نزول الوحي مباشرة حيث امتلأ النبي (ﷺ) هيبة من ثقل الرسالة التي كلّف بها وحلّت به رعشة وقشعريرة فتدثّر وهنا جاءه الأمر بأن يتجاوز هذه الحالة ويستعد نفسياً وروحياً لحمل الرسالة الإلهية.

روى في الدر المنثور عن البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم بالإسناد عن يحيى بن ابي كثير قال: (سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال: يا أيها المدثر قلت: يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك قلت له مثل ما قلت، قال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله (ﷺ) قال: جاورت بحراء فلما قضيت جواري فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً

(١) حكاه السيد الطباطبائي (رحمته الله) في تفسير الميزان: ٨٧/٢

فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئْتُ منه رعباً فرجعت فقلت: دثروني فدثروني، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ • قُمْ فَأَنْذِرْ • ... وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾<sup>(١)</sup>.

الثانية: بعد ما لاقاه النبي (ﷺ) من تكذيب قريش واستهزائهم بالرسالة وتحشيد المجتمع ضد الرسول الكريم (ﷺ) فبلغ به الغم والضغط النفسي مبلغاً كبيراً فتدثر بسبب الشعور بالاحباط لالتقاط الأنفاس كما يقال والتخفيف عن نفسه الشريفة فأمره الله تعالى أن يخرج من حالة الانكفاء على الذات وان لا يكثر بجمعهم وحشدهم وقوتهم فأن الله تعالى سيتكفل بدحرهم جميعاً ولنطلق هو (ﷺ) بمشروعه الإلهي.

روى في الدر المنثور بسنده عن ابن عباسٍ أنَّ الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعماً، فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحرٌ، وقال بعضهم: ليس بساحرٍ، وقال بعضهم: كاهنٌ، وقال بعضهم: ليس بكاهنٍ، وقال بعضهم: شاعرٌ، وقال بعضهم ليس بشاعرٍ، وقال بعضهم: سحرٌ يؤثر (وأجمع قولهم على أنه سحرٌ يؤثر) فبلغ ذلك النبي (ﷺ) فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ • قُمْ فَأَنْذِرْ • وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ • وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ • وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ • وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ • وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: ١-٧).

فآليات الكريمة فيها معنى كنائي وتعبير عن الانتقال من مسؤولية العمل

على إصلاح الذات وتهذيب النفس - حيث كان النبي (ﷺ) يتعبد لوحده - إلى مسؤولية العمل الاجتماعي وإصلاح الأمة والفرق بينهما واسع بحيث ان الأول كالقعود مقابل القيام والآن انتهى زمن القعود والخلو عن المسؤولية الكبيرة وحن زمن العمل.

وفي ضوء هذه الرواية والتفسير فأن الآيات الكريمة تفيد ان اشغال الحروب والتعامل بقسوة وبطش وخلق العراقيل متوقعة ممن يخافون على مصالحهم من كل أصحاب الدعوات الرسالية وليس دعوة النبي (ﷺ) فقط فلا يصح مواجهتها بالتوقف عن العمل والانحسار والانغلاق على الذات لأن العمر أقصر من ان يضيع بالقعود والتدثر والنفس ميالة إلى الدعة والراحة فلا بد من ملئ الحياة بالقيام والنهوض والحركة والاقدام واقتحام الصعاب وتعبئة كل الطاقات المادية والمعنوية وإبلاغ الرسالة ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨) ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣) ولا بد من هذا القيام لله تعالى وإن كان الشخص صالحاً في نفسه وملتزماً بالشرعية الا ان هذا لا يكفي بل عليه ممارسة الإنذار والإصلاح للمجتمع ما دام في المجتمع باطل وانحراف وفساد حيث يجب عليه تغييره والنهي عنه وهو المعنى الذي تفيدته سورة العصر وغيرها.

والسمة الواضحة لهذه الرسالة الإنذار والتخويف من عاقبة الخروج عن أوامر الله تعالى ونواهيه ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ (مريم: ٩٧) ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ (القصص: ٦٦) وعدم ارسال النذر اليهم يشعرهم بالطمأنينة والراحة ونسيان الله تعالى ﴿حَتَّىٰ عَفَا

وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴿١٥﴾ (الأعراف: ١٥) فان العامة لا يصلحهم الا  
الخوف، روي (عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ))، قَالَ الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ ذَنْبٍ قَدْ مَضَى لَا  
يَذَرِي مَا صَنَعَ اللَّهُ فِيهِ وَعُمْرٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَذَرِي مَا يَكْتَسِبُ فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ فَهُوَ لَا  
يُصْبِحُ إِلَّا خَائِفًا وَلَا يُصَلِّحُهُ إِلَّا الْخَوْفُ<sup>(١)</sup> ثم تأتي البشارة بعد التخويف والإنذار.

وفي هذا الإنذار التنبيه إلى الخطر القريب في الدنيا والآخرة رحمة للناس  
لأن الله تعالى غني عنهم لكن شففته على عباده أوجبت أن يواتر إليهم رسله  
بالإنذار ليجنبهم المخاطر.

وتذكر الآيات التي تليها الأسس التي يركز عليها العاملون الرساليون الذين  
يسعون إلى الإصلاح في دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى، نشير إليها باختصار:

١- ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدرثر: ٣) ان تؤمن بان الله تعالى أكبر من ان  
يوصف ولا يعجزه شيء وكل قوة مهما كانت عظيمة فهي أمامه أوهن من بيت  
العنكبوت فلا موجب للخوف من أي قوة معارضة تمتلك المال والسلطة  
والجيوش لأن الخوف سيؤدي إلى المداينة والتخلي عن المبادئ وهذا يعني  
الهزيمة وعلى المؤمنين العاملين أن يكونوا كما وصفهم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)  
(عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم)<sup>(٢)</sup> وعليهم أن يسقطوا من  
اعتبارهم كل ما دون الله تبارك وتعالى ولا يجعلوه من اهتمامهم.

٢- ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدرثر: ٤) ويمكن فهمها عن ظاهرها أي تطهير

(١) الكافي: ج ٢/ ص ٧١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

الثياب وهو صحيح موافق للأحكام الشرعية أو عدم إطالة الثياب فتخط في الأرض كما في بعض الروايات، ولعل المراد بها المعنى الكنائي ويكون المراد من تطهير الثياب الاتصاف بالنزاهة وعفة اللسان واليد والجوارح كلها وطهارة القلب وسمو الاخلاق وحسن السيرة والالتزام بأحكام الشريعة، وجامع هذه الخصال التقوى وقد وصف القرآن الكريم التقوى باللباس قال تعالى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (الأعراف: ٣٦) وهذا التعبير متداول في اللغة العربية ففي خطبة الإمام السجاد (عليه السلام) (أنا ابن نقيات الجيوب)<sup>(١)</sup> وقال الشاعر في مدح أهل البيت (عليهم السلام)

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا  
ويطلق اللباس على الزوجة، قال تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧) فتكون الآية آمرة باختيار الزوجة الصالحة لأهمية دورها في حياة العاملين الرساليين من عدة جهات.

٣- ﴿وَالرَّجَزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدرثر: ٥) فيجب تجنب كل أشكال المعاصي والمظالم وعدم الانجرار وراء الفتن ومكائد الشيطان واهواء النفس الأمارة بالسوء وعليهم التثبت مما يقال وعدم مداهنة الظالمين والجائرين.

٤- ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدرثر: ٦) فلا تعتد بنفسك ولا تثق بعملك ولا تمن به على الله تعالى ولا على الناس فان ما عندك هو من فضل الله تعالى ورحمته ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُنْ عَلَيْكُمْ

أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ (الحجرات: ١٧) فالمن يبطل العمل ويحبطه ويعرّض صاحبه لغضب الله تعالى فيمحوا اسمه من المؤمنين، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشر ﴿وَأَيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رِعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ﴾<sup>(١)</sup> فاذا تواضع لله تعالى وعرف ان ما عنده توفيق من الله تعالى وواظب على الشكر عليه أغدق الله تعالى عليه المزيد من النعم.

٥- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: ٧) لأن العمل شائك ويسير العامل في حقول من الأغلام المادية والمعنوية حتى وصفت مواجعتها بالجهاد الأكبر فلا بد من ان يتمسك بالصبر على الصعاب ليوصل الطريق ويثبت على خط الاستقامة وان يكون صبره في الله ولله تعالى.

إذن لتأسى بالنبي (صلى الله عليه وآله) في هذا الخطاب القرآني وننفذ دثار الكسل والتردد وسائر الأمور المحبطة وننطلق في ميدان الدعوة الى الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة بعد ان نبني أنفسنا بالخصال الكريمة التي ذكرتها الآيات الشريفة.

## القبس/٢٢٦

سورة القيامة: ﴿٢﴾

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾

### موضوع القبس: محكمة الضمير دليل على وجود محكمة القيامة

قيل ان (لَا) زائدة للتأكيد وليست للنفي باعتبار ان الآية ظاهرة في إثبات القسم لا نفيه ولو بمعنى السياق، لذا وقيل هي (نافية) لكنها هنا ليست لنفي القسم وإنما كناية عن عظمة المقسم به أو وضوحه بحيث يستغنى عن القسم لإثباته وما يهمنّا هنا دلالة الآية على عظمة المقسم به وجلالة قدره وأهميته وهذا السياق متكرر في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ • وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٥-٧٦).

ويشير القرآن الكريم إلى ثلاث مراتب من النفس الإنسانية:

١- المطمئنة التي اكتملت فيها العبودية لله تعالى والطاعة والتسليم له تبارك وتعالى عن رضا واطمئنان، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ • ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧-٢٨).

٢- الامارة بالسوء التي دأبت على الاستسلام للشهوات واتباع الاهواء فهي تأمر بالسوء وتدعو إلى الفحشاء والمنكر من دون أي رادع، قال تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: ٥٣) وقال تعالى ﴿وَرَضُوا

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا﴾ (يونس: ٧) وقد تتمرد هذه النفس أكثر فتصبح داعية للفساد والانحراف والضلال وساخرة من أهل الطاعة والايمان ومستتهزئة بالدين، هذه النفس التي يصفها الإمام السجاد (عليه السلام) من خلال الشكوى منها، ويطلب من الله تعالى العون عليها (إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمارَةً، وإلى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً، وَبِمَعَاصِيكَ مُوَلَّعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تُسَلِّكُ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ، كَثِيرَةَ الْعِلَلِ طَوِيلَةَ الْأَمَلِ، إِنَّ مَسْهًا الشَّرِّ تَجَزَعُ، وَإِنَّ مَسْهًا الْخَيْرِ تَمْنَعُ، مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوءَةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ، وَتُسَوِّقُنِي بِالتَّوْبَةِ)<sup>(١)</sup>.

٣- النفس اللوامة وهي عنوان البحث وهي بين المرتبتين ويمكن ان ترتقي إلى الأولى او تتسافل إلى الثانية فهي نفس ليست بعيدة عن الصلاح ومحبة للطاعة الا انها تضعف احياناً فتقود صاحبها الى الوقوع في المعاصي والذنوب فتحصل عندها حالة اللوم وتأنيب الضمير والندم فتحاسب نفسها باستمرار.

وقد تحصل هذه الحالة من اللوم لأجل التقصير في عمل الخير وعدم الاستثمار الأقصى للنعم الممنوحة له ولفرص الطاعة المتاحة اذ كان يمكنه الاستزادة منها ولم يفعل، وهذا الشعور يصحب الانسان إلى يوم القيامة فيشعر بالندم والغبن على تفريطه ببعض الفرص، لذا كان من اسمائه (يوم التغابن).

وهذه الحالة من تأنيب الضمير والشعور بكرية<sup>(٢)</sup> في القلب إنما تحصل بقرار تصدره محكمة الوجدان وهي نعمة من الله تعالى على الانسان ودليل من

(١) الصحيفة السجادية، مناجاة الشاكين.

(٢) أشار السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) إلى هذا المصطلح مراراً في كتاب (قناديل العارفين).

باطنه ينبهه الى الوقوع في المحذور واقترابه من الخطر ويحذرّه من عاقبته ويدعو الى التصحيح والمعالجة، وهذا يعني ان ضميره لا زال حياً ويمكن الاطمئنان إلى حركته وقراراته ولذا يحيل إليه النبي (ﷺ) عند الحكم في الأمور المشتبهة حيث روي قوله (ﷺ) (استفت قلبك، استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك)<sup>(١)</sup>.

فعلى الانسان ان يبقّي هذا الضمير حياً ليكون له واعظاً من نفسه ولا يميته باتباع الشهوات والانغماس في الرذائل والإصرار على الخطأ والخطيئة والتعصب والانانية. روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) قوله (ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك)<sup>(٢)</sup>، وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله (من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً)<sup>(٣)</sup>.

وهذا يبين احد وجوه البلاغة في الإتيان بهذا القسم مع القسم بيوم القيامة في الآية السابقة ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فان محكمة الضمير صورة مصغرة للمحكمة الإلهية الكبرى فالحاكم واحد وهو الله تعالى، والشهود نفس الشهود وهم الجوارح والضمير، والقضايا حاضرة لا تحتاج الى تهيئة واعداد وجمع المعلومات، والمجازاة نفسها في الروح بل والجسد حيث يقوم بعض المجرمين

(١) كنز العمال: ٧٣١٢، مسند احمد: ٢٢٨/٤.

(٢) وسائل الشيعة: ٩٦/١٦.

(٣) تحف العقول: ٢٩٤.

أحياناً بإيذاء جسده ندماً ولوماً مضافاً إلى كونها محكمة حق لا جور فيها ولا تحتاج الى مراجعة واستئناف للحكم ﴿وَاللّٰهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١).

فهذه المحكمة في باطن الانسان دليل وجداني وفطري على وجود يوم القيامة والحساب والجزاء حيث لم يخلو الانسان من هذه المحكمة وهو ذرة صغيرة فكيف يعقل خلو الوجود الواسع من المحكمة الإلهية.

ويظهر ان هذه الملازمة معروفة حتى لغير المؤمنين لذا فإنهم لكي يتخلصوا من عذاب الضمير وتأنيبه عند انغماسه في الشهوات والظلم والعدوان يخدعون أنفسهم بنفي وجود يوم القيامة والحساب والجزاء، هذا ما أكدته بعض الآيات التالية لهذه ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (القيامة: ٥) أي انه يكذب بما هو واقع امامه من البعث والحساب ليستمر على فجوره والتحرر من الالتزام بالشرعية.

ويحسّ الانسان في وجدانه بهذا الجزاء قبل يوم القيامة، إذ إن هذا الضمير ينشر السعادة والانشراح والاطمئنان في باطن الانسان عندما يقوم بعمل صالح وتزداد السعادة كلما ازداد العمل أهمية وقيمة وكأنه يعجل المكافأة لصاحبه، واذا صدر منه فعل سيء فانه سيبادر الى معاقبته بالألم وعذاب في القلب لا يلبث ان ينعكس على شكل اعراض مرضية في البدن وقد يلجأ صاحبه الى تسليم نفسه للعقوبات كالسجن في المحاكم الوضعية ليتخلص من الألم وعذاب الضمير.

ولأهمية هذا الضمير الحي ودوره في تربية الانسان وتقويم سلوكه وتخليص صاحبه من اثار اعماله فقد استحق القسم به.

إذن علينا أن نمثل امام محكمة الوجدان والضمير يومياً وباستمرار، ونبادر

إلى إثبات برائتنا ونقاوتنا أمام هذه المحكمة قبل يوم القيامة لنذهب إلى لقاء ربنا ونحن مبرّتون من الذنوب بفضل الله ورحمته، ولنشعر بالسعادة والاطمئنان ولذا ورد التأكيد على محاسبة النفس باستمرار كقول رسول الله (ﷺ) (حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، وزنها قبل ان توزنوا)<sup>(١)</sup>، وقال الإمام الكاظم (عليه السلام) (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله تعالى وان عمل سيئة استغفر الله تعالى)<sup>(٢)</sup>.

وتصوروا لو أن الأمة عملت بهذا المنهج وهذه الثقافة فكيف ستكون سعيدة ناجحة لكن مشكلتنا الرئيسية في غياب هذه المبادئ الأخلاقية.

---

(١) وسائل الشيعة: ٩٥ / ١٦.

(٢) كتاب الزهد: ٢٠٣ / ٧٦، وسائل الشيعة (آل البيت): ٩٥ / ١٦ ح ١.

## القبس/٢٢٧

سورة الإنسان: ﴿٨﴾

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ﴿٨﴾-﴿٩﴾).

الآية حلقة من سلسلة آيات نزلت في أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) في حادثة مشهورة لدى الفريقين، وعدَّ المرحوم الأميني في كتاب الغدير<sup>(١)</sup> (٣٤) ممن أوردها من علماء السنة، وألف الحافظ أبو محمد العاصمي كتاباً في مجلدين أسماه (زين الفتى في شرح سورة هل أتى) ووصف الآلوسي في روح المعاني خبر الواقعة بأنه مشهور.

وخلاصة الحادثة في مصادر العامة كما أوردها العلامة الأميني (قدس سره) عن ابن عباس قال: (إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله (ﷺ) في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن؟ لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام.

فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبرت خمسة أقراص على عددهم

(١) الغدير: ٣م ١٠٧-١١١ من الطبعة الأصلية، و ١٥٤/٤-١٦١ من طبعة دار الغدير.

فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد؟ مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة. فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله (ﷺ) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم؟! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فسأه ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد؟ هناك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة).

وحاول البعض التشكيك في نزولها في علي وأهل بيته (عليه السلام) رغم شهرتها وكثرة مصادرها، ومما قالوه: أن السورة مكية والحادثة وقعت في المدينة بعد زواج أمير المؤمنين وولادة الحسنين (عليهما السلام) وجوابه من وجوه:

١- إن هذا الإشكال شبهة مقابل البديهة لتواتر النقل من الفريقين على ما ذكرنا من سبب النزول.

٢- عدم الوثوق بالأخبار الدالة على مكية السورة مع كثرة الروايات الدالة على نزولها في المدينة<sup>(١)</sup>.

٣- وجود الدليل على العكس أي مدنية السورة، لوجود ذكر الأسير فيها، ولم يكن للمسلمين أسرى في مكة بل كانوا قلة مستضعفين وإنما قويت شوكتهم وأصبح لديهم أسرى في المدينة.

(١) راجع بعض مصادرها في الميزان: ٢٠ / ١٤٤.

٤- ولو تنزلنا فان مكية السورة لا ينافي كون بعض آياتها مدنية وهي ثمانية عشرة آية ذات سياق واحد، تبدأ من قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان: ٥١) وتنتهي عند الآية الثانية والعشرين ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإنسان: ٥٢).

وقد دلت عدة روايات من الفريقين على ان السورة مدنية وأنها نزلت في هذه الواقعة، كالرواية السابقة وفيها تهنئة رسول الله (ﷺ) لأمير المؤمنين (عليه السلام) بأهل بيته، ومنها ما دل على خصوص الآيات المذكورة كرواية للمفيد في الاختصاص بسنده إلى رسول الله (ﷺ) وفيها قوله مخاطباً أمير المؤمنين (عليه السلام): (هل عملت شيئاً غير هذا فإن الله قد أنزل عليّ سبع عشرة آية يتلو بعضها بعضاً، من قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولشهرة الخبر فقد نظمها الشعراء في قصائدهم، ومنها قول الوزير صاحب بن عباد: وسائل هل أتى نصُّ بحق علي قلت ﴿هَلْ أَتَى﴾ نص بحق علي<sup>(٢)</sup>.  
 روى في المناقب بسنده عن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) أنه قال: (كل ما في كتاب الله عز وجل من قوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ فوالله ما أراد به إلا علي بن أبي طالب وفاطمة وأنا والحسين؛ لأننا نحن أبرار بآبائنا وأمهاتنا، وقلوبنا عملت بالطاعات

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١٠ / ٧٩ / ح ٥، عن الاختصاص: ١٥٠.

(٢) وهذا البيت يُنسب إلى عبد الباقي العمري أنظر: (أدب الطّف - جواد شير: ٧ / ١٣٤).

والبر، ومبرأة من الدنيا وجبها، وأطعنا الله في جميع فرائضه وآمنا بوحدانيته وصدقنا برسوله<sup>(١)</sup>.

ونحن لا نريد بهذا القبس الاكتفاء بالتذكير بهذه المنقبة لأمر المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) مع ما له من الفضل والأهمية، لكن الأجدى تربوياً أن نستلهم الدروس والعبر من هذه الوقائع، ومنها: -

١- كرامة الإنسان في الإسلام ولزوم احترامه والإحسان إليه حتى لو كان مشركاً كأسير الحرب مع الدولة النبوية الكريمة، فلم يتخذ النبي (صلى الله عليه وآله) سجناً لأسراه وإنما كان يوزع الأسرى على المسلمين ليحافظوا عليهم ويحسنوا إليهم حتى يجعل الله تعالى لهم فرجاً، وورد في ذلك قوله (صلى الله عليه وآله): (استوصوا بالأسرى خيراً)<sup>(٢)</sup>، (وقد كان يؤتى الرسول (صلى الله عليه وآله) بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه، فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه)<sup>(٣)</sup>، وإذا لم يجد الأسير ما يحفظ كرامته عند مضيفه فتعطى حريته ويذهب لينال ما يريد، ويختار. ومنها ما في هذه الحادثة؛ لذا قصد هذا الأسير دار علي وفاطمة (عليهما السلام) لما بلغه من إثارهما على أنفسهما وتكريمهما السائل والمحتاج.

٢- الأولوية والأهمية التي يحظى بها إطعام المحتاجين والمعوزين من بين أعمال البر الكثيرة، وقد أشير إليه في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كثيراً، قال تعالى ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ • فَكُّ رَقَبَةٍ • أَوْ إِطْعَامٌ فِي

(١) نور الثقلين: ٤٧٣/٥-٤٧٤.

(٢) الأمثل: ٥٢٤/١٤ عن الكامل لابن الأثير: ١٣١/٢.

(٣) روح المعاني للآلوسي: ١٥٥/٢٩ عن الحسن.

يَوْمِ ذِي مَسْعَبَةٍ • يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ • أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿ (البلد: ١١-١٦) روي عن النبي (ﷺ) قوله: (من أطعم ثلاث نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات: الفردوس وجنة عدن وطوبى وهي شجرة تخرج من جنة عدن، غرسها ربنا بيده)<sup>(١)</sup>، والحديث مطلق ولم يقيد المدعوين للطعام بكونهم فقراء أو محتاجين، وهذا يعني أن الإطعام مستحب بغض النظر عن كون الآكلين ذوي حاجة، لما فيه من تقوية أواصر المحبة والمودة وانفتاح النفوس على بعضها وزوال ما بينها من شحناء وبغض.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحدٌ من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين)<sup>(٢)</sup>.

وعنه (ﷺ) قال: (من أفضل الأعمال عند الله إبراد الكباد الحارة وإشباع الكباد الجائعة)<sup>(٣)</sup> وهو حديث مطلق يشمل كل ذي كبد حتى الحيوانات، وتعززه روايات أخرى ففي بعضها أن امرأة فاسقة غُفر لها لأنها سقت قطعة عطشى ماءً، وقد تضمنت تنمة الحديث تهديد المقصر في ذلك قال (ﷺ): (والذي نفس محمد بيده لا يؤمن بي عبد يبيت شعباناً وأخوه - أو قال جاره - المسلم جائع).

ولو التزمت البشرية بهذه التوصيات لما مات ملايين البشر جوعاً بينما تتلف دول الغرب المترفة آلاف الأطنان من الأغذية لعباً وعبثاً كمهرجان الترامبي

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ٢٤ / ٣٠٤ ح ١.

(٢) أصول الكافي: ٢ / ٢٠٠ - ٣٠٢ باب إطعام المؤمن.

(٣) بحار الأنوار: ٧٤ / ٣٦٩.

بالطماطم والبرتقال وذرّ الطحين والترحلق بالرقّي في بعض دول أوروبا، أو يتلفون كميات كبيرة منها للمحافظة على الأسعار ونحو ذلك، وقد لخص امير المؤمنين (عليه السلام) هذه المشكلة بقوله (مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ) <sup>(١)</sup> وقرأت في بعض المصادر أن باحثاً غريباً حصل على شهادة الدكتوراه بأطروحة تشرح هذه الكلمة النورانية.

٣- ويمكن أن يتوسع معنى الأسير ليشمل كل محتاج إلى رعاية غيره وإعالته مادياً، كالمروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) في المدين لغيره: (غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك) <sup>(٢)</sup>، ومنهم عيال الرجل وأسرته عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (ينبغي للرجل ان يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته وتلا هذه الآية ﴿وَيُطْعَمُونَ﴾ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) قال: الأسير عيال الرجل ينبغي له إذا زيد في النعمة أن يزيد أسراءه في السعة عليهم، ثم قال: (إن فلاناً أنعم الله عليه بنعمة فمنعها أسراءه وجعلها عند فلان فذهب الله بها، قال الراوي: وكان فلان حاضراً) <sup>(٣)</sup>.

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان) <sup>(٤)</sup>

(١) نهج البلاغة: باب المختار من حكم/٣٢٨.

(٢) روح المعاني للآكوسي: ٢/١٥٦.

(٣) فروع الكافي: ١١/٤ كتاب الصدقة باب ٧: كفاية العيال والتوسيع عليهم، ح ٣.

(٤) الفرقان في تفسير القرآن: ٢٩/٢٣٦ عن تفسير الرازي: ٣٠/٢٤٥.

أي أسراء، فإن العاني هو الأسير<sup>(١)</sup>، وهكذا تشمل التوصية بالأسرى خيراً كل من كان راعياً لغيره في مؤسسة أو دائرة أو كيان ونحو ذلك.

ويتوسع المعنى إلى الحاجة المعنوية<sup>(٢)</sup> أيضاً فكل من هو في حاجة إليك أخلاقياً وفكرياً وعقائدياً واجتماعياً فهو أسيرك وأنت مأمور بإكرامه والإحسان إليه، لذا قال أهل المعرفة أن حبس الحكمة عن مستحقها ظلم له وأعطائها لغير مستحقها ظلم لها<sup>(٣)</sup>، وهذا المعنى قد ورد في اليتيم في الأحاديث الشريفة وقد تناولناها في كلمة سابقة<sup>(٤)</sup>.

٤- إن الإطعام حصل ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أي رغم وجود الحب للطعام لا من جهة نهم الأكلين والميل الشهوي والتلذذ به فإن علياً وفاطمة والحسين (عليهم السلام) أبعد ما

(١) كتاب العين، للفراهيدي: باب العين والنون: ٢ / ٢٥٢، قال: ((العاني: الأسير))، وفي مجمع البحرين: ((والعاني: الأسير، ومنه: (أطعموا الجائع وفكوا العاني). وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا وهو عان، والمرأة عانية، والجمع عوان. ومنه الخبر: (اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم) أي أسراء أو كالأسراء)) ٣ / ٢٦٤.

(٢) ويساعد في تطبيق مادة الأسر إلى غير أسير الحرب قوله تعالى في نفس السورة: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ (الإنسان: ٢٨) وهذه حالة جارية في القرآن الكريم حاصلها أن بعض المفردات تتكرر في مواضع متعددة من السورة الواحدة لكي تساهم في انشاء معنى خاص في ذهن القارئ أو تساعد في تفسير معنى ما سوية.

(٣) الكافي: ١ / ٤٢ عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قام عيسى بن مريم (عليه السلام) خطيباً في بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم).

(٤) انظر الخطاب الفاطمي المعنون: (هل تريد أن تكون مع الصديقة الزهراء (عليها السلام) في درجتها؟) في موسوعة: خطاب المرحلة: ٦ / ٢٥٨.

يكونون عن ذلك، وهم المخلصون لله تبارك وتعالى الذين لا سلطان لشيء غير الله تعالى عليهم، بل لحاجتهم إليه بحسب ما وصفتهم الروايات في الحادثة كما ذكرناها، ولأنهم يريدون التقوي به على الصوم وسائر أفراد طاعة الله تعالى. ولكنهم آثروا الثلاثة على أنفسهم وقدموا ما يريده الله تعالى على ما تريده نفوسهم؛ لأنهم يرون أنفسهم عبيداً خالصين لله تبارك وتعالى، ولا يملكون لها خياراً ولا إرادة ولا فعلاً إلا الله تعالى فأخلصوا العبودية لله تعالى مما أكسب فعلهم قيمة أكبر.

ويمكن أن يكون معنى حبه: حسنه وأفضليته وطيبه ليكون أدعى للقبول قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) أي من أفضل ما عندكم وأحسنه الذين تحبونه لأنفسكم، وقد كانت هذه الأربعة أفضل ما يتوفر لديهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

ولم يستغ بعضهم ارجاع الضمير في حبه إلى الطعام لأن أهل البيت (عليهم السلام) أجل من الوقوع في شهوة البطن فأرجع الضمير الى الله تبارك وتعالى، ولكنه تصرف خلاف ظاهر السياق ولا يوجد ما يبرره، ولأن هذا المعنى سيأتي في الآية اللاحقة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ (الانسان: ٩)، ولأن الضمير لو كان عائداً إلى الله تعالى لكان الأولى التعبير (في حبه)، ولعدم الغرابة في عودة الضمير إلى الطعام بعد الذي ذكرناه، وقد روى البرقي في المحاسن بسند صحيح عن الإمام الرضا (عليه السلام) في هذه الآية قال الراوي: (قلت: حب الله أو حب الطعام؟ قال: حب

الطعام)<sup>(١)</sup>، فهذا الإيثار الذي صاحب فعلهم (صلوات الله عليهم أجمعين) والمتصف بكونه مما يحبون هو المنشأ الأول لإعطائه هذه القيمة الكبرى بحيث تنزل فيهم سورة مباركة تتلى إلى نهاية الدنيا، مع أنه فعل بسيط في نفسه لا يعدو إنفاق خمسة أرغفة من شعير وليس من حنطة.

٥- والمنشأ الثاني والاهم الذي اعطى فعلهم (صلوات الله عليهم اجمعين) القيمة العظمى أن إطعامهم كان خالصاً لله تعالى وطلباً لمرضاته ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩) فهم يتعرضون بإعمالهم الصالحة لصفاته الكريمة آملين رضا الله تبارك وتعالى، فإن الوجه ما يستقبل به، وهذه هي الغاية الباعثة على الفعل، ولم يبتغوا شكر المعطى وثنائه ولا جزاءً منه، ولو كان العطاء مشروطاً بالجزاء -وهو ما يقابل الفعل بما يعادله- لحرم كثير من المحتاجين لعدم امتلاكهم الجزاء، ولو كان مشروطاً بالشكر للزم منه توهين المعطى وإذلاله ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٢).

فلكي يكون الإطعام وكل إنفاق وفعل معروف طيباً هنيئاً لمن يصل إليه لا بد أن يكون مجرداً من طلب الجزاء أو الشكر، كإطعام علي<sup>(عليه السلام)</sup> وأهل بيته فقد كان إطعامهم خالصاً لوجه الله لا يبتغون عليه جزاءً لا في الدنيا ولا في الآخرة بجلب ثواب أو دفع عقاب، لان عبادتهم عبادة أحرار، وليست كفعل التجار الذين يعبدون الله طمعاً في جنته ولا العبيد الذين يعبدون الله خوفاً من ناره، بحسب

التقسيم المنسوب الى أمير المؤمنين (عليه السلام) لعبادة الناس، ومن كلماته المشهورة (إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) <sup>(١)</sup>.

وقد حصرت الآية القصد من فعلهم (صلوات الله عليهم) بإرادة وجه الله تعالى خالصاً باستعمال أداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾، أمّا ما ورد في الآية التالية ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان: ١٧) فهو لا ينافي قصد وجه الله تعالى لأنه خوف ليس مستقلاً عنه حتى يدخل في عبادة العبيد، بل خوف البعد عنه تبارك وتعالى والخوف من اعراضه سبحانه وعدم نيل رضاه وبلوغ كمال معرفته، فوصف اليوم بهذه الاوصاف.

٦- لم يسبق قولهم ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوْجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩) بكلمة (قالوا) وهذا يعني أنهم لم يقولوا هذا الكلام للثلاثة المطعمين وهذا الاستظهار يناسب مقامهم السامي وكون إطعامهم لوجه الله، أما التفوّه بهذه الكلمات أمام المطعمين، فإنه لا يخلو من توهين وترفع عنهم، فالظاهر أن هذا التعبير من الله تبارك وتعالى لبيان حالهم ومقامهم الذي علمه الله تعالى منهم والروايات تدل على ذلك، فقد روى الشيخ المفيد في الاختصاص (عليه السلام): (أما إن علياً لم يقل في موضع: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوْجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً

(١) البحار: ١٨٦/٦٧، والحديث مرسل في جميع مواضع روايته وقيل انه أول من رواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج قال: (وقد جاء في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، من هذا الكثير، نحو قوله: (لم أعبده خوفاً ولا طمعاً، لكنني وجدته أهلاً للعبادة فعبدته) ونقل بعده بألفاظ قريبة ومختلفة، وكلها مرسلة.

وَلَا شُكُورًا ﴿١﴾، ولكن الله تعالى علم من قلبه أن ما أطعم الله، فأخبره بما يعلم من قلبه من غير أن ينطق به) (١)، وهذا المورد من مصاديق لسان الحال.

٧- إن هذه القيمة الكبرى التي اكتسبها الاطعام بالإخلاص لله تعالى لا تختص به بل يمكن أن تكتسبها أي طاعة لله تعالى، فالآية نموذج للتربية القرآنية للإنسان على أن يبادر إلى فعل الخير ويسارع إليه لا لشيء إلا لأن فيه رضا الله تبارك وتعالى لا ينتظر جزاءً ولا شكوراً من أي أحد، ولا يثبطه ولا يشعره بالإحباط واليأس عدم حصوله على الثناء والشكر والإشادة بعمله بل ربما يتعرض للإساءة من نفس الذين يحسن إليهم لؤماً منهم وهو يمضي في معروفيه وإحسانه متأسياً بربه الذي يغدق على عباده بالنعم وهم يعصونه ويتمردون عليه ويشركون به ويعبدون غيره (مني ما يليق بلؤمي منك ما يليق بكرمك) (٢).

٨- وبهذه التربية على سمو الهدف وهو رضا الله تبارك وتعالى واثقاء غضبه ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ يندفع الإنسان المؤمن إلى فعل كل خير ولا يقف عند الواجبات فقط، ويتجنب كل سوء ومكروه ولا يقتصر على تجنب المحرمات فهذا الإطعام هو غير الإنفاق الواجب في الزكاة والخمس.

٩- وهذا السلوك القرآني والسير على منهجه ثابت في سيرة أهل البيت (عليه السلام) - وهم القرآن الناطق - ولناخذ مثلاً من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام)

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١٠/٧٩/ح ٦، عن الاختصاص: ١٥١، ورواها الشيخ الصدوق في

الأمالي عن الإمام الصادق عن أبيه (عليه السلام).

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٣٩، دعاء عرفة.

تعريجاً على ذكره، فقد روت كتب التاريخ والمقاتل<sup>(١)</sup> أن الحر الرياحي وكتيبته البالغة ألف فارس من جيش الأمويين لما خرجوا لاعتراض ركب الإمام الحسين (عليه السلام) في الطريق بلغ بهم العطش والإعياء أقصاه حتى أشرفوا على الهلاك فتلقاهم الإمام (عليه السلام) وسقاهم ثم سقى خيولهم بيده الشريفة، ولما حاصره القوم في كربلاء ومنعوه وأهل بيته وأصحابه حتى الرضع من الماء ففوضوا عطشى لم يرو أحد أن الإمام الحسين (عليه السلام) ذكرهم بموقفه ذاك أو أنه (عليه السلام) طالبهم بالجزاء على احسانه أو قال لهم اسقوني كما سقيتكم في الطريق، لأنه من أولئك الذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. فسلام الله عليكم يا أهل البيت الطاهر يا سادة الأحرار المنعتقين من عبادة غير الله، ويا رموز الإباء والسمو والإنسانية.

(١) أنظر: الإرشاد - الشيخ المفيد: ٧٧ / ٢.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾

كثيرة هي نعم الله تبارك وتعالى على العباد جلّت عن العد والإحصاء ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤) (النحل: ٨٨)، وإن كثيراً منها مغفول عنها، يتنعم بها الناس من دون التفات إليها؛ للجهل بها أو لاعتيادها، وقد يعرفونها ويدركون قيمتها لكنهم يجحدون المنعم والمسبب الحقيقي ويتشبثون بالأسباب المادية الظاهرة، ومنها نعمة<sup>(١)</sup> النوم ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٤٧) حيث تتعطل الكثير من الحواس والأعضاء عن وظائفها ويدخل الإنسان في حالة سبات أي حالة انقطاع عن العمل وتعطيل الحركة من أجل الراحة والاستجمام ويحصل بسببه تجديد النشاط، مما يعني أن حركة ما تحصل خلال النوم حتى أن المريض يجد تحسناً في حالته، وقد أفادت بعض المصادر العلمية بأن (الإنسان لا يستطيع الإدمان في

(١) ونذكر هنا باختصار من فوائد النوم بحسب ما ورد في عدة مصادر علمية متخصصة فقالوا: إن الحصول على القدر الكافي من النوم له أهمية في المحافظة على قوة الجهاز المناعي، إذ وجدت الدراسات أن قلة النوم تجعل الإنسان أكثر عرضة للإصابة بالأمراض المختلفة كالانفلونزا. وأنه يقلل خطر الإصابة بأمراض السكر والقلب والضغط والسمنة. وأنه يحسّن من إنتاجية الشخص وتركيزه في عمله. ويحافظ على كفاءة التواصل بين الخلايا العصبية ويطرد السموم المتراكمة في الدماغ خلال اليوم. ويقلل من التوتر العصبي ويقوّي الذاكرة ومراكز صنع القرار. يحسّن المزاج ويحافظ على التوازن العاطفي تجاه الحوادث.

الشغل وترك النوم لأكثر من عشرة أيام، ثم الموت قطعاً<sup>(١)</sup>.

والآية الكريمة تقع ضمن سلسلة من الآيات تبدأ بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبا: ٦-٩) إلى آخر الآيات، فالسؤال ليس فقط لمجرد إلفات النظر إلى هذه النعم حتى يؤدي الإنسان حق شكرها، وإنما للاستدلال بهذه الآيات الكونية والأنفسية ﴿سَرِّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣) على عظمة الله وسعة رحمته وحكمته وقدرته على البعث والنشور بهذا الخلق في الحياة الدنيا ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الإسراء: ٥١) ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١١٠) ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨-٧٩)، ولنقل الإنسان إلى عوالم معنوية لا يدركها إلا من خلال هذا التأمل والتدبر في آيات الله تعالى.

فالآية الكريمة تستنطق الفطرة وتستثير الضمير بهذه التساؤلات ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا..﴾ وتُشهد العقل ليكون الإيمان بالله تعالى راسخاً لأنه عن وعي ومعرفة وتأمل، فإن هذه الآيات كافية للوصول إلى العقائد الحقّة، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

(١) الفرقان في تفسير القرآن: ٢٩ / ٢٩٦. النوم والإقامة (هينوتيزم: ١٢).

يَسْمَعُونَ ﴿ الروم: ٢٣ ﴾ فكما أن الحركة والنشاط والسعي في الأرض من آيات الله تعالى، فإن السبات آية أخرى.

وإن في النوم والاستيقاظ بعده مثلاً يقرب حالة الموت والبعث بعده لأن النوم موت مصغر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢) ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٦٠).

لذلك يذكّرنا أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه النعمة وهو يدعو في كل صباح: (يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه، وأيقظني إلى ما منحني به من مننه وإحسانه، وكفّ أكفّ السوء عني بيده وسلطانه)<sup>(١)</sup>.

ويدرك قيمة هذه النعمة المحتاج إليها أكثر من غيره كالذي حصل في معركة أحد للمسلمين المهزومين المثقلين بالقتل والجراح وتأنيب الضمير ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَىٰ - طَآئِفَةً مِّنْكُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٤)، وكذا قبيل معركة بدر حينما أربعهم جيش المشركين بتفوقه في العدة والعدد قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (الأنفال: ١٧).

وقد لا يعرف الإنسان قيمة هذه النعمة حتى مع تذكره بها لكنه إذا تصوّر أنه كم مريض قضى ليلته وهو يتقلب على فراشه من الألم، وكم من مسجون طال

(١) مفاتيح الجنان: ١٢٦، دعاء الصباح. بحار الأنوار: ٣٣٩ / ٨٤، عن كتاب الاختيار.

ليه وهو يعاني قسوة التعذيب بأيدي الجلادين، وكم من مهجّر أو مسافر زاده الليل اضطراباً وهو في وحشة الطريق ومفارقة الأهل والأوطان، وكم من خائف فاقِدٍ للأمن والاستقرار يُرعبه الليل الثقيل حتى ظن أنه لا ينقضي، وكم من جندي يقاتل الأعداء لا يستطيع أن يطبق جفونه خوفاً من مباغته العدو، وكم من شخص قضى ليلته هذه في قبره وحيداً فريداً تخلّى عنه الأهل والأحباب وبقي مرتهناً بعمله، وأنت معافى من ذلك كله تتمتع بنومة هادئة هنيئة، وتستيقظ معافى.

هذه الحالة التي يصفها دعاء الجوشن الصغير المروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) وفيه قوله: (إلهي، وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أُمْسَى وَأَصْبَحَ خَائِفاً مَرْغُوباً مُشْفِقاً وَجِلًّا هَارِباً طَرِيداً مُنْجَحِراً فِي مَضِيقٍ وَمَخْبِأَةٍ مِنَ الْمَخَابِي قَدْ ضَاقتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا، لَا يَجِدُ حِيلَةً وَلَا مَنجًى، وَلَا مَأْوًى، وَأَنَا فِي أَمْنٍ وَطَمَئِينَةٍ وَعَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أُنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَأَثَمِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ)<sup>(١)</sup>، وفي هذا الدعاء فقرات كثيرة تنتهي كلها بهذه الصلوات والشكر.

ويرتبط النوم بالليل ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النمل: ٨٦) وقد توصل العلم الحديث إلى حقيقة أن النوم في الليل هو الذي يحقق الغرض التام من النوم للأعصاب وسائر الأعضاء الأخرى كتعزيز الجهاز المناعي وتنظيم السكر وزيادة التركيز والحيوية والمحافظة على الوزن، لذلك فإن الذين يسهرون في الليل وينامون في

(١) مفاتيح الجنان: ٢٠٢، دعاء الجوشن الصغير. بحار الأنوار: ٩١ / ٣٢٢-٣٢٣.

النهار كالحراس الليلين أو العابثين<sup>(١)</sup> بالأجهزة الإلكترونية لا يحصلون على نفس النتائج بغض النظر عن أهل المقام المحمود الذين ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (الذاريات: ١٧) فإن لهم عالمهم الخاص، لذا يذكرنا الله بهذه النعمة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: ٢٢).

فهل يحتاج المشككون في الخالق العظيم إلى أزيد من هذا؟  
﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: ٢٢).

---

(١) ذكرت المصادر العلمية أن من أضرار السهر:

تعب العقل فلا تعمل بكفاءة، وتصبح الأخطاء في الأداء والدراسة والعمل أكثر شيوعاً. والشعور بالنعاس طوال النهار وفقدان النشاط والحيوية، العصبية والانفعال والعدوانية في التصرفات. والصداع المؤلم والمزعج. ونسيان المعلومات، حيث يعمل النوم على حفظ المعلومات التي يتلقاها الإنسان خلال يومه. والتأثير على عمل ونشاط القلب، فيؤدي السهر المتكرر إلى تقليل نشاطه.

## القبس/٢٢٩

سورة النبأ: ﴿١﴾

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

موضوع القبس: الناس تتمنى يوم القيامة أن لو كانوا من شيعة  
علي (عليه السلام)

قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا  
قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: ١٩).

صورة لأحد مشاهد يوم القيامة يظهر فيها الكافر وكل ظالم لنفسه بالمعاصي  
والذنوب الذي أضاع آخرته لدنيا هزيلة تافهة ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾  
(إبراهيم: ٣٢)، وهو في أقسى حالات الشعور بالندامة والأسف وهول الموقف ﴿يَا  
حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦) حينما تعرض عليه أعماله فينظر  
فيها بصورتها الظاهرية ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا  
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠) ﴿وَوَجَدُوا  
مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ (الكهف: ٩٨) ويعيش حقائقها الواقعية التي هي جزاءاتها ﴿هَلْ  
تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩٠).

وتجسّم الأعمال يكون أبلغ في الحجة وأوقع في الجزاء للعاصين كما  
للمطيعين، حيث تظهر على حقيقتها بلا تزويق أو رياء أو نفاق أو خداع، فيتألم بها

غاية الألم ويعضّ على أصابعه حسرة على ما فرط في أمر آخرته حيث لا ينفعه ندم ﴿وَلَا تَحِثُّ مَنَاصٍ﴾ (ص: ٣) فإن هذا المصير البائس صنعه بنفسه لنفسه بما كسب من أعمال سيئة ﴿مَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ﴾ وإنما ذكرت اليد لأن غالب الأعمال تنجز بها، أو لأن في اليد تعبيراً عن القدرة التي ينجز بها سائر الأعمال، وإلا فإنه مسؤول عن أعمال كل جوارحه كاللسان والعين والرجل والأذن وغيرها. وقد دعاه الله تعالى إلى أن ينظر لنفسه فأنهما واحد في مقاييس الآخرة، ويحسن اختيار مصيره والمستقبل الذي يصنعه فإن عاقبته منوطة باختياره وأن يقدم ما يستطيع من دنياه لآخرته فإن الدنيا مزرعة الآخرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر: ١٨) ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (المزمل: ٥٠).

ولعل ﴿يَنْظُرُ﴾ هنا بمعنى ينتظر فإنهما واحد في مقاييس الآخرة، فالكافر والظالم ينتظر برعب وقلق نشر صحيفة أعماله التي سودها بالمعاصي، كالمطالب الفاشل الذي يتمنى أن يدفن رأسه في التراب يوم توزيع نتائج الامتحانات ويتمنى أن لا تنشر ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩).

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ فليس له أي عذر أو مسوغ، لأن النذر والمواعظ تواترت من الله تبارك وتعالى على لسان الأنبياء والرسل وأوصيائهم (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد مهدت الآية السابقة بالتذكير بأن يوم القيامة

والحساب حق لا ريب فيه فليبادروا وليستثمروا الفرصة ما داموا موجودين في الدنيا قبل فواتها ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً﴾ (النبا: ٣١).  
 والتخويف والإنذار أبلغ في هداية الناس وإصلاحهم من الترغيب، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (المؤمن بين مخافتين: ذنبٍ قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمرٍ قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فلا يصبح إلا خائفاً، ولا يصلحه إلا الخوف)<sup>(١)</sup>.

وهذا اليوم قريب لأنه آتٍ بلا شك وكل آتٍ قريب، ولأن الإنسان مهما عمّر في الدنيا فإن وجوده فيها لا يتجاوز لحظة في عمر الزمن، ويكون لا شيء إذا قيس إلى الخلود في الآخرة، وفي الحديث الشريف (الدنيا ساعة فاجعلها طاعة)<sup>(٢)</sup>، وإنه بموته يدخل عالم الآخرة وتنقطع فرصة عمله قال النبي (صلى الله عليه وآله): (إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، يرى ما له من خيرٍ وشرٍ)<sup>(٣)</sup>، بل القرب متحقق الآن لأن الأعمال التي سيجزى بها الإنسان معه وملازمة له فهي شديدة القرب والصلوق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٤٩) لكنهم غافلون عن هذا القرب، فالذي أغراهم بالمعاصي وعدم التمسك بالدين ظنهم بأن يوم القيامة بعيد وقد لا يأتي ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق: ٣٥) ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٣).

(١) الكافي: ٢ / ٧١ / ح ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٧ / ٦٨ مرسلًا في عرض كلامه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكرره في ٧٤ / ١٦٤.

(٣) ميزان الحكمة: ٨ / ٢٠٧.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبا: ٢٨) وحينئذ يتمنى الكافر والظالم لو كان تراباً لا قيمة له تطأه الأقدام بنعالها ولا يقع في هذا الموقف المهول القاسي، وفي بعض التفاسير<sup>(١)</sup> أن القائل إبليس إذ يتمنى أن يكون أصله من تراب كآدم (عليه السلام) وليس من نار مما أوجب استكباره وعصيانته، وهو معنى لا بأس به إلا أنه لا داعي لحصر اللفظ العام للآية بهذا المصداق فقط.

وإنها لنتيجة مؤسفة أن يتمنى الإنسان الذي كرمه الله تعالى وجعله خليفته في الأرض وأهله ليكون أفضل من الملائكة، أن يكون تراباً لأنه يرى أنه أحقر من التراب، ويرى أن التراب أفضل منه، فقد كان مصدر غذائه وكان مباركاً تضع فيه البذرة فيعطي أنواع الثمار الطيبة، والكافر لا خير فيه بل كان جالباً للشر والنكد له ولغيره، فالتراب أفضل من الكافر.

ولتراب الأرض قيمة معنوية في حياة الإنسان لانتماؤه إليه وتعلقه به وحينئذ إليه، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحينئذ إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه)<sup>(٢)</sup>؛ لذا كان للتراب رمزية كبرى في حياة الإنسان والمجتمعات تصل إلى حد التضحية بالنفس من أجل حفظه وسلامته ويعدونه من المقدسات، لذلك تفاعل المسلمون خيراً لما حملهم كسرى وقرأ من تراب ونثره على الرسول إهانة لهم وجواباً على دعوتهم إياه للإسلام أو

(١) كتفسير الفخر الرازي والقرطبي والآلوسي.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤ / ٢٦٤ ح ٣.

يدفع الجزية أو القتال، فعادوا إلى القائد العام سعد بن أبي وقاص مستبشرين بالظفر وفتح بلاد فارس وتملك أرضها<sup>(١)</sup>.

وعلى أي حال فإن تمنّي الكافر أن يكون تراباً يمكن أن يكون له عدة معانٍ:

١- إنه تراب الذي هو أصل الإنسان قبل أن يخرج إلى الدنيا أي يتمنى أنه لم يخلق أصلاً.

٢- أنه تراب حينما كان رميماً في القبر حيث يعود إلى أصله فيتخلص من النشر والحشر.

٣- أو أنه جماد ولو في أتفه صورة كالتراب الذي تطأه الأقدام والأحذية ولا يحمل الأمانة ولا يكون مكلفاً بشيء يحاسب عليه.

٤- ((وقيل إنه يتمنى حينئذ أن يكون تراب سجدة المؤمن تنطفئ به عنه النار، وتراب قدمه عند قيامه في الصلاة، فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه))<sup>(٢)</sup>.

٥- أو أنه كان طيباً متواضعاً طيباً لله تبارك وتعالى كالتراب الذي شرفه الله تعالى بأن كان أصل الإنسان ومبدأ خلقه وإليه معاده ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥١)، وهو محل سجوده وبه طهوره قال النبي (ﷺ): (أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)<sup>(٣)</sup> حتى وصف الإنسان الصلب في إيمانه المتمسك بالمبادئ والزاهد عن الدنيا بأنه ترابي.

(١) تاريخ الطبري: ١٩/٣.

(٢) روح البيان: ٢٩٢/١٠ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧)، طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٣) وسائل الشيعة: ٩٧٠/٢.

وأكمل مصاديق هذا المعنى أن يكون مسلماً موالياً لأهل البيت (عليه السلام) متمسكاً بنهجهم القويم، وهذا المعنى مروي عن أهل البيت (عليه السلام) كقول الإمام الصادق (عليه السلام): (ترابياً يعني علوياً يوالي أبا تراب)<sup>(١)</sup>.

ويشهد له أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام): (يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة)<sup>(٢)</sup> وقد كنى (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) بأبي تراب، فشيعة علي (عليه السلام) شُبّهوا بالتراب لأنهم أهل السجود والطهور وأهل التواضع، وهم مباركون معطاءون بحسب ما قدمنا من أوصاف التراب وأمير المؤمنين (عليه السلام) أبو الترابين المبدئين المباركين الراسخين في الإيمان والمعرفة لذلك كانت هذه الكنية أحبّ أسمائه إليه.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن عباية بن ربعي قال: (قلت لعبد الله بن عباس، لم كنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أبا تراب؟ قال لأنه صاحب الأرض، وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها وإليه سكونها، ولقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال يا ليتني كنت تراباً - يعني من شيعة علي - وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾)<sup>(٣)</sup>.

قال العلامة المجلسي (قده) تعليقا على الرواية: ((يمكن أن يكون ذكر الآية لبيان وجه آخر لتسميته (عليه السلام) بأبي تراب، لأن شيعته لكثرة تذللهم له وانقيادهم

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٩٧/١٠.

(٢) بحار الأنوار: ١١/٣٦، مفردات الراغب مادة (أي).

(٣) علل الشرائع: ١/١٥٦ ح ٢.

لأوامره سُمُوا تراباً كما في الآية الكريمة، ولكونه (ﷺ) صاحبهم وقائدهم ومالك أمورهم سمي أبا تراب، ويحتمل أن يكون استشهاداً لتسميته (ﷺ) بأبي تراب، أو لأنه وصف به على جهة المدح لا على ما يزعمه النواصب لعنهم الله حيث كانوا يصفونه (ﷺ) به استخفافاً، فالمراد في الآية: يا ليتني كنت أبا ترابياً، والأب يسقط في النسبة مطرداً، وقد يحذف الياء أيضاً<sup>(١)</sup> كما يقال قرشي لمن انتسب لقريش.

والمعروف في مصادر الفريقين أن النبي (ﷺ) كنى أمير المؤمنين (ﷺ) بأبي تراب في غزوة العشيرة قبل معركة بدر بأربعة أشهر، روى عمار بن ياسر قال: (كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فقال لي علي: هل لك يا أبا اليقظان في هذا النفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون: فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة، ثم غشنا النوم، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه، فوالله ما هبنا إلا رسول الله (ﷺ) فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله (ﷺ) لعلي (ﷺ): يا أبا تراب، لما عليه من التراب، فقال: ألا أخبركم بأشقى الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع رسول الله (ﷺ) يده على رأسه - حتى يبل منها هذه - ووضع يده على لحيته-<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ٣٥ / ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ١٩ / ١٨٨، سيرة ابن هشام: ٢ / ١٧٧، تاريخ الطبري: ٢ / ٢٦٢ حوادث السنة الثانية، البداية والنهاية: ٣ / ٢٤٧، مسند أحمد: ٤ / ٢٦٣، مستدرک الحاكم: ٣ / ١٤٠، أنساب الأشراف: ٢ / ٩٠ وغيرها من مصادر العامة.

وقد نظم الشاعر المجيد عبد الباقي العمري الأفندي بهذه المنقبة لعلّي  
(عَلَيْهِ السَّلَامُ) بأبيات قال فيها:

يا أبا الاوصياء أنت لطفه      صهره وابن عمه وأخوه  
ان لله في معانيك سرّاً      أكثر العالمين ما علموه  
أنت ثاني الآباء في منتهى الدو      رو آبأؤه تعدّ بنوه  
خلق الله آدمًا من تراب      فهو ابن له وأنت أبوه<sup>(١)</sup>

أقول: نقلها ابن أبي الحديد في شرح النهج وقال: (فكانت هذه الكنية أحب  
كناه إليه لكون النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كناه بها وكان أعداؤه من بني أمية وأتباعهم لا  
يطلقون عليه غيرها كأنهم يعيرونه بها مع أنها موضع الفخر ودعوا خطباءهم أن  
يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له فكأنما كسوه بها الحلي والحلل كما قال  
الحسن البصري)<sup>(٢)</sup>.

أقول: لقد سنّ عثمان لهم هذا الطعن في علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقد ورد في قضية  
الصحابي الجليل أبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) أنه (جاء علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال له  
عثمان: ألا تغني عنا سفيhek هذا. قال: أي سفيه؟ قال: أبو ذر. قال علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ):  
ليس بسفيه، سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء،  
أصدق لهجة من أبي ذر، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون، ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ  
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾ (غافر: ٢٨). قال عثمان:

(١) الباقيات الصالحات: ديوان الشاعر عبد الباقي العمري الموصلي: ص ٤٦، ط. دار الشريف  
الرضي.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٢/١.

التراب في فيك. قال علي (عليه السلام): بل التراب في فيك، أنشد بالله من سمع رسول الله (ﷺ) يقول ذلك لأبي ذر، فقام أبو هريرة وعشرة فشهدوا بذلك، فولى علي (عليه السلام) <sup>(١)</sup>.

وقد حرف حسّاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وأعداؤه مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)، تارةً بنسبتها إلى غيره كولادته في جوف الكعبة، وتارةً بتحريفها لتكون مثلبة كافترائهم إغضابه للزهراء (عليها السلام) بخطبة بنت أبي جهل، وهذا ما حصل في هذه القضية، قال ابن هشام في سيرته بعد أن ذكر رواية عمار بن ياسر المتقدمة وهي الصحيحة التي رواها الفريقان ((وقد حدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله (ﷺ) إنما سمى علياً أبا تراب: أنه كان إذا عتب علي فاطمة (عليها السلام) في شيء لم يكلمها، ولم يقل لها شيئاً تكرهه، ألا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه، قال: فكان رسول الله (ﷺ) إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب علي فاطمة، فيقول (ﷺ): ما لك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أي ذلك كان)) <sup>(٢)</sup>.

أقول: وزاد البخاري بأن علياً (عليه السلام) ((كان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة فوجده رسول الله (ﷺ) نائماً وقد ترب جنبه، فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول: قم يا أبا تراب)) <sup>(٣)</sup> فكانهم أرادوا أن يقولوا أن علياً (عليه السلام) كان أيضاً يؤذي فاطمة وليس الشيخان فقط، وأن فاطمة (عليها السلام) كانت تغضب علياً (عليه السلام) وليس فقط عائشة وحفصة تغضبان رسول الله (ﷺ).

(١) الأماشي للشيخ الطوسي: ٧١٠.

(٢) سيرة ابن هشام: ١٧٧/٢ ط. دار الجيل.

(٣) هو حديث سهل بن سعد الآتي روي بعدة طرق باختلاف يسير في الألفاظ.

لكن كذب هذه الأحاديث واضح فإن الحياة الزوجية بين أمير المؤمنين وفاطمة (عليها السلام) أظهر وأسمى وأنقى من هذه التفاهات؛ لأنها مبنية على المعرفة التامة لكل منهما بمقام الآخر، وكلاهما من أهل بيت العصمة الذين طهرهم الله تعالى من كل رجس وخطأ وزلل، وقد كذب أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأحاديث الموضوعة، فقد قال في حق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام): (فوالله ما أغضبته، ولا أكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتكشف عني الهموم والأحزان)<sup>(١)</sup>.

مضافاً إلى أن الطبري رواه في تاريخه خالياً من إغصاب فاطمة (عليها السلام) حيث روى أنه ((قيل لسهل بن سعد الساعدي أن بعض أمراء المدينة - وهو مروان بن الحكم - يريد أن يبعث إليك تسبُّ علياً عند المنبر، قال: أقول ماذا؟ قال: تقول أبا تراب، قال سهل: والله ما سماه بذلك إلا رسول الله (ﷺ)، قال: قلت وكيف ذلك يا أبا العباس؟ قال: دخل عليّ (عليه السلام) على فاطمة (عليها السلام) ثم خرج من عندها فاضطجع في فيء المسجد، قال: ثم دخل رسول الله (ﷺ) على فاطمة فقال لها: أين ابن عمك؟ فقالت: هو ذلك مضطجع في المسجد، قال فجاءه رسول الله (ﷺ) فوجده قد سقط رداءه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل

(١) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، كشف الغمة: ١/ ٣٦٣، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٣٤.

يمسح التراب عن ظهره ويقول: أجلس يا أبا تراب، فوالله ما سماه به إلا رسول الله (ﷺ) ووالله ما كان له اسم أحبُّ إليه منه))<sup>(١)</sup>.

أقول: رغم كذب روايتهم، إلا أنَّ فيها إقراراً منهم بعظمة وجلالة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عند أمير المؤمنين (عليه السلام) بحيث لا يتفوه بكلمة عتاب إذا اختلف معها في قضية معينة.

وإذا أردنا حمل رواية سهل على معنى مقبول فإن علياً (عليه السلام) لما دخل على فاطمة (عليها السلام) ورآها قد (مجلت يداها - من الطحن بالرحى - وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضر شديد)<sup>(٢)</sup> فأشفق على حالها وشعر بالانكسار لأنه زوجها وكان يريد لها حياة خالية من المتاعب والمصاعب، وعبر عن ذلك بوضع التراب على رأسه كما هو معروف في حالات الحزن لأنه لا يرضى بأذى السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وإن كانت هي راضية طاعة لله تبارك وتعالى، وفي ذلك تربية للأزواج في احترام بعضهم، وتقدير جهودهم والاعتذار عن كل تقصير.

---

(١) تاريخ الطبري: ٦٢/٢ حوادث السنة الثانية.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣٢١/١.

### ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

﴿فَلْيَنْظُرِ﴾ دعوة من الله تعالى للنظر بتدبر وتأمل وتفكر وليس مجرد النظر بالعين، وإن كان هذا النظر فيه فائدة نفسية وصحية كما أثبت العلم الحديث خلال هذه الأيام.

وهذه الدعوة موجهة الى ﴿الْإِنْسَانُ﴾ كل انسان يمتلك مقومات الإنسانية بأن يكون له عينٌ يبصر بها وله اذن يسمع بها، وله عقلٌ يفهم به، وليس كالذين ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

والحياة كلها حولنا مليئة بالعبر والدروس، لكن الله تعالى اختار لنا الطعام لتدبر فيه ونأخذ منه الموعظة لأنه ألصق الاشياء بالإنسان في هذه الدنيا وحاجته اليه يومية ومستمرة وبه ديمومة الحياة، فأخذ العبرة منه يكون سهلاً ومؤثراً.

وحينئذٍ يحصل الانسان من هذا النظر والتأمل على عدة دروس ويلتفت الى عدة امور:

الأول: في الآية احتجاج على منكري وجود الخالق فيخاطب عقولهم ويقول لهم أنظروا الى هذه المفردة في حياتكم التي تشتركون جميعاً في التعاطي معها ، كيف وجدت وهيئت لها الظروف المناسبة ولاحظوا تنوع النباتات وكلها ترجع في أصلها الى عناصر واحدة وهي المعروفة كيميائياً وانما اختلفت في نسب

تركيبها، ولا حظوا تنوع استخداماتها فبعضها طعامٌ أساسي وبعضها فواكه للتمتع لكم وبعضها للإنعام وبعضها للدواء وبعضها للألبسة أو الفراش كالقطن والكتان ونحو ذلك، وحينئذٍ لا بد أن يحكم العقل بوجود خالق مدبر حكيم عالم قادر ولا يمكن أن تحصل كل هذه التفاصيل في هذا الطعام من دونه، ومن يقول ذلك - كالملاحدين - أو يجعل له شريكاً لا يمتلك هذه الصفات فإنه لا يحترم عقله.

الثاني: وفي الآية احتجاج على منكري المعاد ودليل على قدرة الله تعالى على بعث الأموات ونشرهم فكما أن الأرض الميتة إذا سقيت بالماء تنبعث فيها الحياة وتخرج منها أنواع الشجر والثمار فكذلك يكون بعث الموتى من قبورهم، ومثل هذه الاحتجاجات كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر: ٦١) ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحج: ٥-٦)، وقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).

الثالث: شكر الله تعالى والاعتراف بالعجز عن تعداد نعمه فضلاً عن شكرها، فلو تأمل الإنسان في الطعام وأنواعه وكيفية وصوله إليه لأيقنَ بأن نعم الله تعالى لا تُعد ولا تحصى، حُذ مثلاً رغيف الخبز الذي يشترك كل الناس في تناوله وهو الجزء الأساسي من الطعام وتأمل فيه النعم ابتداءً من خلق الأرض وشقها حتى

تستطيع مص الماء واخراج النبات وتجهيزها بالعناصر الأساسية لتغذية النباتات وقابلياتها على الانبات ،ومن فلق الحبة وخلق البذرة التي هي أصل النبات ، وأنزل من السماء الماء الذي هو أصل كل شيء حي وفق منظومة عجيبة من تبخر الماء وتكاثفه ونزوله، وخلق الشمس والهواء الضرورية لنمو النبات وتغذيته ،ومن ثم تعليم الانسان الزراعة والعناية بالسنبال حتى تنضج ثم حصدها وتنقيتها ثم نقلها وطحنها وعجنها وخبزها فكم من الناس عملوا ، وكم من الاجهزة والآلات سُخرت لك حتى يصل اليك هذا الرغيف الذي لا يلتفت اليه أحد ولا ينظر الى ما وراءه من النعم ، لاحظ بقية الآية ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ • أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا • ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا • فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا • وَعَيْنًا وَقَضْبًا • وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا • وَحَدَائِقَ غُلْبًا • وَفَاكِهَةً وَأَبًّا • مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢).

الرابع: أن ينظر الانسان في طعامه ليتأكد من كونه حلالاً طيباً، لأن الذين يأكلون الحرام ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ٧٠)، ولكي يكون الطعام حلالاً لا بد ان تنظر في عدة جهات:

- (منها) نفس الطعام كأن يكون اللحم مذكى وغير مخلوط بمادة محرمة او نجسة كبعض الحلويات المخلوطة بجيلاتين حيواني من دولة غير مسلمة أو الصمون الذي يُطلى بفرشاة مصنوعة من شعر الخنزير، أو يكون الطعام غير مأذون في تناوله من قبل صاحبه لسبب أو آخر.
- (ومنها) طريقة تحصيله وكسبه فلا يكون بمعاملة محرمة وما أكثرها في

السوق حتى ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من أراد التجارة فليتفقه في دينه ليعلم بذلك ما يحلّ له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم أتعجّر تورط في الشبهات)<sup>(١)</sup>.

أو يسرق المال العام بطريقة غير شرعية، أو يأخذ حق غيره بحيلةٍ وخداع ونحو ذلك، فهذه الأمور كلها يجب الانتباه إليها حتى يضمن كون الطعام حلالاً طيباً، ولكل شريحة في المجتمع كالأطباء والمحامين والتجار والصيدالة والعمال والمدرسين وغيرهم فقهٌ خاص بهم، وقد نشرنا العشرات من الكرايس في هذا المجال.

الخامس: أن يلتفت الى الجانب المعنوي للأية فان الطعام يُضرب مثلاً للعلم والمعرفة لأن كلاً منهما غذاء، فأحدهما للبدن والآخر للروح عن زيد الشحام عن أبي عبد الله (عليه السلام): (في قول الله عز وجل ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ قلت: ما طعامه قال (عليه السلام): علمه الذي يأخذه عمن يأخذه)<sup>(٢)</sup>.

وكما ان حاجة البدن للطعام دائمة ومستمرة، فإن حاجة الروح والقلب للعلم والمعرفة والموعظة والتذكير بالله تعالى دائمة ومستمرة قال تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)، وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله (إذا أتى عليّ يومٌ لا أزداد فيه علماً يُقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم)<sup>(٣)</sup>.

فلا بد أن ينظر الانسان في أحكامه الشرعية ومواقفه في مختلف شؤون الحياة ومنهجه وسلوكه عمن يأخذها، وهل إن ذلك الأخذ والرجوع بحجة شرعية

(١) وسائل الشيعة: ٢٨٣/١٢، أبواب آداب التجارة، باب ١/ ح ٤.

(٢) الكافي: ٣٩/١/ ح ٨.

(٣) ميزان الحكمة: ١٤٥/٦، عن كنز العمال: ح ٢٨٦٨٧.

معتبرة أم لا، فيلتفت الى كون مصادرها صالحة ليسعد الانسان روي عن الإمام الجواد (عليه السلام) قوله (من أصغى الى ناطقٍ فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس)<sup>(١)</sup> وهذا هو حال أغلب الناس ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح بحسب اهوائهم وامزجتهم وانفعالاتهم فيصبحون لقمة سائغة لكل من يريد أن يعبئهم لمشروعه الخاص.

وتراهم يستسلمون للإشاعات والأكاذيب التي تروجها وسائل الاعلام وكأنها حقائق حتى أصبحت هذه الاشاعات من أفكك الاسلحة التي توجه الى الخصوم لتقضي عليهم من دون قتال وتم القضاء معنوياً على جيوشٍ وعلى شخصياتٍ بالإشاعة والافتراء والتسقيط كمكائد عمرو بن العاص ومعاوية<sup>(٢)</sup> ضد جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) وتسقيط سعد بن عبادة وما حصل للإمام الحسن (عليه السلام) مع جيشه وغيرها من الشواهد، وما تمر به البلاد من كارثة أمنية وإنسانية شاهد حي على ذلك.

ولو أخذ الناس بالتعاليم القرآنية وتحققوا عن مصادر الخبر لما وقعوا في الأوهام والشكوك قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

(١) تحف العقول: ٣٣٦.

(٢) أنظر: الطبقات الكبرى - محمد بن سعد: ٢٥٧/٤ - موسوعة الإمام علي (عليه السلام) في الكتاب والسنة

والتاريخ - الريشهري: ٢٦٦/٦.

## القبس/٢٣١

### سورة الانفطار: ﴿٦﴾

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ﴿٦﴾) وهو خطاب موجّه الى الانسان على شكل سؤال واستفهام لكنه ليس لطلب المعرفة لان الله تعالى محيط بكل شيء علما، وإنما هو استنكاري لتوبيخ وعتاب المخاطب وتعجب من عصيان الانسان لربه الكريم وتنبيه العاصي لقبيح فعله، فظاهر السؤال عن العلة وسبب الاغترار وحقيقته عن النتيجة وما حصل بالاغترار أي محاسبته على ما صدر منه من معاصي فيسأله ما الذي غرّر بك ودفعك وسوّ لك حتى عصيت ربك الكريم وتمردت عليه، وهذا فعلٌ مخالف للفطرة الإنسانية التي توجب مقابلة الإحسان بالإحسان، لذا يصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (أحمق الحمق الاغترار)<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرت الآية عدة عناصر تجعل الحجة أبلغ والتوبيخ أعنف: (أولها) توجيه الخطاب اليه بما انه انسان عاقل مدرك للمسؤولية ولقواعد التعامل وقد أنعم الله تعالى عليه بنعم لا تعد ولا تحصى وقد ذكرت الآيات التالية بعضاً منها ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (الانفطار: ﴿٧﴾) الخ، وليذكره بأنّ انسانيته هي أعظم النعم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ﴿٦٠﴾).

(ثانيها) ويقول له: انك بمعصيتك تجاوزت على ربك الذي تولى تربيتك ورعايتك وصناعتك ودبر شؤونك كلها وانت لا تعلم.

(ثالثها) وتعديت على الكريم الذي أغدق عليك النعم من دون مقابل ولا توقع نفع منك فإنه تعالى غني عن العالمين، وقد كان من كرمه أنه حلم عنك ولم يعاجلك بالعقوبة وفتح لك باب التوبة والرجوع ولم يمنعه طول العكوف على المعصية من الاستمرار في إحسانه، ولم يقف كرمه عند العفو عن السيئات بل يبدلها إلى حسنات وغير ذلك من مظاهر الكرم.

والتغدير: الخداع والاستغفال والتجهيل بإراءة ظاهر محبوب تميل اليه النفس لكنه لا حقيقة له واخفاء الباطن والحقيقة حتى يسوقه الى الغرض الذي يريده على غفلة منه فإثارة السؤال فيه تنبيه من الغفلة والقات نظر الانسان إلى ما هو عليه من حالة الاغترار الذي ادى به لهذا التجاوز الكبير وتحذير من الوقوع فيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سكر الخمر)<sup>(١)</sup>.

والمستفاد من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة أن أسباب الاغترار الموجب للوقوع في المعصية عديدة منها:

١- المظاهر الدنيوية الخداعة من مال وجاه ومناصب وانتماءات وعصبيات ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (الأنعام: ٧٠) ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥) اي الخداع والوهم، عن أمير

المؤمنين (عليه السلام) قال (لا تغرّنك العاجلة بزور الملاهي، فإن اللهو ينقطع ويلزمك ما اكتسبت من المآثم)<sup>(١)</sup>.

٢- تزيين إبليس وجنوده ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣) والغرور صفة مشبهة لكل من تأصل فيه تغرير الآخرين لذا فُسّر بالشیطان لانه كذلك ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء: ٧٠).

٣- أمانى النفس واهواؤها وميلها الى اللذات واتباع الشهوات والعجب والاتكال على الذات ﴿وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الحديد: ١٤). من وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لابن مسعود (لا تغترّن بصلاحك وعلمك وعملك وبرك وعبادتك)<sup>(٢)</sup> وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (جماع الشرّ في الاغترار بالمهل، والاتكال على العمل) وقوله (غرور الأمل يفسد العمل) وقوله (كفى بالمرء غروراً أن يثق بكل ما تسوّل له نفسه)<sup>(٣)</sup>.

٤- مكر شياطين الانس وطواغيتهم ودجاليتهم والخداع والتضليل الذي يمارسونه والشبهات التي يلقونها ﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٤). روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله (لا تغرّنك الناس من نفسك، فإن

(١) غرر الحكم: رقم ١٠٣٦٣.

(٢) مكارم الاخلاق: ٣٥٠/٢.

(٣) غرر الحكم: رقم ٤٧٧١، ٦٣٩٠، ٧٠٥٣.

الأمر يصل اليك دونهم<sup>(١)</sup> أي لا تغرّك الناس من حولك ويوهمونك بأمور تسبب اغترارك، فإنك المسؤول عن افعالك وسوف يتخلّون عنك ولا ينفعونك بشيء وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (لا يغرّك بكاؤهم، فإن التقوى في القلب)<sup>(٢)</sup>.

ومنشأ الوقوع في هذه الاسباب يرجع الى الجهل روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه لما تلا الآية عقب مجيباً على السؤال: (جهله)<sup>(٣)</sup>، هذا الجهل يشمل جهل الإنسان برّبه وحقوقه عليه ولزوم طاعته وعليه أن يؤثر رضا ربّه على رضا نفسه أو أي أحد من المخلوقات، وان يتيقن انه بمحض خالقه وتحت نظره سبحانه (عميت عين لا تراك عليها رقيباً)<sup>(٤)</sup>، والجهل بمبدأ الانسان ومعاده ومآله، والجهل بحقيقة الدنيا الزائلة، والجهل بحقيقة الشيطان ومكره وخدعه وعداوته لبني آدم ونحو ذلك.

اما الانسان الصالح فانه كلما ازداد معرفة بربه الكريم يزداد طاعة ومحبة له تبارك وتعالى ويزداد خوفاً من عصيانه وغضبه سبحانه (سبحانك وبحمدك من ذا يعرف قدرك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما انت فلا يهابك)<sup>(٥)</sup>.

لذا قد يُنسب التغرير الى أسباب أخرى ليست هي بنفسها موجبة له، لكن الانسان لجهله وغفلته عن حقائق الأمور وعواقبها اغترّ بها كحلم الله تعالى وعدم

(١) بحار الانوار: ٣٢٣/٧٢ ح ٢.

(٢) بحار الانوار: ٢٨٣/٧٠ ح ٤.

(٣) الدر المنثور للسيوطي: ٤٣٩/٨.

(٤) مفاتيح الجنان، دعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

(٥) مفاتيح الجنان، من دعاء الصباح عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

أخذ العاصين بالعقوبة عند صدور كل ذنب، واغداقه النعم على الكفار، وستره على قبائح العباد، وهذه كلها من الصفات الحسنى وكرم من الله تعالى ورحمة بالعباد لكن الانسان لجهله يسيء الاستفادة منها قال الله تبارك وتعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۖ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران: ١٩٦-١٩٧) أي لا تجعل حلم الله تعالى بامهال الكفار وعدم معالجتهم بالعقوبة سبباً للاغترار والغفلة عن الحساب والعقاب.

وفي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في ليالي شهر رمضان المعروف بدعاء ابي حمزة الثمالي (وَيَحْمِلْنِي وَيَجَرُّنِي عَلَى مَعْصِيَتِكَ حِلْمُكَ عَنِّي، وَيَدْعُونِي إِلَى قَلَّةِ الْحَيَاءِ سِتْرِكَ عَلَيَّ، وَيُسْرِعُنِي إِلَى التَّوْبِ عَلَى مَحَارِمِكَ مَعْرِفَتِي بِسِعَةِ رَحْمَتِكَ، وَعَظِيمِ عَفْوِكَ)<sup>(١)</sup> وفيه أيضاً (الهي لَمْ أَغْصِكَ حِينَ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَاوِدٌ، وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخَفٌّ، وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَا لَوْعِيدِكَ مُتَهَاوِنٌ، لَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، وَغَلَبَنِي هَوَايَ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا شِقْوَتِي، وَغَرَّتَنِي سِتْرُكَ الْمُرْخَى عَلَيَّ).

أذن بهذا التقريب يمكن فهم معنى نسبة الاغترار الى حلم الله تعالى أو كرمه أو رحمته، وهذا دفع بعض المفسرين الى القول: (وانما قال الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لانه كان لقنه الإجابة حتى يقول غرتني كرم الكريم)<sup>(٢)</sup>. وهذا التلقين بحد ذاته مظهر آخر للكرم الإلهي.

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي: ٣٤٠، ٣٣٥.

(٢) حكاة في مجمع البحرين: مج ٢/٢٦٣ مادة (غرر) عن الشيخ ابي علي وفي مادة (لقن) ايضاً وذكره آخرون.

لكن السيد الطباطبائي (قُدِّسَ) اعترض على هذا الفهم قائلاً: (ومن هنا يظهر ان لا محل لقول بعضهم: ان توصيف الرب بالكريم من قبيل تلقين الحجة وهو من الكرم ايضاً، كيف؟ والسياق سياق الوعيد، والكلام ينتهي الى مثل قوله ﴿وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الانفطار: ١٤-١٥)، ولو كفى الانسان العاصي قوله (غرني كرمك) لصرف العذاب عن الكافر المعاند كما يصرفه عن المؤمن العاصي، ولا عذر بعد البيان<sup>(١)</sup>.

أقول: لا نجد وجهاً للاعتراض:

- ١- لان هذا المعنى وارد في كلام المعصومين (عليهم) كما تقدم.
- ٢- واتضح مما تقدم ان الكرم والرحمة ونحوهما ليست هي السبب المباشر للاغترار الانسان حتى يعترض عليه، وانما السبب سوء استفادة الانسان منها وهي حالة موجودة حتى مع كرام الخلق كما في الرواية عن الإمام الحسن المجتبى (عليه): (انه وجد شاة له قد كُسرت رجلها، فقال لغلام له: من فعل هذا؟ قال الغلام: أنا، قال: لم فعلت ذلك، قال: لأجل لك الهم والغم، فتبسم الإمام (عليه) وقال: لأسرُّكَ فاعتقه وأجزل له العطاء)<sup>(٢)</sup>. (ان علي بن الحسين (عليه) دعا مملوكه مرتين فلم يجبه فلما أجابه في الثالثة قال له: يا بني اما سمعت صوتي قال: بلى، قال فما بالك لم تجبني، قال: أمنتك، قال (عليه): الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني)<sup>(٣)</sup>.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٤٨/٢٠.

(٢) موسوعة المصطفى والعترة (صلى الله عليهم أجمعين) للشاكري: ٩٠ / ٥.

(٣) بحار الانوار: ٥٦/٤٦ ح ٦ عن ارشاد المفيد ومناقب ابن شهر آشوب إعلام الوري.

٣- ان هذا الاعتراف لا يفيد العاصي بل يوجب استحقاقه للعقوبة المضاعفة، لانه قابل الكرم والحلم والعفو بالعصيان والتمرد واغتر بالحسنة والنعمة فحوّلها الى سيئة ونقمة بدل شكرها وأداء حقها وأمن مكر الله تعالى، واذا نفعه هذا الجواب فلما فيه من الاعتراف بسعة كرم الله تعالى حتى طمع في معصيته وهذا الاعتراف أمر يحصل في الآخرة ولا علاقة له بمعاصيه في الدنيا.

٤- ان الكافر لا يستطيع ان يقول هذا الكلام لانه لم يكن يعتقد ولا يعرفه، وليس كرم الله تعالى الذي غرّه بالمعصية وإنما غرّه هواه وتسويل الشيطان وزخارف الدنيا. كما صرحت الآيات الكثيرة التي اوردناها في أسباب الاغترار.

٥- ان هذا التلقين لا يفهمه الا أهل المعرفة خصوصاً وان الآية لم تذكر بصراحة ووضوح: أيها الكافر او العاصي قل (غرّني كرمك) عندما تسأل: لماذا كفرت وعصيت، وانما اكتفت بوصف الرب بالكريم وفهم أهل المعرفة من ذكر هذا الاسم دون غيره انه إشارة الى هذا المعنى، فهذا التلقين للحجة لا يفهمه الا من يستحقه ومثل هذا لا يغريه كرم الله تعالى بالمعصية وانما بمزيد من الطاعات واجتناب المعاصي والاعتراف بالعجز والتقصير ((فاذا كان الفرد مستحقاً لفهمها كان مستحقاً لتطبيقها ويتحمل مسؤوليتها، اما السائرون في المعصية والموغلون في الرذيلة فلا يعرفونها ولا يفهمونها ابداً، وليس لهم التوفيق في الرجوع الى مصادر التفسير))<sup>(١)</sup>.

اقول: ولو قرأوها في التفاسير أو سمعوها من أحد فانهم لا ينتفعون بها لأنهم سيذهلون عنها.

---

(١) منّة المَنَّان في الدفاع عن القرآن للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر: ٣٧٩/٤.

٦- ان هذا السؤال يقع يوم القيامة بحسب الظاهر حيث يكون باب العمل والتكليف مغلقاً، وليس في الدنيا حتى يكون سبباً للتغريب بالعاصي، فقول (غرني كرمك) يكون لاستدرار الرحمة والعفو وليس للتمادي في الذنوب.

٧- ان السيد الطباطبائي يعلم ان هذا المعنى يليق بكرم الله تعالى، وان الله تعالى عند حسن ظن عبده، وانه عز وجل أكرم من ذلك، فقد يجيز كذب العبد اذا ادعاه تطبيقاً لقوله تعالى ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (يس:٥٧) ففي تفسير القمي بسنده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ) (إن آخر عبد يؤمر به الى النار، فاذا أمر به التفت، فيقول الجبار جلّ جلاله: ردّوه فيردّونه فيقول: لم التفت إليّ؟ فيقول: يا ربّ لم يكن ظني بك هذا، فيقول: وما كان ظنك بي؟ فيقول: يا ربّ كان ظني بك ان تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنتك، قال: فيقول الجبار: يا ملائكتي، وعزّتي وجلالي وآلائي وعلّوي وارْتفاع مكاني، ما ظنّ بي عبدي هذا ساعة من خير قطّ ولو ظنّ بي ساعة من خير ما روّعته بالنار، أجزوا له كذبه فأدخلوه الجنة<sup>(١)</sup>.

٨- انما نذكر هذه المعاني والروايات لنزداد معرفة بالله تعالى فنزداد حباً له تعالى وطاعة له سبحانه وتعلّقاً به ونزداد فخراً واعتزازاً بأن ربنا ومولانا هو هذا الرب الكريم وليس مثل الكفار والمشرّكين والملحدّين واللادينين الذين لهم آلهة وهمية مزيفة (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن

(١) بحار الانوار ٨٧/٧ عن ثواب الاعمال، وحكاة في هامش منّة المّنان: ٣٨٢/٤ عن تفسير القمي:

تكون لي ربا<sup>(١)</sup>.

وقد استقرب السيد الشهيد الصدر الثاني (قُلَيْبٌ) إفادة الآية لتلقيين الحجة، واحتمل وجهاً لا اعتراض السيد الطباطبائي على هذا المعنى قال فيه: ((ولعل الذي حدى بالسيد الطباطبائي الى نفي هذا المعنى لكي لا يكون كلام المشهور سبباً للذنوب، فجزاه الله خيراً، فقد سدَّ الباب وبَيَّن ان هذه الآية لا تعطي ذلك اطلاقاً حتى ان الناس اذا قرأوا القرآن او قرأوا التفاسير لا يكونون مطمئنين لذنوبهم، والا لو لا هذا العنوان الثانوي في الحقيقة - وهو انسداد باب الذنوب - فإن الآية تعطي ذلك حقاً (غرني كرمك) ولذا اوصي المبلغين وقادة المجتمع ان لا يركزوا على الروايات الباعثة على الاطمئنان والشفاعة وغفران الذنوب، لان الناس ليسوا على مستوى التطميع برحمة الله، فيفتح باب الذنوب ويستغل الشيطان هذه الثغرة للمرور إلى نفوس الناس وإغوائهم، وتكون ذممكم مشغولة من هذه الناحية، واذكر اني كنت ذات يوم في مجلس تعزية فصاح أحدهم (من صلى عليّ مرة لم تبقَ من ذنوبه مرة)<sup>(٢)</sup> فهذا القول قد يكون صدر من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غير أنه صدر للمستحق لا لمن لا يستحق، اما ان يعلن في مجلس عام فهو مصيبة من المصائب، لانها اذا وصلت الى غير المستحقين يتذرعون بها لاقتراف الذنوب واقتحام المعاصي، وحينها اعترضت على صاحب المجلس (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) - وكان من فضلاء الحوزة - ان لا يسمح بمثل ذلك)).

أقول: هذه المخاوف في محلها إذ ان هذا الفهم قد اسيء استخدامه لدى

(١) بحار الأنوار - المجلسي: ٩٤/٩١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٣/٩١، مستدرک الوسائل: ٢٣٤/٥ أبواب الذكر، الباب ٣١/ح ١٣.

العامة فعلاً فتراهم يوغلون في المعاصي والمنكرات ولما تنهى أحدهم يقول (الله كريم) وهذا جهلٌ فظيعٌ بعلاقة العبد بربه، وكأنهم لم يسمعوا الآيات الكثيرة كقوله تعالى ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧) وقوله تعالى ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ • وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر: ٤٩-٥٠) وفي دعاء الافتتاح في ليالي شهر رمضان (وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة) فلا بد من وضع هذه الإشارات الكريمة في سياقها الإيجابي الذي ذكرناه في النقطة (٨) وليس سياقها السلبي، وهذا المعنى للآية إنما يُذكر شاهداً على سعة كرم الله تعالى ليزداد المؤمن محبة وتعلقاً بربه وليس فيه دفع للمعاصي والعياذ بالله بل إن فيه تأكيداً للحجة البالغة على العاصين.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) عند تلاوته هذه الآية (أَذْخَصُ مَسْئُولٍ حُجَّةٌ وَأَقْطَعُ مُعْتَرٍّ مَعْدِرَةٌ لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَّ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فُتْظِلُّهُ أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِالْمِ يُمِضُ جَسَدَهُ فَتُبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبَرَكِ عَلَى دَائِكَ وَجَلَدَكِ عَلَى مُصَابِكَ وَعَزَّأَكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوَى مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بَعَزِيمَةٌ وَمِنْ كَرَى الْعَقْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بَيْقَظَةٌ وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعاً وَبَذْكُورِهِ آنِساً وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهِ عَلَيْكَ يَدْعُوكِ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلِّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا

أَجْرَاكَ عَلَى مَعْصِيَّتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطْعَمَهُ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفَقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذِمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِي الْأَعْمَالِ وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتَكَ وَلَكِنَّ بِهَا اغْتَرَرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتِ وَأَذْنَتِكَ عَلَى سَوَاءٍ وَلَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تُغَرِّكَ وَلَكْرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ وَلَكِنَّ تَعَرَّفْتُهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذَكِيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلِنَعْمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا وَمَحَلٌ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا مَحَلًّا وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًّا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبْدَتُهُ وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمٌ خَرَقَ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ وَلَا هَمَسَ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ فَكُمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَلِكَ دَاخِضَةٌ وَعَلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ<sup>(١)</sup>.

علماً بأن المؤمن الذي يتأسى بربه ووصف في بعض الأحاديث الشريفة بانه لكرمه يغري الآخر بالتجاوز عليه (المؤمن غر كريم)<sup>(٢)</sup> لانه لا يظن الشر والسوء ولا يحتمله في الآخر ويتغافل عنه كرمًا منه وإحسانًا في أخلاقه لا جهلاً ولا لقلّة فطنته ويظن الآخر أنه قد خدعه كالذي يروى عن أحد أسرى بدر حينما توسل

(١) نهج البلاغة: خطبة ٢٢٣.

(٢) أمالي الطوسي: ج ٢/ ص ٧٧.

لرسول الله (ﷺ) أن يفك أسرَه ويبقيه للصبيّة والعيال فعفا عنه رسول الله (ﷺ) ولما عاد الى مكة قال لقريش قال لهم: (خدعت كريماً فانخدع<sup>(١)</sup>)، ثم أُسِر في المعركة التالية وأعاد نفس الطلب لكن النبي (ﷺ) لم يمنحه فرصة أخرى وعاقبه بما يستحقه.

وبعيداً عن هذا المعنى وإشكالاته فإنه يمكن أن يكون إيراد لفظ الكريم لبيان أن الله تعالى لا يريد من سؤاله هذا نفعاً أو فائدة لأنه كريم لا يريد بعطائه جزاءً ولا شكوراً ولا تضره معاصي العاصين كما لا تنفعه طاعة المطيعين وإنما يراد هداية العباد وصلاحهم قال تعالى ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل:٥٠).

ويمكن أن نفهم الآية على نحو آخر بحيث لا يكون المخاطب فيها الانسان العاصي، بل المطيع الطامع بمراتب الكمال، فيُسال ما الذي اغراك وطمّعت حتى صرت تطلب هذه المنازل السامية، فيقول: أطمعني كرمك يا ربّي لانني اراك تعطي الكثير بالقليل وتبتدى بالنعم من لا يستحق وتعطي من سألك ومن لم يسألك ومن لم يعرفك، فالتعجب في الآية قد يكون من انحطاط الانسان وتسافله وقد يكون من رقيّه وتساميه اذا نظرنا الى الآية بمعزل عن السياق الدال على الأول.

ونذكر الآن رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) تتضمن مثلاً للمعتر بما تمنيه نفسه ويملي عليه جهله، ومثلاً لاغترار الناس بنماذج ظاهرها التدين والعمل الصالح الا انها في الحقيقة على العكس من ذلك، فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال

(١) البداية والنهاية - ابن كثير: ٤٤٧/٥، ط. هجر.

(قوله عز وجل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال (يقول ارشدنا الى الصراط المستقيم ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك، والمبلغ الى دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او نأخذ بآرائنا فنهلك) ثم قال (ﷺ) فان من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتصفه فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني، فرأيته قد أحدق به خلق كثير من غثاء العامة، فما زال يراوهم حتى فارقه ولم يقر، فتبعته فلم يلبث أن مر بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم مر بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله وأخذ من عنده رمانتين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم أقول: وما حاجته إذاً إلى المسارقة؟! ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه - ثم ذكر أنه سأله عن فعله - فقال له: لعلك جعفر بن محمد؟ قلت: بلى، فقال لي: فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك؟! فقلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول الله عز وجل ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (الأنعام: ١٦)، وإنني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، فهذه أربع سيئات، فلما تصدقت بكل واحدة منها كان لي أربعين حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع سيئات وبقي لي ست وثلاثون حسنة، فقلت له: ثكلتك امك، أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧) إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت رمانتين كانت أيضا سيئتين، ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت إنما أضفت

أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضاف أربعين حسنة إلى أربع سيئات فجعل يلاحظني فأنصرفت وتركته، قال الصادق (عليه السلام): يمثل هذا التأويل القبيح المستكره يضلون ويضلون<sup>(١)</sup>.

---

(١) وسائل الشيعة: ٤٦٧/٩ كتاب الزكاة، أبواب الصدقة باب ٤٦، ح ٦.

## القبس/٢٢٢

سورة المطففين: ﴿٢٦﴾

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

جاءت الآية بعد سلسلة من الآيات التي تصف العاقبة الحسنة للأبرار ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ • عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ • تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ • يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (المطففين: ٢٢-٢٥). ففي مثل هذا النعيم يجب أن يكون التنافس على السبق والتحصيل، وقد دلت لام الامر على الطلب والدعوة.

ولعل في تقديم ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ بدل تأخيرها كما هو مقتضى القاعدة نكتة إفادة الحصر أي ان التنافس لا يكون الا في مثل هذا النعيم، وإن هذا وحده يستحق التنافس دون غيره مهما كان ذلك الغير عظيماً في نظر الناس كالمال أو الجاه أو السلطة ونحو ذلك، وهو معنى يقتضيه لفظ التنافس، الذي هو بذل الجهد وإتباع النفس وسبق الغير لتحصيل النفيس من دون إضرار بذلك الغير ولا كيد له ولا حرمان منه. ولا نفيس الا في ما يرضي الله تبارك وتعالى والفوز في الآخرة اما ما سواها فهي لذة ومتعة آنية فانية ولا قيمة لما في الدنيا الا بمقدار ما يقدم للآخرة، فتكون الآية بمعنى قوله تعالى ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ٢١) وقوله ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ (البقرة: ٢٤٨) وقوله ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْحَيَاتِ﴾ (الأنبياء: ٢٠).

وعليه فما يرد في الكلام المتداول من تقسيم التنافس إلى شريف وغير

شريف هو تعبير غير دقيق لان التنافس لا يكون الا شريفاً، أما التنافس غير الشريف لكون أغراضه كذلك أو ان وسائله كذلك فانه ليس تنافساً أصلاً لأنه ليس مسابقة على أمر نفيس بل على أمر وضع فيخرج من موضوع التنافس، ولعل هذا التقسيم مبني على فهم التنافس بمعنى التغالب بشكل عام فيشمل القسمين، قال السيد الطباطبائي (قُلُوبُهُ) ((التنافس: التغالب على الشيء)) وقال الشهيد السيد الصدر الثاني (قُلُوبُهُ) ((التنافس: التغالب على هدف معين، كل واحد منهم يجب أن يكون أسرع من صاحبه في الوصول إليه))<sup>(١)</sup>.

أقول: تضمين التنافس معنى التغالب مأخوذ من تداول استعمال اللفظ بهذا المعنى وشهرته والا فإنه لا يقتضي ذلك كما قدمنا ولعلمهم أخذوا المعنى من كون المرتكز في ذهن المشهور أن صيغة (تفاعل) تدل على الفعل المتبادل بين اثنين أو أكثر وهو غير لازم لورود الصيغة في معنى الثلاثي نحو (تعالى الله) أي علا وقد يستعمل للوقوع التدريجي نحو (تقاطر المطر) أو للدلالة على خلاف الواقع نحو (تظاهر وتمارض) وغير ذلك.

فالتنافس لا يعني المغالبة بل ما ذكرنا من المسارعة والاستباق لتحصيل الامر النفيس من نعيم الآخرة وهو لا حدود له ولا نفاذ ولا اختصاص لاحد دون آخر ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص: ٥١) أما المغالبة فأنما تحصل في الأمور الدنيوية لمحدودية موجوداتها فيحرص كل واحد أن يغلب الآخر للحصول عليه دونه، والآخرة ليست كذلك فلا تحتاج إلى المغالبة، قال في مجمع

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/٢٦٣، منه المنان: ٤/٢٧١.

البيان ((”التنافس“: تمنى كل واحد من النفسين مثل الشيء النفيس الذي للنفس الأخرى أن يكون له))<sup>(١)</sup>.

ولذا فان التنافس الحقيقي لبلوغ نعيم الآخرة يرتقي ويسمو بجميع المتنافسين إلى اعلى الدرجات، اما التنافس على أمور الدنيا كالسلطة او المال او الأرض وفي غير ذلك، فانه يجعل المتنافسين في صراع قد يحرق الأخضر واليابس كما هو المشاهد عبر التاريخ.

ومما تقدم تلخص لدينا عدة وجوه لحصر الآية استحقاق التنافس في أمر الآخرة فقط، وهي تظهر الفوارق بين التنافس الدنيوي والآخروي:

١- لان نعيم الآخرة دائم وحقيقي ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ بينما لذات الدنيا ومغانمها فانية زائلة ومحدودة.

٢- ان التنافس على نعيم الآخرة يؤدي إلى إعمار الحياة بالخير والعدل والإحسان والرحمة بينما التنافس على الدنيا يدع الأرض بلاقع ويهلك الحرث والنسل.

٣- ان المتنافسين على الآخرة يسمون بتنافسهم ويزدادون مودة ومحبة بينما يمتلئ المتنافسون على الدنيا ضغينة وحقداً وحسداً.

٤- ان المتنافسين على الدنيا يقعون في دائرة ضيقة هابطة لان همهم إرضاء انانياتهم واشباع نزواتهم وتلبية شهواتهم بينما يتسع أفق المتنافسين على الآخرة وترنو ابصارهم الى ما وراء هذا الكون العظيم.

---

(١) مجمع البيان - الطبرسي: ٢٩٥/١٠.

والآتيان بهذا المشهد من جنة الأبرار ونعيمهم في سورة المطففين ثم التعقيب بالآية محل البحث يلفت النظر ويفتح الذهن على هذه المقارنة لإدراك ما يستحق المنافسة فالمطففون لا يتورعون ولا يخافون سوء الحساب فيظلمون الناس ويأكلون أموالهم بالباطل ويمضون حياتهم في التكالب على هذه الدنيا الدنية ومتاعها الرخيص ويتباهون بما يحصلون عليه منها ويزيد بذلك الأوزار والتبعات على ظهره فتذكر السورة مصيرهم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١) إلى أن يقول سبحانه ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (المطففين: ٧) ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ (المطففين: ١٦) إلى آخر الآيات.

والدعوة في الآية الكريمة عامة لكل الناس ولا يضرّ بعمومها إنها موجهة للمتنافسين فإن هذا ليس من باب التخصيص لأن كل الناس داخلون في عنوان المتنافسين بعد ملاحظة ما هو مغروس في فطرة الإنسان من حب التنافس والحرص على تحصيل النفيس لكنها توجه هذه النزعة الإنسانية نحو حب الخير والازدياد منه فوجهت تنافسهم إلى الهدف الصحيح الذي ربما كانوا غافلين عنه حتى المتدينون منهم ومن هنا يظهر أحد وجوه أهمية الدين في حياة الإنسان بتوجيه تنافسه نحو الخير والعدل والإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠) بينما الماديون يتوجه تنافسهم على المصالح الدنيوية فتحصل الحروب والمنازعات وما يتبعها من دمار وخراب فلينبه المنادون بإقصاء الدين عن الحياة إلى الكارثة التي يريدون جر المجتمع إليها.

واروع ما في هذه المنافسة أن فاعل الخير والحسن يُعطى أجره وإن لم

يقصد بعمله نيل ما عند الله تعالى، ففي كتاب الكافي: ان من وصية النبي (ﷺ) لأُمير المؤمنين (عليه السلام) ( يا علي من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم، فقال علي (عليه السلام): لغير الله؟ قال (ﷺ): نعم والله صيانة لنفسه يشكره الله على ذلك<sup>(١)</sup>.

والآية تدعو الى التنافس و المسابقة والمسارة الى فعل الخير والطاعة مطلقاً سواء كان على نحو الواجب او المستحب، وقد استعمل فيها لفظ (في) وليس على ولعله لبيان ان التنافس والتسابق الى الخير هو بنفسه خير، وهذا واضح لان في الاحاديث: ان من نوى حسنةً او همَّ بها ولم يفعلها كتبت له حسنة<sup>(٢)</sup>.

واثار السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) سؤالاً هنا يناسب ذوقه العرفاني قال فيه ((ان السياق السابق للآيات هو وصف ثواب الابرار، وهو ليس هدفاً حقيقياً، وإنما حال المقربين هو الهدف الحقيقي<sup>(٣)</sup> فلماذا امر بالتنافس على حال الابرار؟)) ثم ذكر عدة وجوه في الجواب قال منها:

- ١- انه هدف في الجملة جيد جداً لمن يكون دون ذلك.
- ٢- انه هو الهدف الغالبي؛ لأن الأعمَّ الأغلب من الناس هم دون ذلك لا

(١) الكافي: ٤٣٠/٦.

(٢) عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال: (ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وان همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى اضعاف كثيرة، وان همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وان همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بهذه الحروف.

(٣) كما في الترتيب الذي ورد في سورة الواقعة.

محالة، فالمنظور هو الغالبية.

٣- ان التنافس يصحّ فقط على هذا الهدف، واما هدف المقربين فلا يصح فيه التنافس، لأنه مما لا يتحمّله الناس ولا يقيمونه، فلا ينبغي ان يؤمروا بالتسبب اليه.

٤- ان التنافس انما يكون في هذا الهدف فقط، اما هدف المقربين فلا يمكن التنافس فيه، لأنه انما هو عطاء محض من قبل الله سبحانه، وليس بيد العبد التسبب إليه، كما قال في الدعاء: (بخدمه توصلني إليك)<sup>(١)</sup> وقال: (يامن دلّ على ذاته بذاته)<sup>(٢)</sup>.

٥- ان التنافس انما يمكن في هذا الهدف فقط دون هدف المقربين؛ لأن المقربين في حالة فناء، فلا يصلحون للتنافس، وانما التنافس يكون في عالم الأسباب والنظر الاستقلالي إلى الأشياء، وهو مناسب مع نظر الابرار لا مع نظر المقربين. والا فهذا التنافس هو عين الشرك بالنسبة إلى المقربين، ومن هنا لزم ان يكون هذا خطاباً للمستويات التي تناسبه، والتي يكون هذا التنافس نافعا لها ومنتجا لتنتائج الحسنة فيها)<sup>(٣)</sup>.

أقول: بغضّ النظر عن المناقشة في بعض تعبيراته (قُلَيْبٌ) فان هذا السؤال واجوبته تناسب ذقوه ومستواه العرفاني (قُلَيْبٌ)، ويمكن ان نضيف أجوبة أخرى:

١- ان السؤال لا موضوع له اصلاً لانه مبني على التقسيم المصطلح لدى

(١) مفاتيح الجنان: ٣٤٠، دعاء عرفة.

(٢) مفاتيح الجنان: ٩٣، دعاء الصباح.

(٣) منة المنان: ٢٧١/٤.

اهل الفن من تقسيم المقامات كالموجود في سورة الواقعة إلى المقرّبين وأصحاب اليمين، والا فلا مانع من دخول المقرّبين في عنوان الابرار وقد دلّت عليه الروايات الشريفة فقد روى القمي في تفسيره بسنده عن جعفر بن محمد (عليه السلام) في المراد من الابرار قوله (وهم رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة (عليهم السلام))<sup>(١)</sup>، وهم سادة المقرّبين والخلق جميعاً.

ويمكن ان يستظهر ذلك من صريح الآيتين التاليتين ﴿وَمِرْآةٍ مِّن تَنْسِيمٍ ۚ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ٢٧-٢٨) لكن التدقيق فيهما يؤيد التقسيم الذي ذكره السيد الشهيد لأن الآية تشير إلى ان المقرّبين يشربون من عين تسنيم صافياً اما الابرار فيخرج شرابهم منها.

٢- ان الآية تراعي المرحلية والتدرّج فان المتنافسين اذا بلغوا مرتبة الابرار لم يقفوا عندها لطموحهم المستمر إلى التكامل فيتنافسون للوصول إلى مقام المقرّبين فتكون نظير قوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦) للوصول إلى مقام آية ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران: ١٠٢) ولو طلب منهم مقام الثانية رأساً لعجزوا ويأسوا.

ويوجد هنا اشكال نقله السيد الطباطبائي (قدس سره) قال فيه: ((واستشكل في الآية بأن فيها دخول العاطف على العاطف اذ التقدير: فليتنافس في ذلك الخ))<sup>(٢)</sup>.

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١٠/ ١٢٣، عن تفسير القمي: ٤١٠/٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٢٦٤.

أقول: ويانه: ان حق العبارة ان يؤخر الظرف (في ذلك) فتصبح الجملة وفليتنافس المتنافسون في ذلك فجئى بعاطفين متتالين وهم الواو والفاء وهو مخلّ بالبلاغة ومستهجن وحكى السيد (قَدْ تَرَى) جواباً وأضاف جواباً ثانياً وكلاهما بعيدان ومبينان على تقديرات غير عرفية لا نحتاج إلى بيان تفاصيلهما.

والجواب الصحيح ان الاشكال لا موضوع له لانه مبني على افتراض وتقدير وليس على واقع الجملة للفصل بين العاطفين بالظرف وقد علمنا في بداية الكلام وجه تقديم الظرف بل ان هذه الصياغة ابلغ التعابير فلو حذف أحد العاطفين او حصل تقديم وتأخير فانها سوف لا تؤدي الغرض المطلوب.

وخير مثال على المتنافسين في هذا النعيم والمسارعين عليه أصحاب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) وأهل بيته حيث وصفهم الإمام بذلك، فقد روى بعض ارباب المقاتل والتواريخ انهم تنافسوا فيمن يسبق إلى الموت اولاً ويبرز لمقاتلة الأعداء فقال بنو هاشم نحن اولاً لأننا أولى بالتضحية في سبيل رسالة جدنا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقال الاصحاح لا يمكن ان تُقتلوا ونحن ننظر إليكم فما عذرنا غداً يوم القيامة من جدكم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وحينئذٍ اذن الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) للأصحاب اولاً حتى استشهدوا جميعاً ثم لحقهم آل الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ووقف الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) على أجسادهم الطاهرة يناديهم باسمائهم يؤنبهم ويشي على موقعهم ويستنصرهم اذ بقي وحيداً بعدهم وينسب إليه قوله (عَلَيْهِ السَّلَام):

قوم اذا نودوا لدفع ملامة      والخيل بين مدعس و مكر دس  
لبسوا القلوب على الدروع      يتهافتون على ذهاب الانفس<sup>(١)</sup>  
أي يتسابقون إلى الموت ويتنافسون على الفوز بالشهادة بين يدي  
الإمام الحسين (عليه السلام).

---

(١) مقتل ابي مخنف ١٣٣، ناسخ التواريخ: ٣٧٧/٢، معالي السبطين: ١٩/٢.

﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

### موضوع القبس: السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تكشف سبب معاداة الحق

الآية من سورة البروج التي روى الشيخ الصدوق في فضلها بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (من قرأ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ في فريضة، فإنها سورة الأنبياء، كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين والصالحين)<sup>(١)</sup>.

وتصف السورة موقفاً بطولياً تتجلى فيه أسمى درجات الصبر والتمسك بالعتيدة في مواجهة أساليب التعذيب الوحشي والقتل الذي يمارسه الطغاة المستكبرون ضد المؤمنين الثابتين على الحق، فتحكي السورة قصة جماعة من الموحدين قبل الإسلام أكرههم الملك المتسلط بقوة السلاح على ترك دينهم، فرفضوا وتمسكوا بالحق الذي هم عليه، فحفر لهم شقاً عظيماً طويلاً في الأرض يسمى الأخدود وملاه حطباً وأضرم فيه النار حتى أصبح الأخدود ناراً ملتهبة، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ • النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ (البروج: ٤-٥) فالنار هنا بدل عن الأخدود الذي تحول إلى لهيب من النار، ثم ألقى فيه جميع المؤمنين والمؤمنات وأبناءهم، وقتلهم بهذه الطريقة القاسية المؤلمة، ومن لم يمت بالنار

قتل بالسيف ومثل به، وكان النبي (ﷺ) يستعظم هذه الحادثة ويستفزعها، روى في الدر المنثور عن رسول الله (ﷺ) قال: (فما ذكرت أصحاب الأخدود إلا تعوذت بالله من جهد البلاء)<sup>(١)</sup>.

ومن تفاصيل هذه الحادثة ما رواه البرقي في المحاسن والطبرسي في مجمع البيان وغيرهما إن المؤمنين كانوا يسارعون إلى إلقاء أنفسهم في النار الملتهبة (فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر، فلما هجمت على النار هابت ورقت على ابنها، فناداها الصبي: لا تهابي وارميني ونفسك في النار، فإن هذا والله في الله قليل، فرمت بنفسها في النار وبصبيها، وكان ممن تكلم في المهد)<sup>(٢)</sup>.

ثم يخبر الله تعالى عن مصير القائمين بهذه الجريمة البشعة بلسان الدعاء عليهم بالقتل والانتقام ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (البروج: ٤١) الذين عرفهم بعد ذلك بقسوة القلب والتلذذ بتعذيب الأبرياء، حيث أقاموا حفلاً واسعاً للإعدام الجماعي وساقوا الناس إلى الحضور بالقوة كالذي كان يفعله المقبور صدام، وألقوا في النار أبرياء لم يرتكبوا ذنباً ولم يفسدوا في الأرض، وفيهم الشيخ الكبير والمرأة الضعيفة والطفل كالزهرة اليانعة، قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعُلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (البروج: ٧)، ومثل هذا الدعاء على الكافرين ورد في آيات

(١) الدر المنثور: ٨ / ٤٦٧.

(٢) المحاسن: ٢٤٩ / ح ٢٦٢، مجمع البيان: ١٠ / ٧٠٦، قصص الأنبياء للراوندي: ٢٤٦ / ح ٢٩، الدر المنثور: ٨ / ٤٥٦، البرهان: ١٠ / ١٣٧ / ح ٢-٣.

أُخِرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (عبس: ٧) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَتَلَ الْخِرَاصُونَ﴾ (الذاريات: ١٠).

وتكشف الآية الكريمة محل البحث سرَّ نعمة أولئك الطغاة المستكبرين من المؤمنين ومعاداتهم لهم، وهو ثبات إيمانهم بالله تعالى وتمسكهم بشريعته والتزامهم بالمنهج الرباني القويم في حياتهم، فلم يقتلوهم لجريمة ارتكبوها أو بدعة أحدثوها أو فساد نشروه وهم أبرأ الناس من كل ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ • الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (البروج: ٨-٩) وجاء بفعل المضارع ﴿يُؤْمِنُوا﴾ للدلالة على استمرار صمودهم مما أغاظ الكفار ولم يقل (آمنوا).

وذكر هذه الأسماء الحسنى إلى جنب لفظ الجلالة لتأييد هؤلاء المؤمنين والشهادة لهم بأنهم على الحق لأنهم آمنوا بإله له هذه الأوصاف الدالة على العزة والغلبة وجميل الأفعال ومالكية السماء والأرض فلا يستحقون الإيذاء فضلاً عن القتل، لأن حجتهم قوية وإنما على غيرهم أن يتبعوا الحق الذي هم عليه.

وحينما تحكي السورة هذه المشاهد المؤلمة فإنها تدعو المؤمنين والمؤمنات في كل زمان ومكان إلى الصبر والثبات على ما يعانونه في سبيل الله، وتقول لهم إن البلاء الذي ينزل بهم نتيجة طبيعية للصراع الدائم داخل النفس الإنسانية بين جند العقل وجند الشيطان والنفس الأمارة بالسوء الميالة إلى الشهوات، والصراع المستمر بين الحق والباطل، ولا تختص بأصحاب الأخدود، وإن ما ترونه من بلاء هو أخف مما نزل بالمؤمنين في الأمم السابقة رحمة بكم وشفقة عليكم، روى

الشيخ الكليني في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (وقد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردّهم عمّا هم عليه شيء مما هم فيه، من غير ترّة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى، بل ما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدرّكوا سعيهم)<sup>(١)</sup>.

وفي السورة إنذار شديد للطغاة والمستكبرين الذين يحاربون المؤمنين ويعذبونهم ويقتلونهم ويسعون إلى إبعادهم عن دينهم، سواء في ذلك مشركو قريش أو غيرهم على مدى العصور، بأن العاقبة السيئة ستلحق بكل من قام بمثل هذا الفعل الظالم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١٠).

والآية تشمل كل مثيري الفتن ومسببيها باتجاهاتها المتنوعة كالشبهات العقائدية والمفاسد الأخلاقية والانحرافات الفكرية والاجتماعية والاغراءات المالية والخدع السياسية وغيرها.

وكم هي سعة رحمة الله تعالى وعفوه إذ أبقى باب التوبة مفتوحاً حتى لمثل هؤلاء المجرمين، واستعمال ﴿ثُمَّ﴾ قبل ﴿لَمْ يَتُوبُوا﴾ يشير إلى استمرار هذه الفرصة وليس أنها ممنوحة على الفور فقط.

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٨، تفسير نور الثقلين: ٤ / ١٥٣.

ولم تغفل الآية عن الإشادة بصمود النساء المؤمنات ودورهن في تعزيز قدرة الرجال على الثبات، فخصَّهن بالذكر وإن كان لفظ المؤمنين يشملهن بعمومه.

كما أن في السورة بشرى للمؤمنين ووعد صادق لهم بأحسن الجزاء على تمسكهم بالحق وتضحيتهم من أجله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (البروج: ١٧).

تُرى ما الذي صبر الإنسان الضعيف ذا الجلد الرقيق الذي تؤلمه البقّة كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) ودفعه إلى الإقدام على الاحتراق بالنار؟ إنه إيمانه الراسخ بالحق الذي هو عليه، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما ضعف بدن عما قويت عليه النية)<sup>(١)</sup> وأعانه الله تعالى على ذلك بأن كشف له الجنة ونعيمها فهو منشغل بالتلذذ بها، فوقته الوقوع في أسر الشهوات وعصم نفسه من المعاصي، وأراه جهنم فهانت عليه نار الدنيا ومصائبها ومشاكلها، كالمروي أن أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) لم يذوقوا حرّ السيوف لأجل هذه الرؤية لما وراء الغيب، وقد وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته (فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون)<sup>(٢)</sup>.

وكانت حقيقة هذا الصراع واضحة للمؤمنين عبر الأجيال ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ (المائدة: ٥٩) لذا فإنهم لم يتنازلوا

(١) ميزان الحكمة: ٣٤١٠/٤.

(٢) نهج البلاغة: ١٦١ / ٢، خطبة ١٩٣، في وصف المتقين.

عن عقيدتهم ومبادئهم السامية وإنما توجهوا إلى الله طالين الصبر والثبات ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦).

وأولئك الطغاة مهما قدّموا من مبررات لحرب المؤمنين وعدائهم وتسويقها إعلامياً فإن غرضهم هو هذا ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، كما يغلفون اليوم حربهم على الإسلام بمكافحة الإرهاب، ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وإسقاط الأنظمة المستبدّة الفاسدة وغيرها، وهذه الجرائم التي يتحدثون عنها هم من زرعها وقطف ثمرتها.

فعلينا أن نتمسك بإسلامنا مهما كان الثمن، وأن نبرأ من أعداء الله ورسوله ونرفض أفعالهم الظالمة ونحذّر منها، وأن نكون يقظين فطنين لخدع الأعداء ومكرهم وخططهم الخبيثة، للقضاء على الإسلام المحمدي النقي خصوصاً نحن أتباع أهل البيت (عليه السلام) الذين حملنا رسالة الثقلين كتاب الله وأهل بيت النبي (ﷺ)، وقد روى بعض المفسرين عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الآية السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أن النبي (ﷺ) قال: (هو علي (عليه السلام) وشيعته) (١).

أيها الأحبة:

لقد كشفت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ربيبة القرآن والعارفة بأسراره وتأويل آياته عن هذه الحقيقة، وأخرجت المتأمرين المخالفين لوصية رسول الله (ﷺ) في أمير المؤمنين (عليه السلام)، واستعارت نفس اللفظ القرآني في خطبتها على نساء المهاجرين والأنصار فقالت: (وما الذي نقوموا من أبي الحسن (عليه السلام) نقوموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته ونكال وقعته، وتنمره - أي تشدده - في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردّهم إليها وحملهم عليها)<sup>(١)</sup>.

فهم يعلمون علم اليقين بمؤهلات أمير المؤمنين (عليه السلام) لقيادة الأمة وولاية أمورها، ونصّ رسول الله (ﷺ) على خلافته، وقد بايعوه يوم الغدير على ذلك، إلا أنهم كرهوا فيه أنه يحملهم على الحق المبين والصراط المستقيم ويقوم الانحراف ويدفع الظلم، ويساوي بين الناس ويحكم بالعدل وليس عنده أحدٌ فوق القانون، فلا يُجامل ولا يُداهن ولا يدخل في مساومات على حساب الحق، ولا يعقد الصفقات المشبوهة مع أصحاب الامتيازات أو الزعامات، قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع)<sup>(٢)</sup> وهم يريدون شخصاً يحفظ لهم مصالحهم وكبرياءهم وأنانيتهم، ولا

(١) الاحتجاج: ١ / ١٣٨.

(٢) نهج البلاغة: ٤ / ٢٦، قصار الكلمات رقم ١١٠، أي لا يجامل في الحق، ولا يشابه أهل الباطل في أفعاله، ولا يتبع أهواءه وأطماعه على خلاف الحق.

يحاسبهم على انحرافهم وظلمهم وتجاوزهم، ويسير الناس على هواهم وهذا ما يرفضه أمير المؤمنين (عليه السلام) رفضاً قاطعاً قال: (لا أصلحكم بفساد نفسي)<sup>(١)</sup>.  
إن الآيات الكريمة التي حكّت حادثة الأخدود توصل للأجيال عدة رسائل واضحة:

أولها: عظمة دين التوحيد والإسلام وما أنعم الله تعالى به من المنّة بحيث يستحق أن يقدّم الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) والصالحون من عباد الله الغالي والنفيس وكل هذه التضحيات الجسيمة بالأرواح والأعزّاء والأموال والمكانة الاجتماعية من أجله.

ثانيها: حثّ غير المسلمين على التأمل في هذا الدين بإنصاف وموضوعية ليعرفوا كيف يرَبّي أبنائه على رفض الظلم والاستعباد ونصرة الحق، ويمنحهم الطمأنينة وسكون القلب وسمو النفس التي تبحث أكثر شعوب الغرب رفاهية عنها فلا تحصلها، بل تجد القلق والاضطراب والنكد، بينما يجعل الإسلام أتباعه في أرقى حالات الرضا والتسليم وهم يتعرضون لأشدّ ألوان المحن والمصائب.

علينا أن نصور لهم السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) البنت الوحيدة لنبي الإسلام وهي في عمر الزهور ثمانية عشر عاماً كيف تخفي آلامها وجراحها وهي مسقطّة الجنين، مكسورة الضلع، محاصرة من قبل جيش لا يتورع عن حرق دارها، تعض على كل هذه الجراح وتنطلق لنصرة إمامها وتقويم انحراف الأمة.

وعلينا أن نصور لهم الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يحمل رضيعه الذي ذبحه السهم ويرمي بدمه إلى السماء ويقول: خُذْ يا ربّ حتى ترضى، أو يقف على ولده

علي الأكبر ذي العشرين عاماً وهو مقطع بالسيوف والرماح، وهو يقول: هوّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى.

وعلينا أن نصوّر لهم العقيلة زينب (عليها السلام) وهي تضع يديها تحت جسد أخيها سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام) الشهيد المثخن بمئات الجراحات وهي تقول: (اللهم تقبل منا هذا القربان)<sup>(١)</sup>.

هذه المواقف السامية كلها لا يعرفها العالم، لكنه شاهد ما حصل للشعب الفلسطيني المسلم في أحداث غزة الأخيرة وتأثر بها أي تأثر، فإن المشاهد العاطفية للمفجوع الذي يودّع طفله بهدوء وتسليم وهو يقبلها ويصفها بأنها روح الروح، والأم التي تنعى وحيدها الذي انتظرته سنين وأنفقت الأموال الطائلة لمعالجة العقم حتى رُزقت به، والأطفال الذين يُطمئنون آبائهم وأمهاتهم وهم تحت الأنقاض الثقيلة بين الحياة والموت.

هذه المشاهد العاطفية الإنسانية المؤثرة وما صاحبها من حالات الصبر والثبات والإصرار على نيل الحق هزّت ضمير العالم، ودفعت غير المسلمين إلى البحث للتعرف على دين الإسلام الذي ألهم أتباعه هذه الطمأنينة والرضا والسلام، وهذا الإصرار على نيل الحقوق المشروعة والسلوك السامي، واعتنق الإسلام عدد منهم.

إذن علينا أن نبين للعالم توضّيات أهل البيت (عليهم السلام) الجسيمة وصبرهم واحتسابهم في سبيل الله تعالى ونصرة الحق، خصوصاً ما جرى على السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وولدها الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، فإن ما لاقوه أقطع

(١) شجرة طوبى - الشيخ الحائري: ٣٩٣/٢.

وأشدَّ إيلاًماً لكل ضمير حي مما شاهدوه في غزة، وحينئذٍ ستكون هذه أبلغ دعوة للإسلام المحمدي الأصيل الذي حفظه أهل البيت (عليه السلام) وأوصلوه إلى الأجيال. من هنا تبرز أهمية إحياء الشعائر الدينية وأثرها الكبير في حفظ وإدامة الحق، فكما نقل الله تعالى لنا مظلومية المؤمنين في العصور السابقة كشهداء حادثة الأخدود لتفاعل معها ونتبرأ من الظالمين أعداء الله تعالى ورسوله، وننشر عقيدة العدالة والاستقامة والسلام وتكريم الإنسان، فعلينا أن نؤدي نفس هذه الرسالة في تعظيم شعائر أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) والتذكير بمظلوميتهم، ولا ننظر إليها على أنها مجرد حوادث تاريخية انقضى زمانها، فجزاكم الله خير الجزاء أيها المتفجعون لمصاب السيدة الزهراء (عليها السلام) على حضوركم لنصرتها في إقامة الحق الذي استشهدت من أجله.

## ﴿وَالْفَجْرِ • وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾

### موضوع القبس: سورة الفجر والإمام الحسين (عليه السلام)

روى الشيخ الطبرسي في فضل سورة الفجر عن النبي (ﷺ) أنه قال: (ومن قرأها في ليالٍ عشر، غفر الله له، ومن قرأها سائر الأيام، كانت له نوراً يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

الفجر لغة ((شق الشيء شقاً واسعاً)) كما في المفردات<sup>(٢)</sup> وأضاف إليه في التحقيق: ((انشقاق مع ظهور شيء فيه))<sup>(٣)</sup> وهو أقرب قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ (القمر: ١٢) أي شققنا الأرض عن عيون ماء وقوله تعالى: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجْمًا﴾ (البقرة: ١٠)، ولذا سُمِّي الوقت الذي يسبق طلوع الشمس بالفجر لأن ضياءها الأول المعروف عند العرب بعمود الصبح يشق ظلمة الليل ويتسع النور حتى يملأ السماء، وإن كان التوصيف بالعمود يشير إلى الفجر الكاذب الذي لا يكون معتبراً شرعاً فإنه يبرز كالعمود ويشبهونه بذنب السرحان أي الذنب، وإنما الفجر الصادق الذي يليه هو المعتبر وهو ضوء

(١) مجمع البيان: ١٩٠/١٠.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٣٧٣.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم - الشيخ المصطفوي: ٤٦/٩.

مستعرض يزحف نحو السماء كالغطاء، وأطلق الفجور على فعل القبائح كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٤) وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (المطففين: ٧) وذلك لأن فاعلها يشق ستر العفاف والحياء والدين والحكمة والاعتدال ويخرج بما يخالف ذلك كله.

وقال في مجمع البحرين: أن ((أصله المفارقة، ومنه تفجير الأنهار وهو مفارقة أحد الجانبين الآخر))<sup>(١)</sup> ولعله من لوازم ما ذكرناه.

فتبدأ السورة بالقسم بالفجر، والقسم يشد الانتباه ويستحضر القلب ويفرغ الذهن لما يقسم به، وقد ورد القسم بأوقات أخرى في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٤)، ﴿وَالضُّحَى﴾ (الضحى: ١)، ﴿وَالنَّهَارِ﴾ (الشمس: ٣)، ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (العصر: ١)، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ﴾ (التكوير: ٧) لخصوصيات في هذه الأزمنة تقتضي تعظيمها وتشريفها تُذكر في مواضعها أو لنكتة عامة وهي التأكيد على عظمة الوقت وضرورة استثماره في ما ينفع، وقد تكرر القسم بالفجر ومرادفه وهو الصبح كما في قوله تعالى ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: ١٨) وكأن الليل كان جائماً على صدره حتى إذا أرسلت الشمس أول ضوء لها عند الفجر تنفس الصبح، وقوله تعالى ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٤) فمع أول ضياء للشمس يسفر الصبح عن كيانه الجميل بعد أن كان محجوباً بالليل.

وتكرار القسم بالفجر والصبح لعظمة الفجر في كونه بداية يوم جديد ينهض

(١) مجمع البحرين - الطريحي: ٣ / ٣٦٥.

فيه الإنسان نشيطاً بعد أن استراح بالنوم ليضيف إلى رصيده أعمالاً توجب السعادة والفلاح، وإن فترة ما بين الطلوعين لها تأثير كبير في جلب البركة والرحمة والتوفيق لذا أكد الشارع المقدس على ذكر الله تعالى وأوجب صلاة الصبح فيها قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ (ق: ٣٩) (طه: ١٣٠) وقال تعالى ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (طه: ١٣٠) وقال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ (هود: ١١٤) كما تكرر القسم بالليل أيضاً ولعله لأثر القيام فيه في تحصيل الكمالات الروحية قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء: ٧٩)، وروى الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ (الإسراء: ٧٨) يعني صلاة الفجر تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار، فإذا صلى العبد صلاة الصبح مع طلوع الفجر أثبت له مرتين، تثبته ملائكة الليل وملائكة النهار<sup>(١)</sup>.

والظاهر أن المراد بالفجر الظاهرة التكوينية المعروفة الممتدة من ظهور الفجر الصادق الذي تجب فيه الصلاة والإمساك للصائمين وهو ابتداء اليوم عند جمع من العلماء إلى شروق الشمس وهي من آيات الله تعالى التي تجري بدقة متناهية لكننا لا نلتفت إليها لاعتيادها، كما يراد بالليل الظاهرة الكونية المعروفة.

وقد يراد بالفجر والليل الأمور المعنوية مادام معناهما محفوظاً فيها، فيوم المبعث النبوي الشريف وابتداء نزول القرآن هو أعظم فجر بزغ على البشرية

(١) التهذيب: ٣٧/٢، ح ١١٦، وسائل الشيعة: ٢١٣/٤.

حيث انجلت بصبغه ظلمات الجاهلية، ويوم عاشوراء فجرٌ عظيم آخر أعاد الحياة للبعثة النبوية من جديد، وفجر يوم العاشر من ذي الحجة بداية لحياة نورانية سامية، وهكذا.

وفي مقابلها فإن الليل كل ظلام يحجب نور الإيمان والسعادة والكرامة والسمو والفضيلة كالجهل والشرك والكفر والعصية والأنانية والفقر والتخلف ونحو ذلك.

كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (الفجر هو القائم والليالي العشر الأئمة من الحسن إلى الحسن ...، والليل إذا يسر هي دولة حبتر التي تسري إلى دولة القائم)<sup>(١)</sup> فالليل كناية عن قضاء الأئمة العشرة بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) حياتهم تحت وطأة دول الظلمة التي ملأت الأرض ظلماً وجوراً وفساداً وضلالاً وانحرافاً، والفجر هو انفلاق نور التوحيد والاستقامة والكرامة والحكم العادل والدولة الكريمة.

والليالي العشر مباركة ذات أهمية استحققت القسم بها، وهي قد تكون معينة في علم الله تعالى لكن المولى أبهمها، لتعدد الاحتمالات في أذهان المتلقين ويتوسعوا في المصاديق فيزدادوا من الطاعات، وفق مصطلح (الإيهام الإثباتي) الذي ابتكره السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) بحسب ما أعلم، وقد تكون عشرات متعددة، وقد تعددت التفاسير<sup>(٢)</sup> لليالي العشرة بين العشرة الأولى من ذي الحجة التي تتضمن فجر العاشر، أو العشرة الأولى من محرم إلى يوم عاشوراء، أو

(١) البرهان: ٥٤/١٠.

(٢) راجع الأقوال في مجمع البيان والدر المنثور وغيرهما.

العشر الأواخر من شهر رمضان التي تتضمن ليلة القدر، وكلها مقبولة بقرينة تنكير ﴿لَيْلٍ﴾ لإفادة التعميم والتعظيم معاً؛ لذا كان أهل المعرفة يعظمون هذه العشرات والليال المخصوصة فيها، فكل واحدة من هذه العشرات تنفجر عن صبح جديد يُزيل ظلمات النفس الأمّارة بالسوء ويُطهر القلب من أدراجه ويبعث الحياة في النفوس التي أمتتها الشهوات، وهكذا تتكثر مصاديق الفجر والليل ويتحقق الفجر الأعظم بقيام المهدي الموعود (عجل الله فرجه) ليتمم النور الذي انبلج ببعثة جده المصطفى (ﷺ) كما وعد الله تعالى.

وتدل الروايات على أنّ لسورة الفجر اختصاصاً بالإمام الحسين (عليه السلام) لأن ما قدمه الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء كان سبباً لانتشار نور الإيمان في أصقاع الأرض واستمرار رسالة الإسلام وخلودها بعد أن بذل الأمويون ومن والاهم كل جهد للقضاء على هذا الدين، روى الشيخ الصدوق بسنده عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (أقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين بن علي (عليه السلام)، من أدام قراءة الفجر كان مع الحسين (عليه السلام) يوم القيامة في درجته من الجنة إن الله عزيز حكيم)<sup>(١)</sup>، وروى علي بن إبراهيم في تفسير الآية الأخيرة من السورة بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (البلد: ٢٧-٢٨) قال (عليه السلام) يعني (الحسين بن علي (عليه السلام))<sup>(٢)</sup> وهكذا تبدأ السورة بذكر الإمام الحسين

(١) ثواب الأعمال: ١٢٣، البرهان: ١٠ / ١٦١ ح ٥.

(٢) تفسير القمي: ٤٢٢/٢، البرهان: ١٠ / ١٦٠.

(عَلَيْهِ) وتنتهي به.

وقد فهم المشهور من الليالي العشر أنها زمنية متتابعة كالعشرات المتقدمة لكن السيد الشهيد الصدر الثاني (قُلَيْبٍ) قدّم أطروحتين في مقابلتها:

- ١- إنها عشرة زمانية لكنها غير متتالية بل متفرقة كليلة القدر والنصف من شعبان والعيدين وعرفة والأول من رجب وهكذا، وهو معنى لا يوجد ما يمنع منه.
- ٢- إنها عشرة مجتمعة في زمان واحد أي متداخلة نظير قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾<sup>(١)</sup> (الزمر: ٦)، قال (قُلَيْبٍ): ((وعلى تقدير الأهمية المعنوية وعدم التابع، فهي إشارة إلى أنواع البلاء الذي تمرّ به البشرية أو الجيل أو الفرد، نظير قوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ وتشبيه البلاء بالليل مجاز وارد، أو أن المراد بها حجب الظلمة، إلى غير ذلك، أو المراد عشر مراحل في التكامل))<sup>(٢)</sup> ثم قال (قُلَيْبٍ): ((وعليه يمكن أن تكون مجتمعة كلها دفعه واحدة، فمثلاً أنا الآن فعلاً في عشر ليالٍ<sup>(٣)</sup>، كما يقال عن الجنين: إنه في ظلماتٍ ثلاثٍ، أي: دفعة واحدة، فكذا الإنسان قد يكون في ليالٍ عشرٍ أو أقل أو أكثر، وخاصة فيما إذا لم نفهم

(١) روى القمي في تفسيره (٢/ ٢٤٦) والطبرسي في مجمع البيان عن أبي جعفر (عَلَيْهِ) أنها ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة) ويمكن أن نورد قوله تعالى ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (النور: ٤).

(٢) مئة المنان، للسيد الشهيد محمد الصدر: ٢/ ٢٢٨.

(٣) لا أظن أن كلمته هذه مجرد مثال وإنما كان يعني ما قال حيث كان يعاني من ظلمات متعددة منها ظلمة النظام الصدامي الوحشي لكنه (قده) لم يكن يستطيع التصريح فجاء بالمثال.

من العشرة التحديد، بل العدد الإجمالي، كما في السبعين ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾.

والمهم الآن أني سأذكر مثلاً جمعت فيه عشرة أنواع من البلاء للإنسان مسكين يمكن أن يكون نموذجاً موجوداً، وقد تكون أشكال البلاء على الآخرين أيضاً متعددة، لكنها بشكل آخر. فيعيش هذا الإنسان في عشر ليالٍ مجتمعة في ليلٍ واحدٍ أو حالٍ واحدٍ، فتتصور شخصاً في حال المرض والفقر وبيته بعيداً، وفي أسيرةٍ مشاكسة، ثم تتعدد ابتلاءاته، فهو في ليل الزمان، وليل الوحدة، وليل الفقر، وليل الجوع، وليل المرض، وليل عدم الطيب، وليل عدم الدواء، وليل بُعد المسافة، وليل الحرّ أو البرد، وليل هم أسرته اقتصادياً، وليل صعوبة زوجته أخلاقياً وهكذا، فيمكن أن يكون الإنسان هكذا، ويمكن أن توجد نماذج كثيرة من أعلى أنواع البشر إلى أدناها<sup>(١)</sup>.

أقول: كان السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) يولي اهتماماً أكبر بإشراق فجر النقاء والإخلاص والفضيلة من داخل النفس والقلب أكثر من طلوع فجر الحرية والتخلص من الظلمة انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف الذي سمي الأول بالجهاد الأكبر والثاني بالجهاد الأصغر<sup>(٢)</sup>، ولا

(١) منة المنان: ٢ / ٢٣٠.

(٢) ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث سرية فلما رجعوا قال:

قيمة للثاني مهما عظمت تضحياته إلا بمقدار النجاح في الأول، لذا كان يدعوا إلى فهم الفجر على هذه المعاني لأنه أكثر تأثيراً في تهذيب النفس وسعيها نحو الكمالات، وقد أكد السيد الشهيد الصدر الثاني (قَدَسَ سِرُّهُ) على هذا المعنى في رسائله التي جمعتها في كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) وكتاب (قناديل العارفين) ومما قال: ((وأما الفجر الذي تشير إليه في رسالتك والذي أود أن أفهم منه المعنى المعنوي فهو الفجر الذي يشرق في النفس والضمير قبل أن يشرق على المجتمع، والله سبحانه أخبر بعباده، ومن المؤكد أن التربية الإيمانية في ظلمات الدنيا وصعوباتها أقوى وأؤكد وأرسخ من التربية مع الدلال والترفيه وهل تطبيق الأحكام الاجتماعية العامة بين الناس إلا لطاعة الله، فاذا توفرت طاعته تحت ظروف الظلمات، بل بشكل ألطف وأؤكد فذلك هو المطلوب))<sup>(١)</sup>.

كما كان يعبر (قَدَسَ سِرُّهُ) عن حكم صدام الجائر بالليل وعن زواله بطلوع الفجر حيث كنا لا نستطيع استعمال الألفاظ الصريحة والنظام في أوج طغيانه وشراسته في ثمانينات القرن الماضي.

---

مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس ثم قال (ﷺ): أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٦٧ / ٦٥ / ح ٧.

(١) الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه: ٣١، جهاد واجتهاد: ٤٢.

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا • وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾

### موضوع القبس: وجه تشبيه النبي (ﷺ) والائمة المعصومين (عليهم السلام) بالشمس

قسم من الله تبارك وتعالى بالشمس وفي حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (ان لله عز وجل ان يقسم من خلقه بما يشاء وليس لخلقه ان يقسموا الا به) <sup>(١)</sup> وفي القسم بالشمس إلفات نظر الناس الى عظمة خلقها وجميل منافعها بحيث ان حياة الانسان والحيوان والنبات قائمة بها كما هو واضح، لكن الانسان يغفل عن النعم التي يألفها وتكرر عليه.

وفي شروق الشمس وغروبها وحركتها وحركة الكواكب والاقمار آيات ومعجز لذوي العقول والبصائر، روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٢) قال (عليه السلام): (من لم يدله خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجيبات على ان وراء ذلك امراً اعظم منه فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلاً) <sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي: ٤٤٩ / ٧.

(٢) التوحيد: ٤٥٥ باب ٦٧ النهي عن الجدال والمرء في الله عز وجل، ح ٦.

والقمر يتلو الشمس أي يتبعها سواء في حركته او في اضائه اذ انه لا يؤثر الا بعد ان تغيب الشمس وهو يستقي نوره منها، لذا ورد التعبير عن الشمس بالضياء والقمر بالنور ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: ٥)، وقيل في وجه ذلك: إن الضوء ما كان ذاتياً وبالاصالة، اما النور فيشمل ما ينعكس عن غيره، والقمر يعكس نور الشمس.

وما نريد ان نعرضه في هذا القبس التفسير المعنوي للشمس والقمر فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره، والكليني في روضة الكافي باسنادهما عن ابي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (سألته عن قول الله عز وجل والشمس وضحاها، قال: الشمس رسول الله (ﷺ) أوضح الله به للناس دينهم قلت: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾ قال ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) قلت: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ قال: ذلك أئمة الجور الذين استبدوا للامر دون آل رسول الله (ﷺ) وجلسوا مجلسا كان آل رسول الله (ﷺ) أولى به منهم، فغشوا دين رسول الله (ﷺ) بالظلم والجور وهو قوله: والليل إذا يغشاها، قال: يغشى ظلمهم ضوء النهار، قلت: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّاهَا﴾ قال: ذلك الإمام من ذرية فاطمة (عليها السلام) يسئل عن دين رسول الله فيجلى لمن يسأله، فحكى الله قوله: والنهار إذا جلاها) <sup>(١)</sup>.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: (قال رسول الله (ﷺ) مثلي فيكم مثل الشمس، ومثل علي مثل القمر، فاذا غابت الشمس فاهتدوا بالقمر) <sup>(٢)</sup>.

(١) روضة الكافي: ٨ / ٥٠، ح ١٢، تفسير القمي: ٢ / ٤٢٤، البرهان في تفسير القرآن: ١٧٠: ١٠ / ح ١، نور الثقلين: ٣٥٢ / ٥، ح ٣.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ١٠ / ١٧٠، ح ٤ عن تأويل الايات: ٨٠٦ / ٢، ح ٥.

وهو واضح لان ما عند امير المؤمنين (عليه السلام) اخذه من رسول الله (ﷺ)، قال: (عليه السلام) (إن رسول الله (ﷺ) علمني الف باب من الحلال والحرام مما كان الى يوم القيامة كل باب منها يفتح الف باب فذلك الف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب)<sup>(١)</sup>؛ وهو خليفة رسول الله (ﷺ) ويتلوه في امامة الامة وقيادتها وهدايتها.

فاذا قيس امير المؤمنين (عليه السلام) الى رسول الله (ﷺ) فهو قمر يتلو الشمس، واذا نُظِرَ اليه بلحاظ المخلوقين فهو شمس يستضيئون بنوره قال (عليه السلام) (الا وان لكل مأموم امام يقتدي به ويستضيئ بنور علمه)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا الائمة المعصومون (عليهم السلام) من اهل البيت رسول الله (ﷺ) فهم أقمار يتلقون معارفهم من رسول الله (ﷺ) وهم شمس للبشرية جميعاً، لذا ورد وصفهم (عليهم السلام) بالنجوم في الروايات والنجوم شمس بعيدة عنا فراها صغيرة، ورد في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ (الأنعام: ٩٧)، عن علي بن إبراهيم ان (النجوم: آل محمد)<sup>(٣)</sup>.

ووردت عدة روايات بهذا المعنى في تفسير<sup>(٤)</sup> قوله تعالى ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٦) منها عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (رسول

(١) الخصال: ٤٨١

(٢) نهج البلاغة.

(٣) تفسير القمي: ٢١١/١.

(٤) راجع قيس قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٦)، في تفسير من نور القرآن.

الله (ﷻ) النجم، والعلامات هم الأئمة (عليهم السلام) بهم يهتدون<sup>(١)</sup>.  
وقد وصفت الروايات الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته بالشمس اذا جلّ لها  
السحاب، ففي اكمال الدين للصدوق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن  
رسول الله (ﷺ) أنّه ذكر الإمام القائم في حديث وقال (ذاك الذي يغيب عن  
شييعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان،  
قال جابر: فقلتُ له: يا رسول الله فهل يقع لشييعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال  
(ﷺ): أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته  
كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب)<sup>(٢)</sup>.

وفي الأمالي للصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لم تخلو  
الأرض منذ خلق الله تعالى آدم من حجة لله فيها ظاهرٌ مشهور أو غائب مستور ولا  
تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ولولاه لم يُعبد الله، فقلتُ للصادق  
(عليه السلام): فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس  
إذا سترها السحاب)<sup>(٣)</sup>.

وفي الاحتجاج ورد توقيع من الناحية المقدسة على يد السفير محمد بن  
عثمان وفيه (وأما الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار  
السحاب وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء فاغلقوا

(١) الكافي: ١/١٦٠/ح ١ وتجد مجموعة الروايات في البرهان: ٣٢٨/٥.

(٢) كمال الدين: ١/٢٤١/باب: نص الله تعالى على القائم، ح ٣.

(٣) الأمالي للصدوق: ٢٥٢/ح ٢٧٧.

أبواب السؤال عما لا يعينكم<sup>(١)</sup>.

أقول: في هذه الروايات تشبيهان، أحدهما تشبيه الإمام بالشمس، والآخر تشبيه غيبته (عليه السلام) بالشمس إذا غطاها السحاب، ونريد الآن أن نبين وجوهاً لفهم تشبيه النبي (ﷺ) والمعصومين (عليهم السلام) من أهل بيته بالشمس وهم أئمة الخلق وقادتهم وسادتهم مما يوفق الله تعالى له، ونؤجل وجوه التشبيه الثاني إلى الملحق. ولتشبيه الإمام بمعناه العام الشامل للنبي (ﷺ) والأئمة من آل به الشمس عدة وجوه:

١- إن الشمس أصل الحياة وبدونها تنعدم الموجودات وهي الواسطة لإفاضة الحياة على الموجودات، وهكذا الإمام علة الوجود وواسطة الفيض الإلهي على جميع الموجودات وهم علة الوجود ولأجلهم خلق، ولولاه ساخت الأرض بأهلها كما في الحديث الشريف وفي دعاء العذيلة (ببقائه بقيت الدنيا وبيمينه رُزق الوري، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء)<sup>(٢)</sup>.

٢- ولأن الشمس أصل الحياة فقد وُجدت قبل أي شيء آخر، وكذلك نور محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) وجدوا قبل الخلق، روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق)<sup>(٣)</sup>.

٣- إن الشمس مصدر النور وهي التي تنير الأشياء وتجعلها منظورة بالعين

(١) الإحتجاج للطبرسي: ٢٨٤/٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٢٨.

(٣) كمال الدين: ١٦/١.

ويمكن التعرف عليها ولولا هذا النور لما أمكن التعرف على الشيء، وكذلك الإمام هو مصدر المعارف الإلهية والعلوم ولولا تأصيلات الأئمة الأطهار (عليه السلام) لما أمكن الاهتداء إلى شيء منها، وما يؤخذ عن غيرهم فهو زخرف من القول.

٤- ان نفع الشمس عام لا تمنعه عن شيء من الموجودات، وهم (صلوات الله عليهم اجمعين) كالشمس في عموم نفعهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) وإنما لا ينتفع بهم من أراد لنفسه أن يكون أعمى لا يستفيد من نور الشمس، في الخصال من حديث الأربعمئة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أشدّ العمى من عمي عن فضلنا وناصبنا العداوة بلا ذنب سبق إليه منا إلا أنا دعونا إلى الحق ودعاه من سوانا إلى الفتنة والدنيا فأتاهما ونصب البراءة منّا والعداوة لنا)<sup>(١)</sup>.

وروى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد بسند صحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٢)، قال (عليه السلام): (من لم يدله خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك والشمس والقمر، والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمر أعظم منه فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً)<sup>(٢)</sup>.

٥- إن الشمس من المطهرات -كما هو الصحيح- فهي تطهر من النجاسة المادية، وكذلك ولاية الإمام المعصوم وحبّه واتباعه من المطهرات المعنوية فيها تقبل الأعمال وتكفر الذنوب وفي ذلك أحاديث كثيرة، لأنها من أعظم الحسنات

(١) الخصال: ٤٧٤.

(٢) التوحيد: ٤٥٥ باب ٦٧ النهي عن الجدال والمراء في الله عز وجل، ح ٦.

والقربات إلى الله تعالى، والآية الشريفة تقول ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤).

٦- ان أي شيء يقترب من الشمس يصلى بحرارتها ويحترق تدريجيا حتى يفنى في نورها، وكذلك من يقترب من اهل البيت (عليه السلام) بطاعتهم وحبهم والسير على هديهم يفنى فيهم وتذوب انانيته ونفسه الامارة بالسوء ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إبراهيم: ٣٦) وفي الحديث النبوي الشريف (سلمان منا اهل البيت) <sup>(١)</sup>.

٧- كما أنّ الناس متفاوتون في الاستفادة من نور الشمس فبعضهم يمنعها من الدخول إلى داره فيغلق الأستار والنوافذ ولا يستفيد من ضوء الشمس، وبعضهم يفتح منافذ بسيطة للإنارة والآخر يملأ داره بالفتحات والآخر يستفيد منها في الزراعة وآخر لتوليد الطاقة الشمسية، فلكذلك نور الهداية المتصلة بالمعصومين (عليه السلام) التي تركوها لنا من خلال أحاديثهم الشريفة، تتفاوت الناس في الاستفادة منها والعمل بها، فربما أغلق البعض نوافذ قلبه وعقله لمنع نور الهداية من دخولهما، بينما فتح آخر كل حواسه ومنافذه الظاهرية والباطنية لتلقي هذه العلوم والمعارف والكمالات اللامحدودة بإذن الله تعالى.

(١) رواه الحاكم في المستدرک: ٣/ ٥٩٨، والطبرانی (٢٦١/٦).

## ملحق: في وجه تشبيه غيبة الإمام (عليه السلام) بالشمس إذا جلتها السحاب

ويمكن أن نفهم له عدة وجوه:

١- كما ان احتجاب الشمس بالسحاب لا يؤثر على حقيقة وجودها ولا يصح لعقل أن يستدل على عدم وجودها لعدم ظهورها للعين بسبب تغطية السحاب لها، فكذلك لا يمكن إنكار وجود الإمام (عليه السلام) لمجرد عدم ظهوره للناس فهو (عليه السلام) موجود وتوجد معه آثاره المباركة وألطفه الكريمة ورعايته الحانية.

٢- إنّ جملة من منافع الشمس لا تتوقف على ظهورها المباشر وتعبير آخر أن فائدة الشمس لا تقتصر على التعرض لأشعتها المباشرة حتى يُقال بعدم الانتفاع منها إذا حجب السحاب أشعتها، فاحتجابها بالسحاب لا يمنع من الانتفاع بها وتبقى تؤدي دورها في حفظ نظام الحياة واستقرار المجموعة الشمسية وحركة الافلاك، وكذلك الانتفاع بوجود الإمام وفيوضاته المباركة لا تتوقف على ظهوره المباشر وإن حرم الناس من بعض تلك الانتفاعات بسبب غيبته، ومنها ما تقدم في الرواية الشريفة من كونه اماناً لأهل الارض ورد في رسالته الشريفة (إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، لولا ذلك لنزل بكم اللاؤاء واصطلمكم الأعداء)<sup>(١)</sup>.

٣- إن احتجاب الشمس بالغيوم إنما هو لمن كان على الأرض فلو خرج من جو الأرض كالذي يحصل لركاب الطائرة عندما ترتفع فوق الغيوم فإنهم سيرون السماء صافية والشمس ظاهرة، فكذلك الإمام فإنه غير مشخّص لذوي الدرجات

---

(١) الاحتجاج: رسالة الناحية المقدسة إلى الشيخ المفيد (قدس سره).

الاعتيادية والمتدنية، أما الأنقياء المخلصون ومن حلّقوا في سماء الكمالات المعنوية فإنّ الإمام (عليه السلام) يظهر لهم ويرونه ويعرفونه ويتعاملون معه، وما على المؤمن إلّا أن يسمو ويرتقي ويخرج من الحجب الأرضية لتكتحل عينه بالنظر إلى الإمام (عليه السلام).

٤- إن تغطية السحاب للشمس فيه رحمة بالناس وفيها مصلحة لهم أما من جهة نفس الغيوم لكونها تحمل أمطاراً تحيي الأرض الميتة، أو لعجز الناس عن تحمّل الأشعة المباشرة للشمس فتضر أبصارهم وتصيب رؤوسهم بضربة الشمس وربما اضطروا إلى السكون في منازلهم والقعود عن أعمالهم حذراً من أشعة الشمس، وكذلك غيبة الإمام (عليه السلام) فيها مصلحة للناس، من عدة جهات كالتفاتهم إلى ذنوبهم التي أوجبت حرمانهم من الاتصال المباشر بالإمام أو لأنّ إيمانهم ليس قوياً يحتمل القيادة المباشرة والنظر المباشر للإمام، كالذين لم يتحملوا قيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) ففشلوا وخسروا الدنيا والآخرة، فعدم الابتلاء بالقيادة المباشرة رحمة بالناس لئلاّ تزيغ بصائرهم كتضرّر بصر من ينظر إلى الشمس مباشرة ويفشلوا في الامتحان نظير نصيحة الإمام الحسين (عليه السلام) لبعض من تخاذلوا<sup>(١)</sup> عن نصرته بأن يتعدوا لئلاّ يسمعوا صرخة الإمام (عليه السلام) فتصيبهم الكارثة، فمثل هؤلاء يكون من الرحمة بهم تربيتهم بعيداً عن القيادة المباشرة للمعصوم (عليه السلام) وقبولهم على ما هم عليه.

٥- إن احتجاب الشمس بالسحاب أمر نسبي أي لبعض الناس إذ يمكن أن تكون الشمس في نفس الوقت ظاهرة لبعض في بلد آخر لا يحجبهم السحاب،

(١) أنظر: الأمالي - الشيخ الصدوق: ١٩٩/ح ٧.

كما يقال في النشرة الجوية غائم جزئي فكذلك غيبة الإمام (عليه السلام) نسبة لبعض الخلق دون بعض فهو ظاهر لبعض الخلق (وما في ثلاثين من وحشة)<sup>(١)</sup>.

٦- إن احتجاب نور الشمس لا لسبب منها أي لا لقصور في المقتضي - كما يقال - وإنما لوجود المانع وهو السحاب فمتى ما زال السحاب اشرقت الشمس على الموجودات، وكذلك الإمام (عليه السلام) لم يحتجب لسبب منه فان اهل البيت (عليهم السلام) ابواب رحمة الله وكرمه وفضله، وهو تبارك وتعالى لا بخل في ساحته (بابك مفتوح للراغبين وخيرك مبذول للطالبيين وفضلك مباح للسائلين ونيلك متاح للآملين ورزقك مبسوط لمن عصاك وحلمك معترض لمن ناواك)<sup>(٢)</sup>.

وسبب احتجابه (عليه السلام) يعود الى الخلق أنفسهم (الا ان تحجبهم الذنوب دونك).

(كما أن الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها ينتظرون في كل آن انكشاف السحاب عنها وظهورها ليكون انتفاعهم بها أكثر فكذلك في أيام غيبته ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كل وقت وزمان ولا يأسون منه)<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٣٤٠/١ ح ١٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٦٨ من ادعية شهر رجب.

(٣) بحار الأنوار: ٩٣/٥٢.

## القبس/٢٣٦

### سورة الإنشراح: ﴿٥﴾-﴿٦﴾

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا • إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

سُنَّةٌ مِنَ السُّنَنِ الإِلَهِيَّةِ الثَّابِتَةِ والقوانين الجارية في عبادته، فيها وعدٌ صادقٌ من الله تبارك وتعالى مؤكدٌ بـ﴿إِنَّ﴾، وهو يتضمن بشرى لعباده بأن ما يتعرض له الإنسان من ابتلاءات ومحن يصعب عليه تحملها والاستمرار بها فإن أمرها سيتيسر ويهون ويتبدل العسر إلى يسر، وقد ذكر الله تعالى هذا القانون الإلهي في آية أخرى قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ﴿٧﴾)، ويتضمن معنى اليسر لغةً: السهولة والتوسعة والمساعدة والرخاء والرفاه، ويقابله العسر متضمناً المشقة والضيق والصعوبة والشدة.

وقد أكدت آية أخرى أن الله تعالى لا يريد لعباده إلا اليسر قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ﴿١٨٥﴾)، فلا عسر من قبل الله تعالى، وأن العسر حالة طارئة غير متجدرة ناتجة من فعل العباد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى • وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى • فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: ﴿٨﴾-﴿١٢﴾)، أي أنه بفعله واختياره توجه نحو العسر.

وقد تقدمت على الآية عدة مصاديق لليسر بعد العسر من حياة النبي (ﷺ) قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ • وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ • الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ • وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الإنشراح: ﴿١﴾-﴿٤﴾) وفي سورة الضحى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ

يَتِيماً فَأَوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿الضحى: ٦﴾ -  
 (٨) فقد ولد النبي (ﷺ) يتيم الأب ثم تُوفيت أمه وهو رضيع فكفله جدّه عبد  
 المطلب ولمّا تُوفي كفله عمه أبو طالب وكانت قريش تُسميه يتيم أبي طالب،  
 فعاش اليتيم والفقر في مجتمع جاهلي غارق في الموبقات والرذائل كالشرك بالله  
 تعالى وعبادة الأصنام والزنا وشرب الخمر وقتل البنات وظلم الضعيف واستعباد  
 الناس وغيرها فكان قلبه يتألم لهذا الواقع الفاسد ويضيق صدره وهو النقي الطاهر  
 فكان يصعب عليه ما يراه من قومه، فمنّ الله تعالى عليه أن شَرَحَ صدره بالإيمان  
 وعَصَمَه من الذنوب وزوَّجه بسيدة طاهرة كريمة وأغناه وحماه من كيد الأعداء  
 إلى أن بعثه بالنبوة وحمله أعظم الرسالات فكان سيد المرسلين وأفضل الخلق  
 أجمعين، فيكون بيان هذه النعم تمهيداً لذكر هذه السُنّة الإلهية ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ-

يُسْرًا﴾ وتأكيدها، وارتباطها بالفاء يجعلها كالتعليل لسبوغ تلك النعم.  
 وقد نزلت سورة الإنشراح في مكة والنبي (ﷺ) والمسلمون يُعانون من ظلم  
 قريش واضطهادهم وحصارهم وتجويعهم وتعذيبهم بأقسى العقوبات فكان من  
 أغراضها تسليّة النبي (ﷺ) وتخفيف معاناته وهو يحمل أعباء أثقل مسؤولية  
 ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: ١٩) ويتعرض لأبشع أنواع الأذى (ما  
 أودى نبي بمثل ما أوديت)<sup>(١)</sup> وهكذا حملت السور القرآنية صوراً من العسر  
 والمشقة والشدة التي تعرّض لها الأنبياء السابقون كنوح وإبراهيم ويوسف وموسى

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/٢٤٧، باب النكت واللطائف، كشف الغمة: ٢/٥٣٧، بحار الانوار:

وعيسى (صلوات الله عليهم أجمعين) ثم أتاهم الفرج والنصر واليسر وفي ذلك تسليته لرسول الله (ﷺ) حيث وصلت بعض معاناة الرسل إلى حد اليأس وفقدان الأمل ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠).

وتحمل الآية الكريمة أيضاً بشاراً للمسلمين وتثبيتاً لقلوبهم بأن هذا العسر الذي تنتون من وطأته سيبدله الله تعالى يسراً ويزول عنكم هذا العنت والمشقة وهو ما حصل بالهجرة إلى المدينة المنورة.

والدرس المستفاد من الآية الكريمة: أن على المؤمنين أن لا يضعفوا أو ييأسوا أو يشعروا بالإحباط، وأن يكون شعارهم دائماً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٧) وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٢)، فالأمل بانفراج الأزمات وزوال المعاناة موجود دائماً ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (١) وإن نفس هذا الأمل هو يسر كاشف للعسر، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (توقع الفرج إحدى راحتين) (١).

وعليهم أن يشكروا الله تعالى على حسن صنيعه بهم إذ أبدل خوفهم أمناً وفقيرهم يساراً وضيقهم انشراحاً وضلالهم إيماناً وجهلهم علماً وبعدهم قرباً وتفرقهم وحدة، وهكذا.. ولا أريد الإطالة في ذكر المصاديق من حياة كل فرد منا وهو ما اختصره دعاء الافتتاح (فكم يا إلهي من كربةٍ قد فرّجتها وهمومٍ قد كشفتها وعشرة قد أقلتها ورحمةٍ قد نشرتها وحلقةٍ بلاءٍ قد فككتها) وفي موضع

آخر منه (فكم من موهبة هنيئة قد أعطاني وعظيمة مخوفة قد كفاني وبهجة موقنة قد أراني فأثني عليه حامداً وأذكره مسبحاً) <sup>(١)</sup>.

وقد كرّر الله تعالى اليسر بعد العسر مرتين تأكيداً، فالعسر واحد لأنه مُعرّف واليسر متعدد ومطلق أي أنه مفتوح بجميع الاتجاهات، وفي ذلك أمل كبير بالله تعالى لا نفاد له، وواسع لا حدود له لكل من يمرّ بضيق أو شدة أو مُعاناة مادية أو معنوية، روى في مجمع البيان خرج النبي (ﷺ) يوماً مسروراً فرحاً، وهو يضحك، ويقول: (لن يغلِبَ عسرٌ يُسرِينَ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) <sup>(٢)</sup>.

وعنه (ﷺ): (لو جاء العسر فدخل هذا الجحر، لجاء اليسر فدخل عليه فأخرجه) <sup>(٣)</sup>.

ومن شعر الموعظة:

إذا ضاقت بك الدنيا      تفكّر في ألم نشرح  
تجد يسرين بعد العسر      إن فكرته تنجح

وقد ذكرت الآية ﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وليس بعد العسر، وإن كانت دالة على ذلك كما فهم منها، ولعل النكتة فيها أن حالة العسر تستبطن معها حالة اليسر وتكون سبباً لها لما تتضمنه من الانكسار وتقطع الأسباب والحاجة إلى الله تعالى

(١) مصابيح الجنان: ٥٣٩-٥٤٠.

(٢) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي: ٢١٧/١٠.

(٣) كنز العمال: ٢٩٤٧.

وهي من موجبات استجابة الدعاء ورفع البلاء ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ- دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ (يونس: ١٢) حيث ينقطع العبد إلى ربه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢).

وقد علمنا الله تعالى طريق استجلاب اليسر قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى • وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى • فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل: ٥-٧) وعلمنا وسيلة دفع العسر والشدة والضيق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ • فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٩٧-٩٨)، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥) ولم يذكر مورد الاستعانة على ماذا لتكون مطلقة سواء لطلب الرزق أو العافية أو الولد أو التوفيق أو حل مشكلة معينة أو إصلاح حال خاص أو عام أو خروج من مأزق وغير ذلك.

وقد دلت الروايات الشريفة على أن العسر والضيق كلما يشتد فإنه يكون أقرب لليسر والفرج قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أضيق ما يكون الحرج أقرب ما يكون الفرج)<sup>(١)</sup> وقال (عليه السلام): (عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء)<sup>(٢)</sup> وقال (عليه السلام): (ما أشتد ضيق إلا قرب الله فرجه)<sup>(٣)</sup>.

روي أن امرأة جاءت إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فقالت: (ان ابني سافر عني وقد طالت غيبته عني واشتد شوقي إليه فادع الله لي فقال لها: عليك بالصبر،

(١) غرر الحكم: رقم ٣٠٣٥، بحار الأنوار: ٧٥ / ٦٨.

(٢) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٧، بحار الأنوار: ٩٦ / ٦٨.

(٣) غرر الحكم: ٩٥٦٦.

فاستعملته، ثم جاءت بعد ذلك فشكت إليه طول غيبة ابنها فقال لها: ألم أقل لك عليك بالصبر؟! فقالت: يا بن رسول الله كم الصبر؟ فوالله لقد فني الصبر، فقال: ارجعي إلى منزلك تجدي ولدك قد قدم من سفره، فنهضت فوجدته قد قدم، فأنت به إليه فقالت: أوحى بعد رسول الله (ﷺ)؟ قال: لا، ولكن عند فناء الصبر يأتي الفرج، فلما قلت فني الصبر عرفت ان الله قد فرج عنك بقدوم ولدك<sup>(١)</sup>.

وأذكر لكم شاهداً على العُسر بعد اليُسْر من سيرة النبي (ﷺ):

وقّع النبي (ﷺ) صلح الحديبية مع المشركين وكان من بنوده أن من يأتي للنبي (ﷺ) مسلماً على النبي (ﷺ) أن يرجعه إلى قومه أما من يترك النبي (ﷺ) من المسلمين ويعود إلى المشركين فليس عليهم ارجاعه إلى المدينة، وسبب هذا الشرط تشكيكاً لدى بعض المسلمين<sup>(٢)</sup> بصواب ما فعله رسول الله (ﷺ)، ففرّ أحد المسلمين المستضعفين من حبسه في مكة يدعى أبو بصير عتبة بن أسيد وقصد النبي (ﷺ) فلما وصل المدينة كتب رؤساء المشركين إلى رسول الله (ﷺ) يطالبونه به وبعثوا لجلبه رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم، فقدموا على رسول الله (ﷺ) بكتاب الأزهر والأخنس، فقال رسول الله (ﷺ): يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك، قال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: يا أبا

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ١٥ / ٢٦٤ / ح ٩.

(٢) تقدم الكلام فيه في قبس قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ في تفسير من نور القرآن.

بَصِيرٍ، انْطَلَقَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضَعِّفِينَ فَرْجًا وَمَخْرَجًا.

فَانْطَلَقَ مَعَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، جَلَسَ إِلَى جِدَارٍ، وَجَلَسَ مَعَهُ صَاحِبَاهُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَصَارُمُ سَيْفُكَ هَذَا يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْظِرْ إِلَيْهِ؟ قَالَ: أَنْظِرْ، إِنَّ شِئْتُ. قَالَ: فَاسْتَلَّهُ أَبُو بَصِيرٍ، ثُمَّ عَلَاهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَخَرَجَ الْمَوَلَى سَرِيعًا حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) طَالِعًا، قَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ رَأَى فِرْعَا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: وَيْحَكَ! مَا لَكَ؟ قَالَ: قَتَلَ صَاحِبُكُمْ صَاحِبِي. فَوَاللَّهِ مَا بَرَحَ حَتَّى طَلَعَ أَبُو بَصِيرٍ مُتَوَشِّحًا بِالسَّيْفِ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ، وَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ، أَسْلَمْتَنِي بِيَدِ الْقَوْمِ وَقَدْ امْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أَفْتَنَ فِيهِ، أَوْ يُعَبِّثَ بِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): وَيْلُ أُمِّهِ مِحْشٌ<sup>(١)</sup> حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَال!

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْعَيْصَ، مِنْ نَاحِيَةِ ذِي الْمَرْوَةِ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، بِطَرِيقِ قُرَيْشٍ الَّتِي كَانُوا يَأْخُذُونَ عَلَيْهَا إِلَى الشَّامِ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا أُحْبِسُوا بِمَكَّةَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لِأَبِي بَصِيرٍ: (وَيْلُ أُمِّهِ مِحْشٌ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ!)، فَخَرَجُوا إِلَى أَبِي بَصِيرٍ بِالْعَيْصِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ قَرِيبٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَكَانُوا قَدْ ضَيَّقُوا عَلَى قُرَيْشٍ، لَا يَظْفَرُونَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ، وَلَا تَمُرُّ بِهِمْ عِيرٌ إِلَّا اقْتَطَعُوهَا، حَتَّى كَتَبَتْ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) تَسْأَلُ

(١) لعل الصحيح (مسعر) أو هي بمعناها.

بَارْحَامِهَا إِلَّا آوَاهُمْ، فَلَا حَاجَةَ لَهُمْ بِهِمْ، فَأَوَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقَدِمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ<sup>(١)</sup>.

حكى أن ملكاً أصبح ذات يوم كئيباً حزيناً ضيقَ الصدرِ فأستدعى ندماءه ليؤنسوه ويزيلوا غمه فقدّموا كل ما لديهم من أحاديث طريفة وحرّكات مثيرة فلم يفلحوا وأخيراً نصحوه بأن يقوم بسفرةٍ في البحر عسى أن تنجلي همومه برؤية المناظر المدهشة، وهناك في عرض البحر سمع صوت شخص ينادي (يا غياث المستغيثين أغثني) فطلب من رجاله النزول إلى البحر بسرعة ومعرفة مصدر الصوت فوجدوا رجلاً مشرفاً على الهلاك ينازع أمواج البحر المتلاطمة فأنقذوه وجأؤا به إلى ظهر السفينة وبعد معالجته واستقرار حالته سأله الملك عن حاله فقال: إنهم كانوا في سفينة فتعرضت لحادث وغرقت وجميع الركاب فبقي يصارع الأموات وفقد كل أمل إلا بالله تعالى فأخذ يكرّر نداء الاستغاثة، فعرف الملك سرّاً ما جرى له وكيف دفعه الله تعالى بهذه الطريقة لإنقاذ الغريق.

ولا بد من الالتفات إلى أن العسر قد يكون مادياً كالفقر والمرض والسجن والغربة والحرمان من الأهل والولد وقد يكون معنوياً كضيق الصدر والقلق والاكتئاب والوسوسة والحرمان من الهداية والتوفيق والتورط بالذنوب وفي مقابلها يكون اليسر، كما أن اليسر الموعود قد لا يكون من جنس العسر كأن يعطي مالاً للفقير أو صحةً للمريض بل يعطيه شيئاً آخر كالهداية والتوفيق وغفران الذنوب والصبر على المصيبة وربما الشكر وراحة البال وقرّة العين في الأهل والولد والعلم والبصيرة وتأسّي الآخرين وتأثرهم به، مضافاً إلى كل ذلك الفوز

(١) سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٠٧-٢٠٨ ط. دار الجيل.

بالجنة والنجاة من النار وحسن الجزاء في الآخرة، ولعل في تكرار اليُسْر مع العُسْر  
في الآية للإشارة إلى أنه قد يكون من جنسه وقد يكون من غيره أو هما معاً.  
نسأل الله تعالى ان ييسّرنا للحسنى والصلاح والسعادة والرضا في الدنيا  
والآخرة.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾

موضوع القبس: كافل اليتيم المادي والمعنوي مع رسول الله (ﷺ)

اليتيم يعني الانقطاع والانفراد فاليتيم في الانسان انقطاع الطفل الذي لم يبلغ عن أبيه حيث (لا يتم بعد احتلام)<sup>(١)</sup>، أما في الحيوانات فهو الانقطاع عن الأم والجامع بينهما هو الانقطاع عن الكافل والرازق والمدبر والمدير، وبلحاظ معنى التفرد والانقطاع يكون معنى اللفظ واسعاً فيشمل كل متفرد منقطع النظير فيقال جوهره يتيمة أي انقطعت مادتها التي أخرجت منها فلا يوجد مماثل لها وقصيدة يتيمة أي لا نظير لها وهكذا.

وبهذا المعنى فسرت بعض الروايات يتم رسول الله (ﷺ) فقد روى العياشي في تفسيره عن الإمام الرضا (عليه السلام) عند تفسير قوله تعالى لنبية محمد (ﷺ) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (الضحى: ٦) قال (فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس اليك)<sup>(٢)</sup> وروى الشيخ الصدوق مثله عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> وقال علي بن إبراهيم

(١) وسائل الشيعة: ٤٥/١ أبواب مقدمات العبادات، باب ٤/ ح ٩.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٣٥٨/٥ سورة الضحى، ح ١٣.

(٣) معاني الاخبار: ٥٢/ ح ٤.

في تفسيره (اليتيم الذي لا مثل له ولذا سميت الدرة اليتيمة لأنه لا مثل لها)<sup>(١)</sup>، وإذا صح صدور الحديث عن الإمام (عليه السلام) فلا كلام وإن كان فهماً من بعض الرواة فهو خلاف الظاهر خصوصاً بمقابلته مع تفريع آية ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى: ٩) عليها ويمكن قبول هذا المعنى إذا نُظر إلى الآية مستقلة عن الآية الأخرى.

واليتيم حاله تشير الشفقة والتعاطف بشكل عاصف وتشير كوامن الإنسانية وهي محل لاختبار كرم الاخلاق من لؤمها وفي ذلك نسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):  
 ما إن تأوّهت من شيء رزئت به      كما تأوّهت للأطفال في الصغر<sup>(٢)</sup>  
 قد مات والدهم من كان يكفلهم      في النائبات وفي الاسفار والحضر  
 ونجد في القرآن الكريم التأكيدات المتكررة على الإحسان إلى الأيتام ورعايتهم مثل قوله تعالى ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ (البقرة: ١٧٧) وقوله تعالى ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى﴾ (البقرة: ٢١٥) وقوله تعالى ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ (النساء: ٣٦) ويصل التأكيد إلى ذروته عندما قرنها الله تعالى بتوحيده وبأفضل العبادات في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ (البقرة: ٨٣).

(١) تفسير نور الثقلين : ٣٥٨/٥ ح ١٧.

(٢) بحار الأنوار - المجلسي: ٤٧/٣٣.

وحذرت الآيات الكريمة من عقوبة من تمتد يده إلى أموال اليتامى بغير حق مستغلاً ضعفهم وقلة حيلتهم وعدم معرفتهم بالأمر كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠) وجعل تبارك وتعالى عدم اكرام اليتيم من علامات ضعف الايمان قال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (الفجر: ١٧) بل من علامات عدم الايمان بالآخرة قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ (الماعون: ١-٢) لأنه لو كان يؤمن بالآخرة حقاً لسعى إليها سعيها.

فالآية الكريمة محل البحث موجهة الى رسول الله (ﷺ) ومنه إلى البشر كافة بأن يهتم باليتيم وايوائه والاعتناء به ولا يتسبب في إيلامه وإزعاجه وإذلاله وتسليط من لا يرحمه عليه، قال تعالى له ذلك بعد ان ذكره في الآيات السابقة بنعمة الله تعالى عليه (ﷺ) اذ كان يتيمًا فأواه وكفله وأعزه ونصره ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (الضحى: ٦) فإنه (ﷺ) فقد أباه وهو حمل في بطن أمه فكفله جده عبدالمطلب سيد البطحاء ثم توفيت أمه وهو في الشهر السادس من عمره، وتوفي جده وهو في الثامنة من عمره فكفله عمه أبو طالب ونصره وحماه من أذى قريش وغيرهم.

ولا شك في ان أكثر من يقدر معاناة اليتيم وآلامه وانكساره وآثاره النفسية والاجتماعية هو من ذاق اليتيم ومن هنا ارتبطت الآية بفاء التفريع والتسبيب ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي اجعل تذكرك لحالة اليتيم التي عشتها سبباً لإكرام اليتيم والإحسان اليه وعدم اشعاره بالنقص الذي تسبب بفقدان كافله ومعيه ومربيّه.

وقد أوصل (ﷺ) هذا التوجيه إلى الأمة بكل وضوح وبأبلغ التعابير وأعلى الاثمان فقال (ﷺ) (من عال يتيمًا حتى يستغنى عنه أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة كما أوجب الله لأكل مال اليتيم النار)<sup>(١)</sup> وقال (ﷺ) (إن في الجنة داراً يقال لها: دار الفرح، لا يدخلها الا من فرّح يتامى المؤمنين)<sup>(٢)</sup> وقال (ﷺ): (إن اليتيم اذا بكى اهتز لمكائه عرش الرحمن، فيقول الله لملائكته يا ملائكتي من ابكى هذا اليتيم الذي عُيِّب أبوه في التراب، فتقول الملائكة: أنت أعلم، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي فإني أشهدكم ان لمن أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة)<sup>(٣)</sup>. ويصل تكريم كافل اليتيم إلى ذروته بقوله (ﷺ): (من كفل يتيمًا وكفل نفقته كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين إصبعيه المسبحة والوسطى)<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية أخرى قال (ﷺ): ((أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عز وجل، وأشار بالوسطى والتي تليها))<sup>(٥)</sup>، والحديث مشهور، وإن كان ينقل من دون جزئه الأخير الذي هو شرط قبول الأعمال، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧) لكنه هنا شرط لكون كافل اليتيم في درجة رسول الله (ﷺ) وليس شرطاً لإعطاء الجزاء، لأن أعمال البر والإحسان يثاب عليها الإنسان ولو لم يقصد بها وجه الله تعالى.

(١) بحار الأنوار: ٤/٧٥ ح ٨

(٢) كنز العمال: ٦٠٠٨.

(٣) مجمع البيان: ٢١٤/١٠.

(٤) بحار الأنوار: ٧٥/٣ عن قرب الإسناد بسند مقبول.

(٥) تفسير نور الثقلين: ٥٩٧/٥.

وقد أكدت الآية الكريمة على الجانب المعنوي في رعاية الأيتام ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي لا تذلل ولا تهن ولا تستضعف اليتيم لأن حاجة اليتيم إليه أشد إذ قد يكون مكتفياً مادياً لأن أباه ترك له مالاً يعيش منه لكن الجانب المعنوي تبقى الحاجة إليه وقد حث عليه الأحاديث الشريفة حتى أبسط صورة كالمروي عن النبي (ﷺ) قال (من مسح على رأس يтим كان له بكل شعرة تمر على يده نور يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يтим ترحماً الا كتب الله له بكل شعرة مرّت يده عليها حسنة)<sup>(٢)</sup>.

وتذكر الروايات ان ذلك يعود بالفيض المعنوي على الماسح نفسه فقد قال (رسول الله (ﷺ) لرجل يشكو قسوة في قلبه: أتحب أن يلين قلبك وتدرّك حاجتك؟ ارحم اليتيم وأمّسح رأسه واطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرّك حاجتك)<sup>(٣)</sup>.

إن كفالة الأيتام والإحسان اليهم ليس فقط عملاً شخصياً يتقرب به الانسان إلى الله تعالى وينال به الدرجات المذكورة وانما هي مسؤولية اجتماعية لأن استمرار شعور اليتيم بالنقص والحرمان وانه ادون من الآخرين وعدم معالجة هذه الحالة عنده تجعله عنصراً مأزوماً محتقناً ويتحّين الفرص للانتقام من المجتمع الذي لم يعوضه عن هذا النقص ويتحول الايتام إلى قنابل موقوته في المجتمع ما

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٢١٤.

(٢) بحار النوار: ٤/٧٥ ح ٩.

(٣) ميزان الحكمة: ٩/٦١٤.

لم يتم دمجهم كافراد طبيعيين صالحين فيه، وهذا يعطي رساله إطمئنان لكل الناس بأن حقوقهم وحقوق أبنائهم مكفولة بأحسن صورة حتى لو خلفوا ايتاماً، وورد هذا المعنى في حديث عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال (حُرِّمَ أكل مال اليتيم ظلماً لعلل كثيرة من وجوه الفساد) إلى أن قال (عليه السلام) (فاذا أكل ماله فكأنه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة، مع ما في ذلك من طلب اليتيم بثأره اذا أدرك، ووقوع الشحنة والعداوة والبغضاء حتى يتفانوا)<sup>(١)</sup>.

ولابد من الالتفات الى المعنى الواسع لآكل مال اليتيم فان عدم دفع الحقوق الشرعية الى مستحقيها من مصاديق هذا العنوان ففي رواية صحيحة عن أبي بصير قال (قلت لأبي جعفر - الباقر (عليه السلام) - ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم)<sup>(٢)</sup>.

وان ما يأكله السياسيون الفاسدون من أموال الشعب بغير حق هو أكل لمال اليتيم بالباطل لأن المسؤول في موقع الأبوة والكفالة والرعاية للشعب انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف (يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة)<sup>(٣)</sup> فالشعب منقطع عن ثرواته ومصالحه وامكانياته المتنوعة التي اودعها الله تعالى في أرضه واستأمن المسؤولين في السلطة عليها فاذا مدّ المسؤول يده اليها ولم يحسن وضعها في محلها فإنه أكل أموال هؤلاء الأيتام المنقطعين.

(١) علل الشرائع: ٤٨٠/ح ١.

(٢) وسائل الشيعة: ٤٨٣/٩ أبواب ما يجب فيه الخمس، باب ١/ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٦/ص ١١.

ان كل ما تقدم يلزمنا بإيجاد المؤسسات الخيرية والثقافية والتربوية والتعليمية التي تعنى برعاية الأيتام وكفالتهم وحسن تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم حتى يكونوا افراداً صالحين في المجتمع بل ربما من قاداته، وقد أورد الفقهاء مسائل شرعية مفصلة لحفظ أموال الأيتام وإدارتها بما فيه مصلحة الصغير ووضعت شروطاً لمن يتولى القيمومة على الصغار والتصرف بأموالهم.

وعلينا ان نتذكر أن أكمل الخلق وأشرفهم وهو نبينا محمد (ﷺ) كان يتيمًا، وان فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين فقدت أمها وهي في الخامسة من عمرها وعاشت وحيدة مع أبيها رسول الله (ﷺ) وان من أكمل سيدات النساء عبر التاريخ وهي الصديقة مريم كانت يتيمة توفى أبوها وهي حمل في بطن أمها لكن الله تعالى هيا لها كفيلاً من انبيائه العظام ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران: ٣٧) فحسن كفالة الايتام تصنع منهم عناصر ثمرة مباركة في المجتمع.

وكان لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) سلوك متميز مع الايتام فقد روى الشيخ الكليني في الكافي انه (جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) عسل وتين من همدان وحلوان فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الازقاق يلعقونها وهو يقسمها للناس قدحا، قدحا، فقل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال: إن الإمام أبو اليتامى وإنما ألحقهم هذا برعاية الآباء)<sup>(١)</sup> وبهذا أوصى رسول الله (ﷺ) بقوله (كن لليتيم كالأب الرحيم)<sup>(٢)</sup> (ونظر علي (عليه السلام) إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن

(١) الكافي: ٤٠٦/١، بحار الأنوار: ١٢٣/٤١ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٧١/٧٧ ح ٧.

أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقتل، وترك علي صبيانا يتامى، وليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس، فانصرف وبات ليلته قلقاً، فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال: من يحمل وزري عني يوم القيامة؟ فأتى وقرع الباب، فقالت: من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئاً للصبيان، فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب، فدخل وقال: إني أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعللين الصبيان لاخبز أنا، فقالت: أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر، ولكن شأئك والصبيان، فعللهم حتى أفرغ من الخبز، قال: فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد علي (عليه السلام) إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل مما أمر في أمرك، فلما اختمر العجين قالت: يا عبدالله اسجر التنور فبادر لسجره فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الأرامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه فقالت: ويحك هذا أمير المؤمنين، قال: فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال: بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك<sup>(١)</sup>.

### كفالة الأيتام المعنويين:

ويوجد أيتام من نوع آخر هم أكثر عدداً يكاد يمثلون أغلب الناس، وكفالتهم لا تحتاج إلى المال، بل إلى الجهد والهمة والإخلاص، وكافهم

(١) بحار الأنوار: ٥٢/٤١، ح ٣، عن مناقب ابن شهر آشوب: ١١٤/٢.

يكون أقرب إلى رسول الله (ﷺ) من الأول، تعرّفهم لنا جملة من الأحاديث الشريفة<sup>(١)</sup> وتبين منزلتهم (الكافلين) عند النبي (ﷺ) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) قال: (حدثني أبي عن آباءه عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: أشد من يُتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يتلى به من شرائع دينه ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي محمد العسكري (عليه السلام) قال: (قال الحسن بن علي (عليه السلام): فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرج من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها)<sup>(٣)</sup>.

وعنه (عليه السلام) قال: (قال الحسين بن علي (عليه السلام) من كفل لنا يتيماً قطعت عنه محبتنا<sup>(٤)</sup> باستئارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال الله

(١) هذه المجموعة من الأحاديث أثبتها العلامة المجلسي (قده) في بحار الأنوار: ٢/ ٦-٢ في الباب ٨ من كتاب العقل والعلم والجهل، أبواب العقل والجهل، عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) وكتاب الاحتجاج للطبرسي.

(٢) الأحاديث من بحار الأنوار الباب المذكور على التسلسل: ١، ٤، ٥، ٩، ١٠، ١١.

(٣) السها في لغة العرب كوكب صغير خفي الضوء، والناس يمتحنون به أبصارهم لصغره وخفائه.

(٤) أي كان سبب انقطاعه عنا رغبتنا في الاستئار رعاية الحكمة إلهية عظمى. وفي نسخة (محنتنا) وهو أظهر.

عز وجل: يا أيها العبد الكريم المواسي أنا أولى بالكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علّمه ألف ألف قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال موسى بن جعفر (عليه السلام)): فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد؛ لأن العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإيمانه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد، وألف ألف عابدة).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال علي بن موسى الرضا (عليه السلام)): يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤونتك فادخل الجنة، ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفّر عليهم نعم جنان الله وحصل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لمن أخذ عنك، أو تعلّم منك فيقف فيدخل الجنة معه فثاماً وفثاماً<sup>(١)</sup> حتى قال عشرة).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال محمد بن علي الجواد (عليه السلام)): من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيدي شياطينهم، وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برد وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم ليُفَضِّلُون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش

(١) فثام: الجماعات الكبيرة من الناس، وطبقت في بعض الموارد - كيوم الغدير - على مئة ألف.

والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء).

### الزهاء (عليه السلام) تكفل الأيتام:

وقد كانت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تحذو حذو أبيها (عليه السلام) في أقواله وأفعاله وخصاله الكريمة وهديه وسمته، فقد أدت ما عليها ووفت بما عاهدت ربها عليه من الالتزامات فنجحت في الامتحان بأعلى درجات النجاح. الأيتام بكلا النوعين:

ومن مورد صدقها فيما امتُحنت به كفالة الأيتام بالمستويين اللذين ذكرناهما. أما الأول فقد شهد الله تبارك وتعالى لها ولزوجها أمير المؤمنين وولديها الحسن والحسين (صلوات الله عليهم) في القرآن الكريم بإطعامهم اليتيم مع حاجتهم للطعام حباً لله تبارك وتعالى وإخلاصاً لوجهه الكريم ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٨-٩﴾. (الإنسان: ٨-٩).

ونقرأ في سيرتها (صلوات الله عليها) أنها طحنت بالرحى حتى مجلت يداها وأشعلت التنور حتى دكنت ثيابها وما ذلك لإطعام زوجها وبنيتها لأنهم خمس البطون، وكانوا يكتفون من الطعام بما يسد رمقهم، وإنما كان ذلك لكثرة من تطعمهم وتكفل بهم كما تشهد به روايات أخر، ولم تغب عنها الوصية بالأيتام وهي تودع الحياة الدنيا، روي أنه جاء في وصيتها (عليها السلام) لأمر المؤمنين (عليهم السلام)

بالحسن والحسين (عليهما السلام): (يا أبا الحسن ولا تصح في وجهيهما فإنهما سيصبحان يتيمين من بعدي، بالأمس فقد جدهما واليوم يفقدان أمهما) <sup>(١)</sup>.

وأما على المستوى الثاني لكفالة الأيتام فقد كانت لها حركة دؤوبة وهمة لا تعرف التواني والتقصير، روي عن الإمام أبي محمد العسكري (عليه السلام) أنه قال: (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة (عليها السلام) عن ذلك، فثنت فأجابت ثم ثلثت إلى أن عشت فأجابت ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قالت فاطمة (عليها السلام): هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكرى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكرتيت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل عليّ، سمعت أبي (صلى الله عليه وآله) يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد (صلى الله عليه وآله)، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيذوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تنموا

لهم خلعهم، وتضعفوها لهم فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم. وقالت فاطمة (عليها السلام): يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر<sup>(١)</sup>.

وروي عنه (عليه السلام) قال: (قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): من قوَّى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه لقنه الله يوم يُدلي في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخواني. فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة)<sup>(٢)</sup>.

وان حديث النبي (ﷺ): (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) يجري في هذه الكفالة أيضاً وقد شهد الإمام الصادق (عليه السلام) بذلك للراوي الجليل بكير بن أعين فإنه لما بلغ الإمام (عليه السلام) موته قال (أما والله لقد أنزله الله بين رسوله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما)<sup>(٣)</sup>.

وقال (عليه السلام) في أخيه حمران (نعم الشفيع أنا وآبائي لحمران بن أعين يوم القيامة، نأخذ بيده ولا نزايله حتى ندخل الجنة جميعاً)<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ١٧٨/٤٣ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٧٨/٤٣ ح ١٤.

(٣) معجم رجال الحديث: ٢٦٦/٤.

(٤) معجم رجال الحديث: ٢٧٢/٧.

## مسؤوليتنا عن كفالة كلا النوعين من الأيتام:

أيها الأخوة والأخوات: لتأسّ بالصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) حتى نكون معها ومع أبيها الرسول الكريم (صلوات الله عليهما وآلهما) في درجتهما في الجنة بكفالة كلا النوعين من الأيتام. فبلدنا اليوم يعج بمئات الآلاف من الأيتام بسبب ما تعرض له من جرائم القتل والبطش والحروب والمقابر الجماعية في عهد صدام ولجرائم القتل المنظم والإرهاب والفوضى المتعمدة والقتل العشوائي في عهد الاحتلال، وهؤلاء الأيتام في الوقت الذي يشكلون فيه مسؤولية على الأمة جميعاً تقتضي احتضانهم ورعايتهم وتربيتهم، وإلا تحولوا إلى جيل كامل من المجرمين والقتلة والمرضى النفسيين والمنحرفين أخلاقياً والحاquدين على المجتمع، في الوقت نفسه هم يمثلون فرصة عظيمة للطاعة امتثالاً للتوجيهات النبوية الشريفة المتقدمة.

أما النوع الثاني من اليتيم فهو صفة أكثر الناس فإنهم بين جاهل بالشريعة لا يعرف حتى الأحكام الأساسية التي يتلى بها يومياً كالوضوء والصلاة والغسل وبعض المعاملات، وبين مفتون قد اضطربت في ذهنه الأفكار وعصفت به الضلالات، وبين متورط في المعاصي بسبب غفلته وعدم وجود من يعظه ويذكره بالله تعالى، وبين إمعة ينعقون مع كل ناعق - كما وصفهم الحديث الشريف - وبين ضعيف أو مستضعف يحتاج إلى من يقوي فيه عقائده ويشدّ إيمانه، ولعلكم تعرفون أكثر مني مصاديق ذلك من خلال احتكاكم بالناس واطلاكم على البيئة التي تعيشون فيها، ولعل بعضكم اطلع على الكثير مما ذكرت من خلال التجمعات الكبيرة التي تحصل في بعض المناسبات الاجتماعية والدينية وغيرها.

فأمامكم فرصة واسعة النيل القرب من رسول الله (ﷺ) والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) برعاية الأيتام من النوع الأول وكفالتهم بالمساعدات المالية ورعايتهم وتربيتهم وإنشاء مؤسسات الحضانة والتعليم والترفيه لهم ونحوها، وقد أذنت المرجعية بصرف قسم كبير من الحقوق الشرعية لكفالة الأيتام.

والفرصة الأوسع التي أمامكم هي كفالة الأيتام من النوع الثاني وهي متاحة للجميع إذ ما من أحد منا إلا ويعرف مسألة شرعية أو حديثاً شريفاً أو نصيحة مفيدة فلننظم جميعاً ببركة الزهراء (عليها السلام) حملة واسعة نقوم خلالها بتعليم الناس كل كلمة مفيدة أو موعظة تسمعونها أو مسألة شرعية تتعلمونها أو عمل صالح تهتدون إليه، أو نصيحة ترشدكم وتصحح أخطاءهم وغيرها كثير.

فلا تبخلوا بكل ذلك على الناس سواء داخل الأسرة أو لزملائكم في العمل أو المنطقة أو رفقاءك في السفر، وانقلوها لأكبر عدد منهم ليزداد أجركم وتحظون برضا الله تبارك وتعالى والمنزلة الرفيعة عند رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والصديقة الطاهرة الزهراء (صلوات الله عليها)، فهذه الوظيفة ليست حكراً على الحوزة العلمية ونحوها بل هي مسؤولية كل من تعلم ولو مسألة واحدة وأنتم شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فاحفظوا وصيته بالأيتام عند وفاته (صلوات الله عليه) وقد رويت في الكافي بسند صحيح ومما جاء فيها: (الله الله في الأيتام؛ فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة كما أوجب الله لآكل مال اليتيم النار)<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي: ٥١٧-٥٢ باب صدقات النبي (ﷺ) وفاطمة والأئمة (عليهم السلام) ووصاياهم، ح ٧.

### التأسي بصاحب الزمان (عليه السلام):

وتأسوا بإمامكم المهدي الموعود (صلوات الله عليه) فإنه مع ما يعانيه من ألم الابتعاد عن ممارسة دوره الكامل في حياة الأمة فإنه لم يغفل لحظة عن رعاية شيعته، قال (عليه السلام): (نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جل جلاله..)<sup>(١)</sup>.

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٣٢٣/٢.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

### موضوع القبس: التحديث بولاية أهل البيت (عليه السلام) ونشرها

#### ماذا يتوجب علينا مع حصول النعمة؟

إذا حصلت للإنسان نعمة ما مادية كانت او معنوية فان هذا يوجب عليه أموراً<sup>(١)</sup> عديدة:

(منها) شكر هذه النعمة باللسان وبالفعل كسجدة الشكر او صلاة الشكر.

(ومنها) استعمالها في طاعة المنعم ونيل رضاه وأداء ما افترض الله تعالى من

حقوق فيها كالحقوق المالية او حق الزوج والزوجة أو حق الوالدين او المعلم او

القائد الصالح كما رسمها الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق.

(ومنها) بذلها للناس وعدم التقصير في سد احتياجاتهم منها، عن رسول الله

(صلى الله عليه وآله) قال: (إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا اخْتَصَمَهُمُ بِالنِّعَمِ يَقْرَهُهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا لِلنَّاسِ فَإِذَا مَنَعُوهَا

حَوْلَهَا مِنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ)<sup>(٢)</sup> وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من كثرت نعم الله

---

(١) شرحناها بتفصيل أوسع في قبس قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ٨)

القادم، وفي قبس قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ (إبراهيم: ٨)، المتقدم في تفسير من نور القرآن.

(٢) بحار الأنوار - المجلسي: ٣٥٣ / ٧٢.

عليه كثرت حوائج الناس اليه، فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء<sup>(١)</sup>.

### كيف نعرف بالنعمة ولا نصاب بالعجب أو الرياء؟

(ومنها) ما ذكرته الآية الشريفة من وجوب التحديث بهذه النعمة، إذ الامر فيها لا يختص بالمخاطب وهو رسول الله (ﷺ) كما هو واضح في آيات القرآن الكريم، وقد يبدو الأمر غريباً إذا تعلق بالأمور المادية إذ من غير المألوف أن يتحدث الانسان في مجالسه بما عنده من اموال أو بنين أو عقارات أو نفوذ اجتماعي ونحو ذلك، وكذا الحديث في الأمور المعنوية فقد يدخل في باب الرياء أو العجب ان يتحدث الانسان عن الطاعات التي قام بها من صلاة أو صوم أو صدقة ونحو ذلك، إذن كيف نفهم هذا الامر بالتحديث بالنعمة.

والجواب يتحقق من خلال فهم معنى (النعمة) أو (التحديث) يناسب الامر الوارد في الآية، والتأمل فيهما يؤدي الى عدة وجوه:

١- ان التحديث بالنعمة لا يكون بعنوان كونها إنجازاً شخصياً للاستعلاء والتفاخر وإنما بما هي منسوبة الى الله تبارك وتعالى لبيان فضله وكرمه وابتدائه بالنعم لتحبيبه تعالى الى الناس وتذكيرهم بما أنعم الله تعالى عليهم، لذلك أضافت الآية النعمة الى الرب ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

٢- ان التحديث بالنعمة لا يقتصر على الحديث اللساني وإنما يشمل التحديث العملي بإظهار تلك النعمة أمام الآخرين روي عن رسول الله (ﷺ)

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ١٦ / ٣٢٥ / ح ٩.

قوله: (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)<sup>(١)</sup> وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سُمِّيَ حبيب الله محدثاً بنعمة الله، وإذا أنعم الله على عبد بنعمة فلم تظهر عليه سُمِّيَ بغيض الله مكذباً بنعمة الله)<sup>(٢)</sup> ويكون ثمرة هذا التحديث للتأسي في فعلها أو السعي بنفس المقدمات التي تؤدي إلى تحصيل تلك النعم ونحو ذلك روي عن الإمام الحسين (عليه السلام) قوله: (إذا عملت خيراً فحدث إخوانك ليقتدوا بك)<sup>(٣)</sup>.

٣- يحتمل في التحديث معانٍ آخر غير معنى التكلم بها وإطلاع الآخرين عليها، قال السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) الشريف ((أمكن أن يُراد بمادة (حدث) أمران آخران: الأول: الحدوث.

والثاني: التحديث بمعنى الجدة.

فعلى الأول يعني: أوجد نعمة ربك، أي: سبب إلى وجودها في حدود إمكانك، وهو أمر معنوي.

وعلى الثاني يعني: جدّد نعمة ربك: إما بالتسبب إلى تكرارها وإما بتذكّرها. وإما أن يكون الحديث بمعنى التذكّر يعني: حدث نفسك أو حدث ربك، ولم يقل حدث الآخرين، وهو مجاز في التذكّر، وفيه ثواب وتكامل، أو إنك إنما تفعل ذلك كلّ بنعمة الربّ سبحانه.

(١) بحار الأنوار - المجلسي: ٢٩٩ / ٧٦.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ٦ / ٤٣٨ / ح ٢.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣١ / ٢٠١.

وبتعبير آخر: تارةً يكون التركيز على النعمة وأخرى على التحديث بها، ويكون الآخر تابعاً نحو: العيش برزق الله<sup>(١)</sup>.

٤- إن الآية لم تذكر صاحب النعمة التي يجري التحديث بها فقد لا يكون المقصود التحديث بنعمة الله على المتحدث نفسه بل على الآخرين لتذكيرهم ولتقريبهم الى الطاعة او لتسليتهم عن أمر فقدوه ولامتصاص غضبهم وسخطهم على ما فاتهم فيذكرهم بالنعمة التي أستفادوها ونحو ذلك، ورد أن الله تعالى قال لموسى (عليه السلام): (حبّني الى خلقي وحبّ خلقي اليّ، قال: يا رب كيف أفعل؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي ليحبّوني)<sup>(٢)</sup>.

### النعمة هي الاسلام وولاية اهل البيت (عليهم السلام):

٥- الوجوه السابقة كلها مقبولة ومفيدة الا ان الوجه الادق والاهم هو أن نفهم من نعمة الرب مصداقاً يتناسب مع الأمر بالتحديث بها، وهذا موجود، لأن آيات عديدة وروايات كثيرة أفادت بأن هذه النعمة هي الاسلام وولاية أهل البيت (عليهم السلام)، ومنها قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣) ونعمة الله التي ألفت بينهم ووحّد قلوبهم هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) برسالة الاسلام، عن الإمام الحسين (عليه السلام) قال في تفسير هذه الآية (أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه من دينه)<sup>(٣)</sup> ويكون هذا المعنى ظاهراً بمقتضى المقابلة بين الآيات في سورة

(١) منة المنان في الدفاع عن القرآن: ٩٦/٢.

(٢) الأمالي: ٤٨٤.

(٣) المحاسن - البرقي: ١/٢١٨ ح ١١٥.

الضحى فان هذه الآية قابلت قوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى: ٧) فالنعمة التي امر بالتحدث بها هي نعمة الهداية الى دين الله تبارك وتعالى. وتمام هذه النعمة وكمال هذا الدين ولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) لقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣)، وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ٨) قول الإمام الصادق (عليه السلام) إلى أبي حنيفة: (نحن - أهل البيت - النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتملوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً وبنا هداهم الله الى الاسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته<sup>(١)</sup>، وقد يكون هذا المعنى هو المقصود لا غيره إذا لم نفهم اطلاق النعم وعمومها من قوله تعالى ﴿يَنْعِمَ رَبِّكَ﴾ بأن يكون المراد التنويه بنعمة معينة فتكون هذه لا غيرها واكتفى بالإشارة اليها لعظمتها واهميتها على سائر النعم.

وورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠) قال: (النعمة الظاهرة النبي (صلى الله عليه وآله) وما جاء به النبي من معرفة الله عز وجل وتوحيده، وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا)<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير العياشي: ٢٥٨.

(٢) تفسير القمي: ١٦٦/٢.

وقد عمل رسول الله (ﷺ) بهذه الآية المباركة وتحدث بفضل اهل بيته ومقاماتهم الرفيعة وجعلهم صنو القرآن والزم الامة بالرجوع اليهم فظن بعض الاصحاب انه منحاز الى قومه ويتحدث بدافع العاطفة نحو اهل بيته (عليه السلام) وهو المنزه عن كل ذلك ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم ٣-٤) فعمله (ﷺ) هذا كان التزاماً بالآية الكريمة.

### آليات التحديث بالنعمة:

فالتحديث بهذه النعمة يكون بالتعرف عليها والتفقه فيها ثم نشرها بين الناس ودعوتهم اليها، وإذا أردنا أن نكون من الشاكرين على هذه النعمة فلا بد أن نظهرها ونعظمها ونبين فضائل أهل البيت (عليه السلام) ومناقبهم ومكارم أخلاقهم وننشر مواعظهم وأحكامهم ومحاسن كلامهم ونوصلها الى البشرية جمعاء بكل صنوفها ولغاتها، وعلينا أن نحیی شعائرهم وأمرهم كما دعوا (عليه السلام) الى ذلك (احياء أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا)<sup>(١)</sup> ومن قصر في إظهار نعمة ولاية أهل البيت (عليه السلام) ولم يدعُ الناس اليها وإقناعهم بها بأي وسيلة ممكنة، أو لم يحفظ حرمة أهل البيت (عليه السلام) في سلوكه وصفاته فهو ممن لم يؤد حق هذه النعمة ولم يشكرها.

وكما تقدّم في قول الإمام الصادق (عليه السلام) فإنه أعتبر من لم يحدث بنعمة الله ولم يظهرها مكذباً بنعمة الله وبغيض الله، فليتفقه كل شيعة أهل البيت (عليه السلام) في دينهم وليطلعوا بعمق ووعي على سيرة أئمتهم (عليه السلام) ليستطيعوا إيصال هذه الرسالة العظيمة الى العالم كله بأمانة وإتقان (فإن الناس لو علموا محاسن

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) - الشيخ الصدوق: ٢ / ٢٧٥.

كلامنا لأتبعونا<sup>(١)</sup>.

### مسؤولية التشيع اليوم:

أقول: بناءً على هذه المسؤولية الكبيرة التي حملتنا هذه الآية مع توفر أثنى

فرصة اليوم لنشر تعاليم أهل البيت (عليه السلام) والتمهيد لدولة العدل الإلهي بسبب:

١- عظمة ما أحتوت عليه كلمات أهل البيت (عليه السلام) من احكام وإرشادات

ومواعظ قال الإمام الرضا (عليه السلام) (فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا)<sup>(٢)</sup>

وهذا ما تشهد به التجارب التي حدثنا بها الاخوة المبلغون في شرق الارض

وغربها وما لمسوه من إقبال واسع وسريع لمذهب أهل البيت (عليه السلام).

٢- فشل الأنظمة المادية التي صنعتها البشرية وعجزها عن توفير السعادة

للإنسان.

٣- الصورة المشوهة للإسلام التي طرحتها المدارس البعيدة عن أهل البيت

(عليه السلام) حيث كان نتائجها التكفير والقتل والارهاب والتدمير وتخريب الحضارة.

فتوجهت الانظار كلها الى مدرسة أهل البيت (عليه السلام) لذا كان لزاماً علينا في

الحوزات العلمية والنخب الفكرية<sup>(٣)</sup> والثقافية والمراكز العلمية والبحثية أن تضع

البرامج والآليات للتحرك بهذه الرسالة العظيمة وسيفتح الله تعالى لهم العالم بأسره

(١) معاني الأخبار- الشيخ الصدوق: ١٨٠.

(٢) معاني الأخبار- الشيخ الصدوق: ١٨٠.

(٣) حديث سماحة المرجع العنقوبي (دام ظله) مع الضيوف المشاركين في مؤتمر الطف الدولي

السابع الذي اقامته كلية الآداب في الجامعة المستنصرية وقد زاروا سماحة المرجع يوم الاربعاء

٢٦/صفر/١٤٣٧هـ - المصادف ٢٠١٥/١٢/٩ وهم من دول عربية وإسلامية واجنبية.

ولا نتخوف من الحكومات فإننا إذا توجهنا بخطابنا الى الرأي العام وصنعنا قضية أمامه من خلال مراكز اعلامية وفكرية وبحثية صانعة للمواقف ومقنعة للرأي العام على شكل (لوبيات) مؤثرة وفاعلة في مختلف دول العالم، فان الرأي العام سيقنع بها ويضغط على أصحاب القرار ويجبره على الانصياع للرأي العام الذي تخشاه الحكومات.

وأذكر كمثال مظلومية الشعب العراقي وإضطهاد صدام المقبور له، فعندما تحركت المعارضة العراقية يومئذٍ وشرحت هذه المظلومية كوّنت رأياً عاماً متعاطفاً معها وارتقى بهم الأمر حتى أقنعوا حكومات الدول الكبرى بضرورة إتخاذ إجراء وهذا ما حصل، كما ان القناعة حصلت لاثنتين من كبريات الصحف البريطانية والأمريكية فنشرت مقالين عن زيارة الاربعين هذا العام وأشارت الى الارقام القياسية المتحققة فيها من حيث عدد المشاركين في المشي وعدد المتطوعين للخدمة المجانية وعدد وجبات الطعام المجانية المقدمة (قدروها بـ ٢٠٠ مليون وجبة) واطول مائدة طعام في العالم في اكبر حشد بشري، كما عتب كاتبا المقالين على وسائل الاعلام العالمية لإغفالها هذا الحدث مع انها تغطي تجمعاً لعشرات في هذه الدولة او تلك.

وهذا كله يثبت اننا قادرون على صناعة وتوجيه الرأي العام العالمي اذا توفرت الإرادة والعزم والسعي.

فلماذا نتخلى عن مشروعنا هذا بمجرد الوصول الى السلطة، فهل السلطة غايتنا أم إنها وسيلة لإحقاق الحق وإزالة الظلم والفساد.

﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾

موضوع القبس: لنكن أمة ﴿أَقْرَأْ﴾

### أمة القراءة:

بمناسبة البعثة النبوية الشريفة نريد أن نأخذ درساً من أول كلمة القاها الوحي على رسول الله (ﷺ) إيداناً بتحقيق الوعد الالهي للبشرية الضالة الجاهلة المتعبة أن ينقذهم بالرسالة الكاملة الخاتمة ويأخذ بهم في هذه النقلة الهائلة التي لا تُقاس بها النقلة من الأرض الى السماء، فمن حقنا أن نفخر نحن أمة الإسلام بأننا أمة القراءة وطلب العلم وأن أول كلمة نزلت على النبي (ﷺ) عند بعثته بالرسالة الإسلامية هي ﴿أَقْرَأْ﴾ أي الأمر بالقراءة، وإن معجزة الإسلام الخالدة (القرآن) هو كتاب مقروء وهو مصدر اشتق إسمه من القراءة.

### النعمة الأولى:

وإن أول نعمة ذكر الله تعالى بها عباده ممتناً عليهم القراءة والتعليم ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ٣-٥)، فالإنسان خُلِقَ من علقَةٍ وهي قطعة الدم الجامدة ووُلِدَ صفحة بيضاء خالية من المعارف والعلوم عدا ما توجه به فطرته لكن الله تبارك وتعالى جهزه ووفر له ما يملأ به صحيفته من العلوم والمعارف مما لم يكن يعلمها من قبل وكلما حصل

على معلومة تولّد له إحساسٌ بجهله بجمع كبير من المعلومات، وهو تفسير كلمة بعضهم (كلما ازددنا علماً ازددنا جهلاً)<sup>(١)</sup>.

### في معنى: (علم بالقلم)

﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي علّم البشر الكتابة واستعمال القلم أو بمعنى أنه تعالى علّمهم ما لا يعلمون بواسطة القلم والكتابة وهو ابرز حدث في تاريخ البشر ولولاه لما تكاملت الحضارات ولما انتقلت العلوم واستفادت الامم من إنجازات غيرها، ولا تستطيع أمة أن تتقدم وتبني حضارة إذا لم تُحسن الاستفادة من الكتاب والقلم. وبلغ تعظيم القلم الى مستوى القسم به ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم: ١).

### في معنى: (علم الإنسان ما لم يعلم)

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ٥) فالمصدر الاول للعلوم والمعارف هو الله تبارك وتعالى من خلال بعث الانبياء والرسل وانزال الشرائع السماوية والايحاء الى الانبياء والاولياء بما تحتاج اليه البشرية، وظلّت اللطاف الالهية مصدر الهام لكثير من المخترعين والمبدعين واصحاب النظريات الخلاقة كما اعترف جملة منهم بذلك، والتاريخ يشهد أن ازدهار العلوم وتدوينها وتعميقها شهد نقلة غير مسبوقه على يد المسلمين وأصبحت الكتابة والتعليم واسعة الانتشار ومتيسرة الحصول لجميع الناس بعد أن كانت مقتصرة على نخبة محددة، هذا في

(١) العلل - أحمد بن حنبل: ١/١٧٧ ح ١٢٧.

الامم المتمدنة كالروم والفرس، أما العرب في الجزيرة فكان الذين يعرفون الكتابة بعدد الأصابع تقريباً وكان الذي يعرف الكتابة وبعض الفعاليات الاخرى كالرمي يسمى بـ (الكامل)<sup>(١)</sup>.

### الوصية بالعلم:

وظل هذا الاهتمام بالقراءة وطلب العلم والمعرفة توجيهاً دائماً في القرآن الكريم وقد أدب الله تعالى نبيه بذلك، قال الله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه: ١١٤) وفي الحديث النبوي الشريف (إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علماً - يقربني إلى الله - فلا بارك الله لي في طلوع شمس - شمس ذلك اليوم)<sup>(٢)</sup>، وكانت الفدية<sup>(٣)</sup> التي جعلها رسول الله (ﷺ) لأسرى المشركين في معركة بدر من الذين يعرفون الكتابة ان يعلم الواحد منهم عشرة من المسلمين مقابل اطلاق سراحه فانتشرت المعرفة بالكتابة لدى المسلمين بهذه المبادرة المباركة وفي اصول الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ) قال: (تذاكروا وتلاقوا وتحديثوا فإن الحديث جلاء للقلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها الحديث)<sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر: تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني: ٤٧٥/٣.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: المجلد الأول ص ٦.

(٣) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامي - محمد هادي اليوسفي: ٧٩/١.

(٤) اصول الكافي، كتاب العلم، باب سؤال العلم وتذاكره/ ح ٨.

**صاحبوا المعرفة:**

وفي حديث آخر قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (قال رسول الله ﷺ): طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، الا وإن الله يحب بغاة العلم<sup>(١)</sup> وهذه الوصايا لا تحتاج الى مؤونة لتفهم ملاكاتها ومصالحها فإن حياة الامم وسعادتها وتقدمها بالقراءة والتعلم، أما الامم الجاهلة المتخلفة فان ممارستها لا تفترق عن حياة الحيوانات قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤).

ولا شك أن الثقافة والعلم من مقومات حياة الامم فالآية الكريمة تدعونا الى التجاوب مع كل مصدر يزودنا بهما.

فعلى كل شخص أن يقرأ ويصاحب الكتاب وكل مصادر المعرفة الأخرى ويتزود منها ليكون إنساناً بمعنى الإنسان الحقيقي لا الشكلي ويكون حياً فاعلاً في المجتمع، ولينسجم مع متطلبات الفطرة التي تنزع نحو الكمال، وليحظى برضى الله تبارك وتعالى ويتأسى برسوله (ﷺ).

**في الثقافة الموجهة لا العشوائية:**

ومن وجهة نظري - بغض النظر عن التعريفات التي قلت - فإن الثقافة هي منظومة الأفكار التي تجعل للإنسان رؤية فيما حوله ولا يكون إمعة من غناء الناس ينقع مع كل ناعق ويسيره السلوك الجمعي بلا رؤية وتأمل فيما يفعل، وفي الآية الكريمة إشارة الى ذلك ﴿إِقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أي أن الامر بالقراءة ليس

(١) اصول الكافي، كتاب العلم: باب فرض العلم / ح ٨/٧/٥

عشوائياً وبلا هدف وبلا محدّدات بل تقرأ بإسم ربك ومن أجل ربك وضمن ما خطّط له ربك الذي خلقك فيجب عليك ان تسير بهداه جاعلاً أمامك الغرض الذي خلقك الله تعالى من أجله واستخلفك في الأرض لتحقيقه وهو إعمار الحياة بكل خير وعطاء نافع واستثمار كل الأدوات والظروف التي هيأها الله تعالى لتوفير السعادة والصلاح للبشر ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١).

### تفقهوا في الدين:

فالدعوة الى القراءة لا تختص بالمعارف الدينية بمختلف فروعها وإن كانت منها بل هي من أساسياتها، في حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (عليكم بالتفقه في دين الله، ولا تكونوا أعراباً فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يرك له عملاً)<sup>(١)</sup> وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً أنه قال: (قال رسول الله ﷺ) أف لرجل - وفي رواية لكل مسلم - لا يُفَرِّغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه)<sup>(٢)</sup> ويصل الحث الى حد الإلزام والعقوبة على الترك، ففي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) (لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا)<sup>(٣)</sup>.

### السعادة بمصاحبة الكتاب:

أقول: لكن القراءة لا تختص بهذا المجال بل كل كتاب نافع يساهم في

(١) اصول الكافي، كتاب العلم، باب فرض العلم، ح ٧.

(٢) اصول الكافي، كتاب العلم، باب سؤال العلم وتذاكره: ١٥/ ح ٨.

(٣) اصول الكافي، كتاب العلم، باب فرض العلم، ح ٨.

تكوين تلك المنظومة الثقافية الصحيحة، فكتاب "كيف تكسب الأصدقاء" لمؤلف غير مسلم لكنه غني بالتوجيهات الرشيدة التي ترسم لك بوصلة العلاقات الناجحة والإيجابية مع الآخرين.

وهكذا كل كتب التنمية البشرية أو إدارة الوقت والاستفادة منه، أو كتب تعليم أسرار النجاح ومفاتيحه، أو التجارب الاجتماعية وغيرها كثير.

وقد جربَ مَنْ صاحبَ الكتاب وتولّع بالقراءة أيّ أنسٍ وسعادةٍ يحياها برفقة الكتاب حتى لا يشعر أحياناً بما يجري حوله وتمر عليه الساعات دون أن يدري وكأنه في روضة غناء ضمّت كل ما تهفو إليه النفس وتلذّ به العين، وكان بعض العلماء يطرب أثناء أنسه بالكتاب ويقول: أين الملوك وابناء الملوك من هذه اللذات، ومعه حق فما قيمة اللذات الجسدية التي يبحث عنها المترفون من لذة القراءة ومطالعة الكتاب.

### لكي نستعيد مجد الأمة المهدور:

علينا ان نستعيد امجادنا ونكون امة القراءة والكتاب فعلاً ونقود نهضة ثقافية عامة تدعو الى قراءة الكتاب بمختلف اشكاله والاهتمام به ولننشره ولنشجع الناس على القراءة ونبتكر كل الاساليب التي ترفع مستوى الثقافة لدى الناس من خلال نشر معارض الكتب وتوفيرها بأسعار زهيدة وطباعتها بشكل جاذب للقراء، وتيسير بيانها، وتنويع مواضيعها، وان تكون ذات مساس بواقع الامة وهمومها وآمالها وتساهم في صنع شخصية الانسان وان تكون بحجوم مختلفة من الدورات ذات المجلدات العديدة الى المجلد الواحد الى الكتيبات والكراريس والمنشورات والمقالات المختصرة.

إذن علينا ان نواصل القراءة لنكون امة حية حضارية متقدمة.  
وعلى كل شخص ان يقرأ ليكون انساناً حقيقياً.  
وعليناً ان نقرأ لنرضي الله تعالى ورسوله (ﷺ) والاولياء العظام ونستجيب  
لدعوته الى ما يحينا.  
ونقرأ لنعيش حياة الانس والسعادة والسمو والارتقاء.

## القبس ٢٤٠/

سورة العلق: ﴿٦﴾- ﴿٧﴾

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا غَافٍ ۚ إِنَّ رَأْيَهُ أَسْتَغْنَىٰ﴾

### الشعور بالغنى:

متلازمة ثنائية بين الشعور بالاستغناء والطغيان يشير إليها القرآن الكريم بأسف وحسرة يدل عليها استعمال لفظ ﴿كَلَّا﴾ التي قيل عنها أنها تعبير عن الردع<sup>(١)</sup>، وإذا طبقنا هذا المعنى على الآية فتكون ردعاً عن تصور السلوك الطبيعي الفطري الذي تقتضيه الآيات السابقة في بداية سورة العلق من الشكر والطاعة، فتكون بمعنى أداة الاستدراك (لكن)، وقيل أن معناها (حقاً).

### من الأمراض المعنوية: غرور الغنى:

الأسف والحسرة لوجود هذا المرض المعنوي في الإنسان على خلاف الفطرة وحكم العقل، إذ المفروض أن يكون رد الفعل على تحصيل الغنى هو

(١) الردع هنا يمكن تصوره عن توقع النتيجة الطبيعية لاغداق النعم وهو الشكر وطاعة المنعم لأن الذي يحصل على خلاف ذلك وبذلك نرد إشكال سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر الثاني (قلائد) حين قال: (وفكرة الردع خطأ فضيع، لأنه ليس في الآيات السابقات إلا الحق فلا معنى للردع عنها) (منة المنان: ٥٦٨/١) فيجاء على القول بأن (كلا) موضوعه للردع بما قربنا من إمكان حملها على هذا المعنى، ويمكن أن يكون الردع عما يليه من الكلام أي عن مقام الطغيان كما في بعض التفاسير، أو نفسها بمعنى قريب من الردع بناءً على تقريب تعرضها لجملة من التحولات بمقتضى القرائن إلى معنى غير مقطوع الصلة عن الأصل، كمعنى الاستدراك الذي ذكرناه ولا مانع من ذلك.

الشكر والتواضع والاحسان، لا الطغيان والكفر والجحود والتمرد، وهذه المتلازمة المرضية في عالم القلب والنفس أخطر من المتلازمة المرضية في عالم الجسد كمرض الايدز لأن الثاني يفتك بالحياة الدنيوية الزائلة أما الأول فيفتك بالحياة المعنوية الباقية.

والغريب أن تكون هذه الشائبة هي الحالة العامة لدى ﴿الْإِنْسَانِ﴾ الذي تذكره الآية وكأنه ملازم لذاته بحيث صَحَّت نسبتها إلى الإنسان كجنس إلا من عصم الله تعالى، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الغنى يطغي)<sup>(١)</sup>، وكأن هذه العلاقة دائمية مطلقة، وقال (عليه السلام): (غرور الغنى يوجب الأشر)<sup>(٢)</sup> وهو أسوأ من البطر ويحذر (عليه السلام) من هذه النتيجة بسبب الشعور بالغنى، قال (عليه السلام): (استعيذوا بالله من سكرة الغنى، فإن له سكرة بعيدة الإفاقة)<sup>(٣)</sup>.

### معنى الطغيان:

والطغيان في اللغة بمعنى تجاوز الحد، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ (الحاقة: ١١) وعبر تعالى عن الفيضان بالطغيان قال تعالى: ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (الحاقة: ٥)، فتفيد الآية إن الإنسان يتجاوز حدود الشرع والعقل والفطرة فيتمرد على خالقه ويخرج عن زي العبودية، ثم يطغى على الناس ويتجاوز عليهم بمجرد أنه يرى نفسه قد استغنى بتوفر بعض الأسباب لديه، وهو شعور باطل لذا كان تعبير

(١) غرر الحكم: رقم ٢٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ - الليثي الواسطي: ٣٤٩.

(٣) غرر الحكم: رقم ٢٥٥٥.

القرآن الكريم دقيقاً كما هو شأنه إذ قال ﴿أَنْ رَّأَاهُ﴾ ولم يقل (أن استغنى) لأن شعوره بالغنى وهم، إذ لا غنى حقيقة إلا الله تعالى وكل الخلق محتاجون إليه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ٥٥) وفي دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة (إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري)<sup>(١)</sup>، وإذا وُصف أحدٌ بالغنى فهو نسبي أي بلحاظ توفر احتياجاته المعاشية واستغنائه عن الطلب من الآخرين.

والذي ينصرف إليه لفظ الغنى الموجب للطغيان هو غنى المال وهو معنى صحيح، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إنما أتخوف على أمتي من بعدي ثلاث خلال: أن يتأولوا القرآن على غير تأويله، أو يتبعوا زلة العالم)<sup>(٢)</sup>، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا)<sup>(٣)</sup>.

### من الموعظة:

ومن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفة أعجب ما في الإنسان وهو القلب قال (عليه السلام): (إن أفاد مالا أطغاه الغنى وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع)<sup>(٤)</sup>، وعنه (عليه السلام): (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل... إن استغنى بطر وفتن، وإن

(١) مفاتيح الجنان: ٤٧٣.

(٢) أي يتبعون أخطاء العلماء وينشرونها لتسقيطهم، أو انهم يتبعون ما تشابه من سلوك العالم ويجعلونه ذريعة لزلأتهم.

(٣) بحار الأنوار: ٧٢ / ٦٣ / ح ٧.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ١٠٨.

افتقر قنط ووهن<sup>(١)</sup>، فما أعجب هذا الإنسان الذي لا يلتفت إلى مكان من ضعفه وانحرافه.

ومن الحكايات في هذا المجال نقلها للاتعاظ: ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال جاء رجل موسر إلى رسول الله (ﷺ) نقي الثوب فجلس إلى رسول الله (ﷺ)، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه، فقال له رسول الله (ﷺ): (أَخِفْتَ أَنْ يَمْسَكَ مِنْ فَقْرِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَخِفْتَ أَنْ يَصِيبَهُ مِنْ غَنَّاكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ لِي قَرِينًا يَزِينُ لِي كُلَّ قَبِيحٍ، وَيَقْبَحُ لِي كُلَّ حَسَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لَهُ نَصْفَ مَالِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): أَتَقْبَلُ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَلَمْ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَدْخُلَنِي مَا دَخَلَكَ<sup>(٢)</sup>).

### موجبات الطغيان عند الشعور بالغنى:

أقول: هذا الفهم - أي كون غنى المال موجب للطغيان - صحيح إلا أن الأمر لا يقتصر عليه، فقد يطغى الإنسان بكثرة الولد والأنصار، قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ • حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (التكاثر: ١-٢) وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الحديد: ٢٠) وقد يطغى بالعلم فيعتد بنفسه ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ • قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٠.

(٢) الكافي: ٢/٢٦٢/ح ١.

فَبَذَلْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿طه: ٩٥ - ٩٦﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨).

ولاشك أن من أقوى أسباب الطغيان السلطة بكل أشكالها وليس الحكام فقط، كما حصل لفرعون ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (طه: ٢٤) حتى بلغ به الطغيان حدًّا أن يقول ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤) لأن السلطة تتضمن أدوات القوة والهيمنة والنفوذ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١).

### السبب الجامع للطغيان:

والسبب الجامع للطغيان هو حب الدنيا والركون إليها والتعلق بزخارفها ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٣٧-٣٩)، والأنانية وتزيين الشيطان، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ومدّت به شياطينه في طغيانه)<sup>(١)</sup>.

### الشعور بالاستقلالية:

وهنا ننقل التفاتة أخلاقية لسيدنا الأستاذ الشهيد الصدر الثاني (قده) قال: ((وإنما يشعر بالاستغناء إذا ﴿رَعَاهُ﴾ يعني رأى نفسه بالجنبية الاستقلالية، أو رأى نفسه مستغنياً، أو أنّ رؤيته للنفس هي الاستغناء، أو أنّ هناك ملازمة بين رؤية

النفس والاستغناء، فيكون المحصل: إن رؤية النفس سبباً للشعور بالاستغناء، والشعور بالاستغناء سبب للطغيان، أعاذنا الله من كل شر))<sup>(١)</sup>.

### عاقبة الطغيان:

فليتبه الطاغي بكل مستوياته وأشكاله الى أن عاقبته سيئة في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (طه: ٨١) ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ﴾ (ص: ٥٥) ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلطَّاغِينَ مَأْباً﴾ (النبأ: ٢١-٢٢) ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى • وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا • فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٣٧-٣٩)، وضرره في الدنيا خطير وسريع، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما أسرع صرعة الطاغي)<sup>(٢)</sup>.

### أسوأ الطغيان:

ولا شك أن من أسوأ اشكال الطغيان عصيان أوامر الإمام الحجة المنصوب على الخلق ومن نصبه الأئمة المعصومون (عليهم السلام) حججاً على الخلق ورد في تفسير قوله تعالى ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ • أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ (الرحمن: ٧-٨)، عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال (الميزان أمير المؤمنين (عليه السلام) نصبه لخلقه) وفي معنى (ألا تطغوا في الميزان) قال (لا تعصوا الإمام)، ومثلها رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (لا تطغوا في الإمام بالعصيان والخلاف)، وقال: (أطيعوا الإمام بالعدل

(١) منة المنان: ٥٦٩/١.

(٢) غرر الحكم: ٩٥٢٦.

ولا تبخسوه حقه<sup>(١)</sup>.

وورد عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (الزمر: ٢٠)، فخطب (عليه السلام) أحد أصحابه بالبشارة في هذه الآية (أنتم هم - أي المقصودون بقوله تعالى فبشر عباد - ومن أطاع جباراً فقد عبده) وعن الإمام السجاد (عليه السلام) قال (أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا) وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (إياكم والولائج فإن كل وليجة دوننا فهي طاغوت).

وروي عن الإمام الصادق قال (مرّ عيسى بن مريم على قرية قد مات أهلها... فقال: يا أهل هذه القرية فأجابه منهم مجيب: ليبيك يا روح الله وكلمته، فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحب الدنيا... قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي).

### حينما يتجذر الطغيان في النفس:

ولأن الطغيان يزداد ويتركز في سلوك الفرد إذا استكبر عن سماع النصيحة والموعظة والارشاد، ولم يراجع نفسه ويحاسبها، ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات: ٥٣) ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الطور: ٣٢)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ومن طغى ضلّ على عمد بلا حجة)<sup>(٢)</sup> وحينئذ يتجذر في ذات الإنسان وطبيعته حتى يصبح صاحبه مثلاً للطغيان فيسمى

(١) راجع مصادرها في تفسير البرهان: ١٨١/٩.

(٢) الكافي: ٣٩٤ / ٢.

(طاغوتاً) وحينئذ يكون قدوة للطغيان والتمرد والمعصية وداعياً لها ومعيناً عليها ويسنّ القوانين المخالفة لشريعة الله تعالى بسوء توفيقه فيضل أمة من الناس باتباعه، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَآئَآ وَهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

### ليحذر الرساليون من مجاملة المستغنين:

ولذا كانت مجاملة المستغنين الطاغين ومداهنتهم بحجة كسبهم وهدايتهم من التصرفات الخطرة على الدين خصوصاً للمتصدّين في العمل الرسالي لأنها تؤدي إلى مزيد من التمرد والطغيان وإغراء لهم بالمضي في هذا الطريق وإقصاء الفقير، قال تعالى ملفتاً نظر النبي (ﷺ) إلى هذه الحقيقة ومحذراً منها ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ • فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ • وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ • وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ • وَهُوَ يَخْشَىٰ • فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ (عبس: ٥-١١).

### العلاج القرآني لحالة الشعور بالغنى:

وانتهت الآيتان محل البحث بإعطاء العلاج لتطهير القلب والنفس من هذه الرذيلة ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (العلق: ٨) فإذا التفت إلى هذه الحقيقة وإنه سيموت ويرجع إلى ربّه، فإنه يتيقن من أن غناه وهمّ زائل وإن كل ما بيده سيفنى ويزول، وسيحاسبه ربّه على طغيانه وتمرده ويأوي إلى شر مآب، ولذا ورد في بعض الأدعية ما يذكرنا بهذه الحقيقة (الحمد لله الذي قهر عباده بالموت

والفناء<sup>(١)</sup> ليرغم أنف الطاغين.

### في التطبيقات الاجتماعية:

وإذا انتقلنا إلى تطبيقات الآية لنحوّل القرآن الكريم إلى واقع عملي، فإنّ هذه المتلازمة المنافية لمنطق العقل تتجلى في حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً، ولنبدأ من داخل الأسرة حيث يغترّ الرجل بسلطته وقيمومته فيطغى ويظلم أهل بيته وكم رأينا من رجال لما صار بأيديهم مال أهملوا أهلهم وتوجهوا إلى اللهو والمتعة أو الوقوع في أسر الشهوات الجنسية أو عدم مراعاة مشاعر زوجته ونحو ذلك فيخرب بيته بيده.

والمرأة تعتدّ بنفسها لجمالها أو لأنها من الأسرة الفلانية أو لأن لها مرتباً شهرياً جيداً أو لشهادتها الراقية ونحو ذلك فتشعر بالاستغناء عن الرجل وتطغى وتمرد وتعالى وتقصّر في واجباتها فتهدم أواصر العلاقة الزوجية.

ومن الأمثلة على ذلك طغيان بعض حملة العلم واستعلاؤهم وترفعهم عن الآخرين ورفضهم النصح والتذكير واستهزاؤهم بمن يقوم بذلك، وفرض وضع خاص للتعامل معهم كعدم الرضا الا بتقبيل اليد وإظهار التبجيل والتعظيم لهم ونحو ذلك.

أما طغيان الزعامات ومن بيدهم شيء من السلطة فقد ملأ التاريخ بمصائبه وكوارثه، وكذا الزعامات الاجتماعية كبعض رؤساء العشائر والمتنفذين وأمثالهم. خذ مثلاً أيضاً الغرب الذي اغترّ بالتقدم العلمي الذي توفّر لديه حتى غزا

---

(١) مفاتيح الجنان: ٩٥، دعاء الصباح.

الفضاء وظن أنه قادرٌ على أن يحقق كل ما يريد فطغى وتجبر واستغنى عن ربه وكفر به وصار التفكير المادي هو قائده ورائده ونسي ضعفه وعجزه وقصوره ونحوها من اللوازم لذاته حتى يأتيهم أمر ربهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٢٤).

### بأس الله تعالى في المستغنين:

وقد شهد التاريخ الماضي والحاضر كيف ينهار الطغاة وهم في أوج عنفوانهم كفرعون، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿الشعراء: ٥٣-٥٤﴾ وكان جزاؤهم ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (طه: ٧٨) وكفارون ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (القصص: ٨١) وكهارون العباسي الذي يخاطب السحاب (أينما تمطري فخراجك لي) <sup>(١)</sup> وإذا به يمرض مرض الموت وهو في ريعان الشباب فيأمر بحفر قبره وكان يقف عليه ويقرأ الآيات الكريمة ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴿(الحاقة: ٢٨-٢٩) وشهدنا في العصر الحديث كيف قُتل الرئيس المصري أنور السادات عام ١٩٨١م، وهو في قمة طغيانه ويستعرض قواته المسلحة

(١) تفسير الأمثل - ناصر مكارم الشيرازي: ٥٩٦/١٨، نقلها عن سفينة البحار.

في ذكرى حرب ٦: تشرين الأول ويملؤه زهو القوة والمقدرة، وهكذا.  
على كل هؤلاء وكل من يطغى ويتمرد ويستكبر أن يستحضر قدرة  
الله تعالى، قال تعالى ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا  
مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا  
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (فصلت: ٥٥) أعاذنا الله تعالى وإياكم من تزيين  
الشیطان وخداع الدنيا والنفس الأمارة بالسوء.

## القبس/٣٤١

سورة القدر: ﴿٣﴾

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

### كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟

قال الله تبارك وتعالى في فضل وشرف ليلة القدر التي هي أفضل ليالي السنة: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ﴿٣﴾) والمشهور في فهمها أن العمل فيها يتضاعف برحمة الله تعالى وفضله ليكون خيراً من عمل ألف شهر، وهو معنى صحيح من الله تعالى به على عباده ليزيدهم من عطائه كرمًا منه، وقد دلت عليه الروايات ففي الكافي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، (قال له بعض أصحابنا: كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر)<sup>(١)</sup>، ويدل عليه وصفها بالمباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (الدخان: ﴿٣﴾) ومن بركاتهما زيادة الأجر على الأعمال عن غيرها من الليالي والأيام.

### من معاني ليلة القدر:

وهذا المعنى مأخوذ من اسمها؛ لأن القدر - الذي هو بمعنى الشأن العظيم فيقال عالي القدر - متحقق فيها فلها قدر عظيم، كما أنه متحقق في غيرها بدرجات متفاوتة من الفضل في أمكنة وأزمنة متعددة كالصلاة في المساجد الأربعة وعند

(١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق: ١٥٨/٢ ح ٢٠٢٥.

أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنها بآلاف الصلوات، وفي ليلة الجمعة ويومها وليالي شريفة متعددة تتضاعف الأعمال أيضاً.

وهناك معنى آخر لهذه الليلة مأخوذ من اسمها بالمعنى الآخر وهو القدر بمعنى التقدير أي اتخاذ القرار والبت في الأمر وقد ورد هذا التفسير في الكافي بإسناده عن الإمام الباقر (عليه السلام) في رواية جاء فيها: (يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل: خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل أو رزق فما قدر في تلك الليلة وقضي فهو المحتوم والله عز وجل فيه المشيئة<sup>(١)</sup>).

ويكون معنى الآية حينئذٍ، أن الله تعالى يقدر في ليلة القدر مصائر العباد وأرزاقهم وأمورهم المستقبلية قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ومعنى كونها خيراً من ألف شهر أن العبد قد يحظى بالتفاتة من ربه ويناله لطف خاص فيقدر الله تبارك وتعالى له في هذه الليلة أمراً يساوي حياته كلها التي تمتد في المعدل ألف شهر وهي حوالي ٨٣ سنة.

ولذا ورد في أدعية هذه الليلة (وإن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من السعداء فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل صلواتك عليه وآله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup>) فمثل هذا التغير في القضاء إذا حصل في هذه الليلة فإنه يعادل العمر كله؛ لأن غاية سعي الإنسان في حياته هو بلوغ السعادة الحقيقية بفضل الله تبارك وتعالى.

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ١٥٧/٤ ح ٦.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ١٥٧/٤ ح ٦.

## إحياء ليالي القدر:

وكان الأئمة (عليهم السلام) يعطون لهذه الليلة أهمية خاصة ويوجهون شيعتهم لإحيائها بما يقربهم إلى الله تبارك وتعالى. روى الشيخ الطوسي (رحمته الله) في التهذيب بسند معتبر عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (سألت عن ليلة القدر، قال: هي ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، قلت: أليس إنما هي ليلة؟ قال: بلى، قلت: فأخبرني بها، قال: وما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين)<sup>(١)</sup>.

وعن الفضيل بن يسار قال: (كان أبو جعفر (عليه السلام) إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين أخذ في الدعاء حتى يزول الليل، فإذا زال الليل صلى)<sup>(٢)</sup>.

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجلٌ من جهينة فقال: يا رسول الله إن لي إبلاً وغنماً وغُلْمةً وعمَلةً فأحب أن تأمرني بليلة أدخل فيها فأشهد الصلاة، وذلك في شهر رمضان، فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسارّه في أذنه، فكان الجهني إذا كانت ليلة ثلاثة وعشرين دخل بإبله وغنمه وأهله فبات تلك الليلة بالمدينة فإذا أصبح خرج بمن دخل به فرجع إلى مكانه)<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان هي ليلة الجهني فيها يفرق كل أمر حكيم وفيها تثبت البلايا والمنايا والآجال والأرزاق والقضايا، وجميع ما يحدث الله عز وجل فيها إلى مثلها من الحول،

(١) التهذيب: ٥٨ / ٣.

(٢) الكافي: ١٥٥/٤، الخصال: ٥١٩.

(٣) التهذيب: ٣٣٠/٤، الدعائم: ٢٨٢/١، بحار الأنوار: ١٢٨/٨٣.

فطوبى لعبد أحيأها راعكاً وساجداً ومثّل خطاياها بين عينيه ويبكي عليها فإذا فعل ذلك رجوت أن لا يخيب إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

### حول أعمال ليلة القدر:

ولذلك ينبغي للمؤمن أن يلح في مثل هذا الطلب في ليلة القدر لعله يحظى بالقبول، فإن رحمة الله واسعة وفضله مبذول لمن سأله وأن يكون دعاؤه بالحال الذي وصفه رسول الله (ﷺ) (فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة) وينبغي أن يقوم بالأعمال التي تحقق له أهلية الاستجابة والقبول في ليلة القدر - كالأكثر من الصلوات المستحبة كصلاة مائة ركعة والدعاء والرحمة بالآخرين وسماع الموعظة وذكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومصائبهم - مما يحيي القلب وينقيه ويخلص النية، ومن أعمالها المؤكدة زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ولو من بُعد لمن يتعذر عليه زيارة تربته المقدسة فقد وردت فيها روايات عديدة منها ما في التهذيب عن الإمام الصادق (عليه السلام) وفيها: (نادى منادٍ تلك الليلة من بطنان العرش إن الله قد غفر لمن أتى قبر الحسين (عليه السلام) في هذه الليلة)<sup>(٢)</sup>.

وإذا وجد في عمل رتبة وملل فليتنوع ولينتقل إلى عمل آخر، فإن الأعمال المذكورة لهذه الليالي كثيرة ومتنوعة، وأحد أهداف تنوعها هو منع الكسل والملل والرتابة، ولإحداث الحيوية، ولإعطاء الفرصة لكل شخص أن يأخذ ما يناسبه ويتفاعل معه من أعمال الجوارح والجوانح.

(١) دعوات الراوندي: ٢٠٧.

(٢) تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي: ٤٩/٦ ح ٢٦.

## بماذا نستعد لليلة القدر؟

وينبغي الاستعداد لليلة القدر من قبلها بالورع عن معاصي الله تبارك وتعالى والإقبال على طاعته، ومن أشكال الاستعداد أن يأتي بأعمالها منذ ليلة التاسع عشر كما هو مقررٌ مع أنها لا يحتمل أن تكون ليلة القدر لأن المروي أن ليلة القدر تقع في العشر الأواخر من شهر رمضان لكن ليلة التاسع عشر جعلت منها وشملت بأعمالها ليوَفِّق المؤمن لليلة القدر، ومن يتهاون بها فلعله يحرم من شيء من فضل ليلة القدر إلا أن يتداركه الله تعالى بفضله وكرمه.

ولتوضيح مسألة دخول ليلة التاسع عشر في أعمال ليالي القدر - مع أن الليلة متعينة في العشر الأواخر من شهر رمضان - نقول: إن أي طلب يمر بعدة مراحل من النظر فيه ثم دراسة كيفية تلبية وتهيئة ظروف استجابته، ثم اتخاذ القرار بالاستجابة له، ثم تنفيذ هذا القرار وتحقيق المراد، ففي الليلة التاسعة عشرة يبدأ المؤمنون بتقديم طلباتهم ويُنظر في تليتها لهم، وفي الليلة الحادية والعشرين: تتخذ القرارات بالاستجابة لمن يشمله اللطف الإلهي الواسع، لكن يبقى قلم المحو والإثبات لم يجفّ، وفي الليلة الثالثة والعشرين: تمضي تلك الأوامر نفيّاً أو إثباتاً، ولذا تكرر وصف القضاء الإلهي في ليلة القدر بأنه لا يرد ولا يبدل كما في دعاء الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام) بعد كل فريضة، وفيه: (اللهم إني أسألك في ما تقضي وتقدر من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل)<sup>(١)</sup> إلى آخر الدعاء.

وهذا المعنى ورد في رواية ذكرها الشيخ الكليني في الكافي بإسناده عن زرارة قال: (قال أبو عبد الله (عليه السلام): التقدير في تسع عشرة، والإبرام في إحدى

وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين<sup>(١)</sup>.

ويكفي دليلاً على عظمة التغيرات التي تحصل للفرد ولل بشرية جميعاً في ليلة القدر أن نزول القرآن كان فيها، القرآن الذي قلبَ حياة البشرية وسما بها من حيوانية الجاهلية إلى قمة التوحيد وفتح آفاقاً واسعة للعلوم والمعارف والحضارات وأرسى أسس الحياة السعيدة، فكانت تلك الليلة خيراً من آلاف الشهور والسنين - لأن الألف لم تذكر للتحديد وإنما للتعبير عن الكثرة - التي قضتها البشرية في ظلمات الجاهلية.

وتبقى الأمة سعيدة ما دامت ملتفتة إلى عظمة ليلة القدر والقرآن الذي نزل فيها وملتزمة به ومستفيدة منه، وإلا فإنه لا يغنيها ما أصابته من عرض الدنيا وحطامها.

### علاقة الزهراء (عليها السلام) بليلة القدر:

وبهذا المعنى كان من ألقاب الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أنها ليلة القدر؛ لأن موقفها صحح مسيرة الأمة إلى قيام يوم الساعة، فهذا الانقلاب الإيجابي المضاد الذي أحدثته الزهراء (عليها السلام) بموقفها يعدل عمل الأمة آلاف السنين إلى آخر عمرها فيما لو لم تهتد إليه.

وكان ليلة القدر مكانة في قلب الزهراء (عليها السلام)، فقد روي (أن فاطمة (عليها السلام) كانت لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة (ليلة القدر) وتداويهم بقلّة الطعام

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٤ / ١٥٩ / ح ٩.

وتتأهب لها من النهار، وتقول: محروم من حُرْمَ خيرها<sup>(١)</sup>.

وعلى أي حال فإن الاهتمام بليلة القدر والتركيز على إحيائها لا يعني أن الإنسان يتكاسل في أيامه كلها ويتهاون ويفرغ نفسه في الليالي المحتملة لليلة القدر، فهذا لا يناسب العاملين الراغبين فيما عند الله تبارك وتعالى، ولا أن ييأس إذا لم يشعر أنه قد وفق لإحياء ليلة القدر؛ لأن هذه الليلة وشهر رمضان وغيرها من أبواب اللطف الإلهي فإذا انقضت فإن رب شهر رمضان ورب ليلة القدر باقٍ ورحمته واسعة.

### تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة:

إنّ نفس هذا المعنى الذي شرحنا به الآية ورد في موضوع آخر ففي الرواية (تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة)<sup>(٢)</sup> وهو مضافاً إلى معناه المنسب إلى الذهن وهو أن التفكير والتأمل والفهم هو حقيقة العمل والغاية المنشودة منه لا الحركات الخارجية التي إنما تكتسب قيمتها من محتواها وهو التفكير والتأمل المنتج للخشوع والحب والرغبة والرهبة.

فإن للحديث معنى آخر كالذي ذكرناه عن ليلة القدر وهو أن الإنسان قد يقف ساعة للتفكير والمراجعة والتحقيق في مسيرة حياته وهدفه الذي يريد أن يصل إليه، ونيته في أعماله، والقيادة التي يرجع إليها في أموره، وإذا به يتخذ قراراً يقلب كل مسيرة حياته ويغير وجهتها إلى الهدف الصحيح، فتكون هذه الساعة

(١) بحار الأنوار: ١٠/٩٧.

(٢) بحار الأنوار - المجلسي: ٣٢٧/٦٨.

من المراجعة والتأمل خيراً من كل ما يؤديه خلال حياته عن غير بصيرة وهدى وكان يظن أنه يحسن صنعاً.

وأوضح مثال على هذه الحالة الحر الرياحي<sup>(١)</sup> الذي أمضى ستين سنة من عمره بعيداً عن ولاية أهل البيت (عليه السلام) وإتباع منهجهم، فوقف ساعة يوم عاشوراء وتأمل في حاله وأرجع نفسه واتخذ القرار الشجاع بالانتقال إلى معسكر الحسين (عليه السلام) وتحول من الشقاوة الأبدية إلى السعادة الأبدية، فقد كانت هذه الساعة هي كل حياته وليس تلك السنين الطويلة التي قضاها بعيداً عن الحق.

### ليلة القدر مرتبطة بصاحب ليلة القدر:

ومما ينبغي التركيز عليه في هذه الليلة الدعاء للإمام صاحب العصر (أرواحنا له الفداء) لأنه صلوات الله عليه وسلامه هو صاحب هذه الليلة ويزداد فيها شرفاً وكرامة، سئل الإمام الباقر (عليه السلام) عما إذا كان يعرف ليلة القدر؟ قال (عليه السلام): (كيف لا نعرف والملائكة تطوف بنا فيها)<sup>(٢)</sup>، وعليه (عليه السلام) تنزل الملائكة وتعرض عليه ما قضى الله تبارك وتعالى به على العباد في تلك الليلة إلى العام المقبل فينظر (عليه السلام) فيها ويدعو لأصحابها بما يناسبهم، لأنه حجة الله تعالى الفعلية على المخلوقات، ويستحب الإكثار من دعاء (اللهم كن لوليّك الحجة بن الحسن) عسى أن نحظى بنظرة كريمة منه نستكمل بها الكرامة عند الله تبارك وتعالى ثم لا يصرفها عنا بجوده وكرمه.

(١) الإرشاد - الشيخ المفيد: ٩٩/٢.

(٢) تفسير البرهان: ٤/٤٨٨، ح ٢٩.

**تنبيه عن أعمال ليلة القدر:**

وينبغي الالتفات أيضاً إلى أن أعمال ليلة القدر منتشرة في كتب السنن والمستحبات كـ(مفاتيح الجنان) و(مصابيح الجنان) تحت أكثر من عنوان، فتوجد أعمال خاصة بالليلة وتوجد غيرها تحت عنوان (الأعمال المشتركة لليالي القدر وأخرى تحت عنوان العشر الأواخر من شهر رمضان وأخرى تحت عنوان الأعمال العامة لشهر رمضان، فالتهيؤ والاستعداد يشمل جميع هذه المفردات في برنامج عمل يأخذ منه كل شخص بما يناسبه وما ييسره الله تبارك وتعالى.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل ليلة القدر وأن يقسم لنا فيها خير ما قسم لأحد من عباده الصالحين إنه واسع كريم.

﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾

## موضوع القبس: حي على خير العمل والدعوة الى ولاية أهل البيت (عليه السلام)

(حي على خير العمل) من فقرات الاذان والإقامة المستحبين الأكيدين قبل الصلاة وقال البعض بالوجوب<sup>(١)</sup>، وفي هذه الفقرة حث ودعوة مع طلب المبادرة الى خير العمل، ويمكن أن يكون المراد من (خير العمل) كل عمل خير من باب إضافة الصفة الى موصوفها وبهذا المعنى تكون الدعوة شاملة لكل أفعال الخير المرضية عند الله تعالى فتتطابق مع الآية الكريمة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة: ٤٨).

وقد يراد بـ(خير العمل) عمل مخصوص هو خير الاعمال وأفضلها والدعوة تؤكد المبادرة اليه، والمستفاد من الروايات أن المقصود بهذا العمل أمران ظاهري عام وآخر خاص.

(أما) (المعنى الظاهري) فهو الصلاة نفسها التي هي عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن رُدَّت رُدَّتْ ما سواها، روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن علة الأمر بالآذان، الى أن قال (عليه السلام) (ثم دعا الى خير العمل مرغباً فيه - أي الصلاة - وفي

(١) أنظر: مختلف الشيعة - العلامة الحلي: ١٢٠/٢.

عملها وفي أدائها<sup>(١)</sup>.

وفي رواية محمد بن الحنفية عن معراج النبي (ﷺ) وإمامته للصلاة في السماء السادسة والنداء الأول بالآذان يومئذٍ من قبل ملكٍ خاص إلى أن قال (حي على الصلاة، قال الله جل جلاله: فرضتها على عبادي وجعلتها لي ديناً، ثم قال: حي على الفلاح، قال الله عز وجل: أفلح من مشى إليها وواظب عليها ابتغاء وجهي، ثم قال حي على خير العمل، قال الله جل جلاله: هي أفضل الأعمال وأزكاها عندي)<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير الآذان قال: (وإذا قال حي على خير العمل فإنه يقول ترحموا على أنفسكم فإنه لا أعلم لكم عملاً أفضل من هذه فتفرغوا لصلاتكم قبل الندامة)<sup>(٣)</sup>.

(وإما المعنى الخاص وهو الاكمل) فيراد بخير العمل ولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) وأهل بيت النبي (ﷺ) المعصومين، ففي معاني الأخبار وعلل الشرائع للشيخ الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (أتدري ما تفسير حي على خير العمل، قال: قلت لا، قال: دعاك إلى البر، أتدري بر من؟ قلت: لا، قال: دعاك إلى بر فاطمة وولدها (عليه السلام))<sup>(٤)</sup>، وروايات أخرى ستأتي إن شاء الله

(١) بحار الأنوار: ١٤٤/٨٤ عن علل الشرائع: ٢٥٨/١ الباب ١٨٢/ح ٩، عيون أخبار الرضا: ١٠٥/٢ الباب ٣٤/ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ١٤١/٨٤، عن معاني الأخبار: ٤٢/ح ٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٥٤/٨٤، عن جامع الأخبار: ١٧١/ح ٤٠٥.

(٤) بحار الأنوار: ٨١: ١٤١ عن معاني الأخبار: ٤٢، وعلل الشرائع: ٣٦٨/الباب ٨٩.

تعالى.

وليس في هذا المعنى أي غرابة فان ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) كمال دين التوحيد وتمام نعمة الإسلام وقد أعلم الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) بأنه إن لم يبلغ الولاية فكأنه لم يبلغ رسالة الإسلام أصلاً بنص الآية الشريفة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧) وقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) فهذا وجه لكون (خير العمل) ولاية أمير المؤمنين والأئمة من بنيه (عليهم السلام)، باعتبارها ذروة الإسلام وخلاصة التوحيد والایمان بالله تعالى.

والوجه الآخر، أن بها تقبل الاعمال وتزكى الأفعال، وفي كتاب العلل (وقوله حيّ على خير العمل أي حث على الولاية وعلّة أنها خير العمل أن الاعمال كلها بها تقبل)<sup>(١)</sup>.

وسنشير الى وجهين آخرين إن شاء الله تعالى.

وقد صرحت الروايات بأن هذه الفقرة كانت موجودة في الاذان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكن الثاني هو من أسقطها روى صاحب كتاب (دعائم الإسلام) عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: (كان الاذان بحيّ على خير العمل على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبه امروا أيام ابي بكر وصدرأ من أيام عمر، ثم امر عمر بقطعه وحذفه من الاذان والإقامة، ففيل له في ذلك، فقال: إذا سمع الناس أن الصلاة خير

العمل تهاونوا بالجهاد وتخلّفوا عنه<sup>(١)</sup>.

وهذا فعل منكر لعدم جواز الاجتهاد مقابل النص، مضافاً الى أن في هذا توهيناً لمقام النبي (ﷺ) إذ كيف خفي عليه هذا التأثير السلبي للنداء ولماذا لم يحذفه حتى تفتقت عنه ذهنية الثاني، وهل ثبّط هذا النداء عزائم المسلمين في الجهاد أيام النبي (ﷺ) وما بعده من حروب الردة والفتوحات الإسلامية، حتى يدعي مثل هذا السبب.

فالظاهر أن هذا السبب المعلن ليس هو الحقيقي، وإنما السبب الحقيقي هو طمس المعنى الثاني ومحاولة إطفاء نور الله تعالى المتمثل بأهل البيت (عليهم السلام) لان تكرار هذا النداء في الصلاة سيدفع الناس الى السؤال عن خير العمل حتى يبادروا اليه ويلتزموا به فأراد غلق باب السؤال لدى الناس عن خير العمل فألغى الفقرة من أصلها.

فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن محمد بن ابي عمير أنه (سأل أبا الحسن (عليه السلام) - موسى بن جعفر (عليه السلام) - عن حي على خير العمل لم تركت من الاذان؟ فقال: تريد العلة الظاهرة أو الباطنة، قلت أريدهما جميعاً، فقال: أما العلة الظاهرة فلثلا يدع الناس الجهاد إتكالاً على الصلاة، وأما الباطنة فأن خير العمل الولاية، فأراد من أمر بترك حي على خير العمل من الاذان أن لا يقع حث عليها ودعاء اليها<sup>(٢)</sup>.

وهذه واحدة من محاولاتهم المحمومة لاستئصال أهل بيت النبي (ﷺ)

(١) بحار الانوار: ١٥٦/٨٤، عن دعائم الإسلام: ١٤٢/١.

(٢) بحار الانوار: ١٤٠/٨٤ عن علل الشرائع: ٣٦٨/٢ الباب ٨٩ ح ٤.

واقصائهم عن قيادة الأمة بل عن مسرح الحياة لولا لطف الله تعالى وحفظه، روى الكشي في رجاله عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (لما قُبِضَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) جهد الناس في إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمر المؤمنين (عليهم السلام)).<sup>(١)</sup>

وأمتدت محاولاتهم لتصل الى إزالة ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) من أصله وكل ما يمت إليه بصلة من معالم الدين وشعائره وإعادة الناس الى جاهليتهم الأولى لولا خشيتهم من انقلاب الرأي العام عليهم وإبقاءً لشعرة معاوية مع الدين الذي به تسلطوا على الأمة، ولنستمع الى هذا النص الذي اثبتته بن ابي الحديد المعتزلي وهو من علماء العامة، روي أن المطرف بن المغيرة بن شعبة<sup>(٢)</sup> قال: دخلت مع أبي علي معاوية - وكان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلي، فيذكر معاوية وعقله، ويُعجب بما يرى منه - إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيت مغتماً فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني جئتُ من عند أكفر الناس وأخبثهم! قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره و ثوابه.

(١) معجم رجال الحديث: ٢٣٩/١٢ في ترجمة علي بن ابي حمزة البطائني عن رجال الكشي رقم ٣١٠.

(٢) المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وكان له دور خفي في الاحداث منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما بعده، وغلامه أبو لؤلؤة الفارسي هو من قتل عمر وقد ساعد معاوية في تشييد ملكه فكافئه بولاية الكوفة وتزلف اليه بأن القى اليه بدعة استخلاف ولده يزيد.

فقال: هيهات هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه ملك أخو تيم - أي أبو بكر - فعدل، و فعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي - أي عمر - فاجتهد و شمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة - أي النبي محمد (ﷺ) فهو يستكبر عن الاعتراف بنبوته - ليُصاح به كل يوم خمس مرات " أشهد أن محمداً رسول الله، فأبى عمل يبقَى و أبى ذكر يدوم بعد هذا لأب لك، لا والله إلا دفناً دفناً!!<sup>(١)</sup>.

ومن هذا تبرز أهمية الحث على خير العمل بمعنى الدعاء الى ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وبيان فضائلهم ومحاسن كلامهم وسيرتهم المباركة (فأن الناس لو سمعوا محاسن كلامنا لأتبعونا)<sup>(٢)</sup> فيهم قوام الدين وديمومته وحفظه من التحريف والشبهات والتزييف والكذب والافتراء وإفشال هذه المحاولات الشيطانية الهدامة ولولا وجود الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وقيامهم بأمر الدين لنقض بناؤه حجراً حجر من أول يوم كما دلّت عليه الروايات المتقدمة وقد تواصلوا بهذه الجريمة جيلاً بعد جيل وكان الأئمة (عليهم السلام) لهم بالمرصاد ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة: ٦٤) فوصف ولاية أهل البيت والدعوة اليها والتمسك بها بخير العمل في محله لان بها يُحفظ الدين وكل الطاعات والاعمال الصالحة، وهذا وجه ثالث.

(١) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج ٥/ ص ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢/ ص ٣٠.

والوجه الرابع: ما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٧) من كتب الفريقين أنها نزلت في علي (عليه السلام) وشيعته، كالذي رواه الحسكاني في شواهد التنزيل وموفق بن أحمد في كتاب المناقب بالإسناد عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (حدثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا مسنده الى صدري، فقال: أي علي، ألم تسمع قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جثت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين) وهي مما احتج بها أمير المؤمنين على أهل الشورى حينما عدّد مناقبه وان النبي (صلى الله عليه وآله) قال للمسلمين (إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، فنزلت الآية (فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكبرتم وهنأتموني بأجمعكم فهل تعلمون أن ذلك كذلك؟ قالوا: اللهم نعم) (١).

ولكي يتم الاستدلال بالآية على ما نريد نضم إليها قوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢) وقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) ونحوهما الدالة على ان معيار التفاضل وتفاوت منزلة عند الله تعالى هو خير العمل وأحسنه فتتحقق النتيجة وهي أن أكرم الناس وخير البرية هم أهل خير العمل وأفضله وأحسنه وقد أفادت آية البينة أن خير البرية هم علي ومن تمسك بولايته وسار على منهجه، فالنتيجة أن أهل خير العمل هم علي وشيعته المتمسكون بولايته ولازمه ان خير العمل هو هذا.

(١) راجع مصادر الروايات في تفسير البرهان: ٢٠٦/١٠.

اذن علينا أيها الاحبة<sup>(١)</sup> أن نلبي - كل من موقعه: علماء وخطباء ومثقفين وكتّاب وشعراء وناشطين على مواقع التواصل وغير ذلك - هذا النداء (حيّ على خير العمل) بعد أن نفهم معناه ونواظب عليه ونبذل وسعنا في دعوة الناس كافة الى الاستجابة لهذا النداء لنكون من خير البرية الذين وصفتهم الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٧)، وقد أتانا الله تعالى من آليات العمل ووسائل التواصل ما يغبطنا عليه سائر الأجيال لسعة الفرصة وقوة التأثير وحسن الاستجابة بتوفيق الله تعالى تمهيداً وتعجيلاً للظهور الميمون المبارك وإقامة دولة العدل الالهية.

---

(١) كلمة متلفزة وجهّها سماحة المرجع الشيخ يعقوبي (دام ظله) الى مؤتمر المبلّغين الذي عقده مكتب المرجع في قم المقدسة يوم الخميس ٢٠/ ذي الحجة/ ١٤٣٧هـ - الموافق ٢٢/٩/٢٠١٦م بمناسبة عيد الغدير الأغر وقرب حلول موسم التبليغ في شهري محرم وصفر.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

موضوع القبس: نعمة ولاية اهل البيت (عليهم السلام)

الالتفات الى نعم الله تعالى:

قال الله تبارك وتعالى في أكثر من موضع من كتابه الكريم ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤) (النحل: ١٨)، ولو أجهد الإنسان نفسه لإحصاء هذه النعم فإنه يعجز فعلاً، بل إن كل نعمة يذكرها - كصحة وسلامة البدن - هي في الحقيقة مجموعة من النعم لا تُعدّ ولا تحصى، فكل نفس من الهواء يستنشقها هو نعمة، وكل قطرة دم تسري في عروقه هي نعمة وكل نبضة من قلبه هي نعمة وهكذا، وإذا أراد الإنسان أن يعرف أهمية هذه النعم التفصيلية فليلتفت إلى ما يحصل لو حُرِمَ منها.

وهكذا كل نعمة كغيف الخبز الذي يأكله كل إنسان يومياً ويعتبره أمراً عادياً، فليتأمل كيف وصل إليه وكم نعمة اشتركت في إعدادة، من الأرض التي جعلت صالحة للزراعة والماء الذي يسقيها، والحب الذي ينبت في تلك الأرض، والزارع الذي يصلح الأرض ويداري الزرع إلى أن يحصده ويخرج الحب من سنبله، ثم التاجر الذي ينقله، إلى الطحان والعجان والخباز والبائع، وأودع الله تعالى في هؤلاء غرائز تدفعهم إلى القيام بهذه الأعمال وتحمل المشاق

والصعوبات كحب البقاء.

**علينا أن نشكر الله تعالى على نعمه:**

ولكن الإنسان يغفل عن هذه النعم، وحتى لو التفت إليها فإنه لا يشكرها ولا يؤدي حقها، قال تعالى في ذيل الآية في موضعها الأول من سورة إبراهيم ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤) فهو يظلم ربّه إذ لا يوفيه حقه، ويظلم نفسه لأنه يوقعها في الخسران العظيم، وهو كفار لأنه جاحد ومتنكر لهذه النعم، لكن الله الرحمن الرحيم خالق هذا الإنسان والعالم بمكوناته غفر له هذا التقصير، قال تعالى في ذيل الآية في موضعها الثاني من سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ومن رحمته أن جعل الاعتراف بالقصور والتقصير عن إحصاء النعم فضلاً عن شكرها هو حق الشكر له تبارك وتعالى، كما روي في أخبار الرسول الكريم موسى بن عمران (عليه السلام) أن الله تعالى أوحى إليه أن يا موسى اشكرني حق شكري، قال (عليه السلام) وأنى لي أن أشكرك حقّ شكرك، فأوحى الله إليه: إن هذا الاعتراف بالعجز هو حق شكري.

وفي الكافي (كان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) إذا قرأ هذه الآية ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ يقول: سبحان الذي لم يجعل في أحد من معرفة نعمة إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه، فشكر جل وعز معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، كما علّم علّم العالمين أنهم لا يدركونه

فجعله علماً<sup>(١)</sup>.

وفي مناجاة الشاكرين للإمام السجاد (عليه السلام) (فَإِلَّاؤُكَ جَمَّةٌ ضَعْفُ لِسَانِي عَنْ إِحْصَائِهَا، وَنِعْمَاتِكَ كَثِيرَةٌ قَصُرَ فَهْمِي عَنْ إدْرَاكِهَا، فَضْلاً عَنْ اسْتِقْصَائِهَا، فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلَى شُكْرٍ، فَكَلَّمَا قُلْتُ لَكَ الْحَمْدَ وَجِبَ عَلَيَّ لَذَلِكَ أَنْ أَقُولَ لَكَ الْحَمْدَ)<sup>(٢)</sup>.

### شكر النعم المعنوية:

هذا كله في النعم المادية - إذا أمكن تسميتها - وهي ملتفت إليها في الجملة، لكن ما لا نلتفت إليه إلا نادراً النعم المعنوية وعلى رأسها الإيمان بالله تعالى وبرسوله (ﷺ) وما جاء به، الذي هو وسيلة النجاة والفلاح في الحياة الباقية، وهو من أعظم النعم على الإنسان، بل به يصبح الإنسان إنساناً، أما غير المؤمنين فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

### نعمة الولاية لأمر المؤمنين (عليه السلام):

ثم نعمة ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بنيهِ (صلوات الله عليهم أجمعين)، في الكافي وتفسير القمي (قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (إبراهيم: ٢٨-٢٩).

قال (عليه السلام): ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله (ﷺ) وعدلوا عن وصيِّهِ ولا

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٨ / ٣٩٤ ح ٥٩٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٧٠.

يتخوفون أن ينزل بهم العذاب: ثم تلا الآية ثم قال: نحن النعمة التي أنعم الله على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة<sup>(١)</sup> وورد في هؤلاء المبدلين لنعمة الله تعالى من طرق الفريقين عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعمر بن الخطاب (هما الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، فقطع الله دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (عنى بها قريش قاطبة الذين عادوا رسول الله ونصبوا له الحرب وجحدوا وصيه).

وهذا التفسير شاهد على أن النعمة المقصودة هي الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم (ﷺ)، وقد جاءت الآية محل البحث في ختام هذا السياق من الآيات المباركة.

### تذكير الناس:

وفي ضوء هذا فقد كان الأئمة (عليهم السلام) يصححون هذا الفهم لدى الناس وينبهونهم من غفلتهم، فقد ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ٨) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن النعيم الذي يُسأل عنه: رسول الله (ﷺ) ومن حلّ محله من أصفياء الله، فإن الله أنعم بهم على من أتبعهم من أوليائهم).

وفي تفسير العياشي عن الصادق (عليه السلام) (أنه سأله أبو حنيفة عن هذه الآية، فقال له: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ١/٢١٧/ح ١، تفسير القمي: ٣٨٨/١.

ليطولن وقوفك بين يديه، قال: فما النعيم جعلت فداك؟ فقال: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا اثتلفوا بعد أن كانوا مختلفين<sup>(١)</sup>، وبنا أَلَفَ الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً. وبنا هداهم الله للإسلام، وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم، وهو النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعترته (عَلَيْهِمُ السَّلَام).

وفي رواية: (عَلَيْهِ السَّلَام) قال له: بلغني أنك تفسر النعيم في هذه الآية بالطعام، والطيب، والماء البارد في اليوم الصائف؟ قال: نعم، قال: لو دعاك رجل وأطعمك طعاماً طيباً وسقاك ماءً بارداً ثم امتنَّ عليك به إلى ما كنت تنسبه؟ قال: إلى البخل، قال (عَلَيْهِ السَّلَام): أفيخل الله تعالى؟ قال فما هو؟ قال (عَلَيْهِ السَّلَام): حبنا أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَام)<sup>(٢)</sup>.  
وروايات أخر بهذه المضامين<sup>(٣)</sup>.

### نعمة حسن الخلق:

ومن هذه النعم المعنوية حُسن الخلق وبها امتدح الله تعالى نبيه الكريم

(١) هذا تطبيق منه (عَلَيْهِ السَّلَام) لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

(١) أقول: ذكر الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) هذا لتصحيح فهم أبي حنيفة وإلا فإن الإنسان يُسأل عن ماله مم اكتسبه وفيم أنفقه، وعن أولاده كيف رباهم ومم أنفق عليهم وهكذا، نعم لا يُسأل عن ضرورات حياته وهذا وجه للجمع بين الروايات، ويشهد له صحيح الحلبي عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَام) قال: (ثلاثة أشياء لا يحاسب عليهن المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه) (وسائل الشيعة، أبواب مقدمات النكاح، باب ٩، ح ١).

(٣) نقلها تفسير الصافي: ٥٤٧/٧-٥٤٨ عن تفسير القمي والعياشي وعيون أخبار الرضا (عَلَيْهِ السَّلَام) والكافي والمحاسن.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) والناس لا تلتفت إلى هذه النعم ولا تعيرها اهتماماً ولذا فإنهم لا يحسدون صاحبها عليها، وقد ورد في التواضع ما مضمونه انه نعمة لا يحسد عليها صاحبها، فهل يلتفت المجتمع إلى تهنئة من يكتسب خلقاً كريماً أو يؤدي طاعة عظيمة كصلاة الليل أو بر الوالدين أو قضاء حوائج الناس أو المواظبة على صلاة الجماعة في المساجد كما يهنئون من يرزق مالاً أو ولداً، وهل يعزّون أحداً على فوات شيء من ذلك كنومه عن صلاة الصبح أو عقوق الوالدين أو الإفطار في شهر رمضان كما يعزون على فقدان عزيز أو حصول خسارة.

### نعمة الزوجة الصالحة:

ومن هذه النعم الزوجة الصالحة، ففي الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) قال (ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله)<sup>(١)</sup>.

### علينا أن نتحدث بالنعم المعنوية:

هذه النعم المعنوية (الإيمان بالله وبرسوله وولاية أهل البيت (عليه السلام) وحسن الأخلاق) هي الأوضح في عدم قبولها الإحصاء والاستقصاء لأنها تمتد إلى الحياة الباقية الخالدة، ولأن بركات وأثارها واسعة، ولأنها مستمرة بالعطاء لا تنقطع كما عبّر الإمام (عليه السلام) في حديثه مع أبي حنيفة وهذه النعم هي التي طلب الله تعالى من عباده أن يتحدثوا بها وينشروها ويدعوا الناس إليها لتغمرهم سعادتها، قال تعالى

(١) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته وآدابه، باب ٩، ح ١٠.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١).

عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال: (أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه من دينه) <sup>(١)</sup>.

ولا نتوقع أن المطلوب أن يتحدث الإنسان بما عنده من أموال وعقارات وأولاد ونحوها، نعم ورد في تطبيق الآية على هذا المستوى أن يُظهر الإنسان نعمة الله عليه، لأن التظاهر بعكسها كذب في الفعل وإخفاء لنعمة الله عليه، ففي الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال (إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله، وإذا أنعم الله على عبده بنعمة فلم تظهر عليه، سمي بغيبض الله مكذباً بنعمة الله) <sup>(٢)</sup>.

### شهر رمضان: من النعم المعنوية:

ومن تلك النعم المعنوية التي أكرمنا الله تعالى بها شهر رمضان الذي أطلّ علينا. بفضل الله تبارك وتعالى، فاستقبلوه بمعرفة فضله، وعظيم نعمة الله تعالى به، وأنّي لنا أن نعرفه حق معرفته لولا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام، فاعرفوا حقه وقدره من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في آخر جمعة من شعبان <sup>(٣)</sup> وتأملوا فيها جيداً. واعرفوه أيضاً من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في استقباله، ودعائه في وداع شهر رمضان الذي نصحتُ مراراً بقراءته قبل دخول الشهر لنزداد بصيرة بعظمة

(١) تفسير الصافي: ٥٠٤/٧٠ عن المحاسن للبرقي.

(٢) المصدر نفسه عن الكافي: باب التَّجَمُّل وإظهار النعمة.

(٣) راجعها في مفاتيح الجنان في فضل شهر رمضان وأعماله.

هذا الشهر الشريف ونستعد له، والدعاء ان موجودان في الصحيفة السجادية.

ومما ورد في ثانيهما في بيان عظيم نعمة الله تعالى بهذا الشهر الشريف قوله (عليه السلام) (ما أفشى فينا نعمتك، وأسبغ علينا منّك، وأخصنا ببرّك، هديتنا لدينك الذي اصطفيت، وملّكتك التي ارتضيت، وسبيلك الذي سهّلت، وبصّرتنا الزلفه لديك، والوصول إلى كرامتك) ثم قال (عليه السلام) (اللهم وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف وخصائص تلك الفروض شهر رمضان الذي اختصصته من سائر الشهور، وتخيّرتة من جميع الأزمنة والدهور، وآثرته على كل أوقات السنة، بما أنزلت فيه من القرآن والنور. وضاعفت فيه من الإيمان، وفرضت فيه من الصيام، ورغبت فيه من القيام) إلى أن قال (عليه السلام) (وقد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد، وصحبنا صحبة مبرور، وأربحنا أفضل أرباح العالمين)، وقد شرح النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الأرباح في خطبته التي اشرنا إليها، وهي حقاً أفضل أرباح العالمين.

### وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ:

والتزاماً بالآية الشريفة ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ينبغي لنا أن نستقبل هذا الشهر الشريف وهذه النعمة المباركة بمعرفته والاستعداد له بالتوبة والاستغفار والعزم على مضاعفة الهمة في الطاعات والورع عما حرّم الله تعالى، وصيام الأيام الأخيرة من شعبان ولو للقضاء عما في الذمة، وأن نضع لنا برامج نقضي بها أيامه ولياليه الشريفة تتضمن أداء صلوات مستحبة وأدعية وتلاوة القرآن لأنه شهر رمضان ربيع القرآن، وتتضمن

حضور المساجد لأداء صلاة الجماعة والاستماع إلى محاضرات الوعظ والإرشاد مباشرة أو التي تنقلها الفضائيات بفضل الله تبارك وتعالى. وإن تحدث بفضل هذا الشهر وعظمته، وندعو الناس إلى أداء حق الله تعالى فيه أكثر مما في غيره من لزوم الطاعات واجتناب المعاصي، وإن نقيم الفعاليات التي تحفز المجتمع على طاعة الله تبارك وتعالى وذم معصيته بنشر اللوحات الجدارية والبوسترات التي تتضمن الأحاديث الشريفة.

ونذكركم بما قلناه سابقاً من وضع مكبرات الصوت على السيارات وتجوب شوارع المدن مرحبة بالشهر الشريف وميئة لعظمته وثواب الطاعة فيه وعقوبة المخالفين، إقامة المسيرات والمهرجانات الاحتفالية بقدوم هذا الشهر المبارك وتلبية الدعوة لضيافة الرحمن والتزود من الموائد الإلهية.

### ماذا علينا تجاه النعم المعنوية؟

أقول كلامي هذا:

- ١- لنلتفت إلى النعم الحقيقية التي تبقى ونعمل على تحصيلها.
- ٢- ولنزهد في ما سواها من النعم الزائلة التي يفني الغافل عمره في جمعها والعناية بها ومتابعتها فيكون خادماً لها بدل أن تكون هي خادمة له، فصاحبها لا يحسد عليها حقيقة.
- ٣- وأن نبذل الوسع في التحدث بهذه النعم الحقيقية وندعو الناس إليها ونرغبهم فيها.
- ٤- ولنتجنب هذا التضاحم والتغالب والصراع على تلك الأمور

الوهمية التي يُخدع بها الغافلون.

قال تعالى في المقارنة بين النوعين من النعم ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ ۝ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مِّنْ ذَلِكَ لَدِّينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ١٤-١٥).

إن اختيار اسم (النعم) لهذه الفضائية<sup>(١)</sup> التي أنطلق بثها تزامناً مع حلول شهر رمضان المبارك، يحملها مسؤولية التحدث بهذه النعم العظيمة.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذه القناة منبراً لبيان النعم الحقيقية ودعوة الناس إليها وخلق الحوافز لديهم للتمسك بها مع عدم إهمال الحديث عن النعم المادية كسعة المال وصحة البدن والأمن والعافية والولد والاستقرار وكيفية استثمارها في طاعة الله تبارك وتعالى.

وأن تكون هذه القناة نافذةً يُطلُّ منها العلماء والمفكرون والعاملون المخلصون على الدنيا لتسمع منهم وتهتدي بهم ويحققوا أمل الأئمة الأطهار (عليه السلام) عندما حثوا شيعتهم على إيصال صوتهم للبشرية جمعاء

(١) كلمة سجَّلها سماحة الشيخ العقبوي (رحمته الله) إلى قناة النعم الفضائية لمباركة انطلاقها تزامناً مع حلول شهر رمضان المبارك يوم الجمعة ٢٧/شعبان/١٤٣٢هـ- المصادف ٢٩/٧/٢٠١١م.

وقالوا (ﷺ) (فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)<sup>(١)</sup> فلتتحدث  
القناة بهذه النعم الإلهية وتدعو الناس إليها، فإن اختيار الاسم للقناة جاء  
منسجماً مع هذه المسؤولية ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾  
(المطففين: ٢٦).

---

(١) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ١٨٠.

## القبس/٢٤٤

## سورة العصر: ﴿٣﴾

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

## أهمية سورة العصر:

سورة (العصر) قصيرة جداً في كلماتها لا تتجاوز السطرين لكنها عظيمة في فضلها، خطيرة في مضمونها، وإنها مظهر من مظاهر إعجاز القرآن حينما يُقدّم في كلمات قليلة منهجاً متكاملًا لنجاح البشريّة من أوّل الخلق إلى نهايتها ويعرّف هويّة الأمة الرابحة الفائزة ويعلمها وظائفها في هذا السطر.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من قرأ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه، قريرة عينه حتّى يدخل الجنة)<sup>(١)</sup>، ولأهمية ما جاء فيها فقد ورد أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا إذا اجتمعوا لا يفترون إلا بعد تلاوة سورة ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ويتذاكروا في مضامينها<sup>(٢)</sup>.

## معنى (إن الإنسان لفي خسر):

يبتدئ الله تبارك وتعالى السورة بالقسم ﴿وَالْعَصْرِ﴾ بمعانيه المختلفة ومنها

(١) ثواب الأعمال: ١٢٥.

(٢) الدر المستور: ٣٩٢/٦.

ان (العصر عصر خروج القائم (عَلَيْهِ السَّلَام))<sup>(١)</sup> كما وردت في التفاسير ولسنا في مقام بيانها، فيقسم الله عزّ من قائل - وهو أصدق القائلين - لتأكيد الكلام ولإثارة انتباه المخاطب إلى الحقيقة التي سيقولها، لأنها حقيقة خطيرة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ليس الإنسان بحسب تكوينه وأصل خلقه، لأنه خلق للكمال وللمعرفة بالله تعالى ولاخلاص الطاعة له سبحانه والاستقامة على ما أراد منه، لذلك أسجد له ملائكته وقال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، فليس الإنسان بالحمل الأولي - كما في المصطلح - هو في خسر، بل الإنسان الموجود على أرض الواقع أي بلحاظ سلوكه وسيرته أي أفراد الإنسان ومصاديقه بالحمل الشائع - كما في المصطلح - ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثم رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿التين: ٤-٥﴾ لانه خالف فطرته ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠) حينما خرج إلى هذه الدنيا ونسي عهده مع ربه الذي واثقه عليه ان لا يتخذ إلها غيره يتبعه ويطيعه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

فهذا الإنسان الذي خلق للسمو والتكامل، تراه ينحدر ويتسافل ويعرض عن ذكر ربه ويتخذ آلهة من دونه كالأهواء والمطامع والمتسلطين والمتنفذين، فيخسر رأس ماله وهو عمره الذي يتآكل لحظة بعد لحظة شاء ام ابى ومعه كل القوى التي زوّدها الله تعالى بها لتحقيق الغرض المنشود من حياة ووجود وعقل وفكر

(١) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ١ / ٦٥٦.

وبدن وثروة وجاه وعلاقات وأسرة وعشيرة وموقع وغيرها، بل يمكن أن يكتسب الجنان حتى بالأشياء البسيطة الدقيقة منه، كتسبيحة أو ذكر مع كل شهيق وزفير وفي كل طرفة عين، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧).

وإذا به على العكس يسخرها للشقاء والعذاب والوقوع في جهنم ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ (البقرة: ٩٠)، ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ (البقرة: ١٦) فإذا هو فعلاً (في خسر)، بل خسر عظيم لان خسارة الآخرة دائمة لا تعوض ولا يمكن تداركها، قال تعالى ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الزمر: ١٥)، كمن يزود برأس مال عظيم وتوفر له كل فرص النجاح والاستثمار وتقدم له كل المعونة والتسهيلات في السوق، لكنه بحماقته وضيق نظره يخسر كل ذلك بل يجعلها سبباً للتهلكة، عن الإمام الهادي (عليه السلام) (الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون)<sup>(١)</sup>، والمقصود هو الربح الحقيقي في المتاجرة مع الله تعالى وليس ما يفهمه الناس بأنه جمع الأموال بأي نحو كان وان لم يكن مشروعاً، على ان يتعد عن الله تعالى ليكون شقياً في الدنيا أيضاً ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (طه: ١٢٤).

### ثمن النفس هو الجنة:

هذه الصفقة التي أنشأها الله تعالى مع عباده وجعل ثمنها الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: ٣٣) فلا ثمن لهذه

النفس إلا الوفاء بهذه الصفة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبعوها إلا بها)<sup>(١)</sup>، فما هذا العبث واللهو والغفلة والانشغال بتوافه الأمور؟ ولماذا هذا الضياع في مجالس البطالين والفسق والفجور.

والآية الكريمة ظاهرة في التحذير والتهديد والتوبيخ وتستبطن استغراباً وعتاباً، لأن الله تعالى خلقهم للرحمة والسعادة والفوز وأعطاهم كل ما يوصلهم إلى هذه النتيجة من أسباب معنوية ومادية قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٩)، وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (يقول الله تعالى: يا ابن آدم، لم أخلقك لأربح عليك، إنما خلقتك لتربح عليّ، فاتخذني بدلاً من كل شيء، فإني ناصر لك من كل شيء)<sup>(٢)</sup>.

### لماذا يحصل الخسران؟

فلماذا يخسرون كل ذلك بتوظيفه في غير الهدف الذي خلقوا من أجله ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس: ٣٠)، لذلك يسجل القرآن الكريم استغرابه من دخول أهل النار إليها، قال تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (المدثر: ٤٢)، ولم يسجل استغرابه من دخول أهل الجنة فيها لأن وجودهم في الجنة على القاعدة كما يقال ومنسجم مع الهدف الذي خلقوا من أجله.

والمرعب في هذه الحقيقة إطلاقها وعمومها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ مطلقاً

(١) نهج البلاغة: قصار الكلمات، رقم ٧٤.

(٢) ميزان الحكمة: ١/٣٣٤ ح ١٦٠٤، عن شرح نهج البلاغة: ٣١٩/٢٠، ٦٦٥.

﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ فتكون كقوله تعالى ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾  
(مريم: (٧١) - (٧٢)).

### المستثنون من الخسران:

نعم استثني من هذه النتيجة المهولة من توفرت فيه أربع خصال مجتمعة، لا تنال الا بلطف الله تعالى وتأيبه ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (البقرة: (٦٤)) وهي:

١- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولم يذكر متعلق الايمان ليفيد الاطلاق وان الايمان هو الاعتقاد الصادق المخلص، بكل العقائد الحقّة بتوحيد الله تعالى والرسالة للنبي (ﷺ) وولاية أمير المؤمنين والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وسائر العقائد الحقّة.

٢- ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لأنّ الايمان لا يكون حقيقياً وصادقاً إلاّ ان يظهر إلى الخارج بعمل صالح يكون موافقاً لما يريد الله تبارك وتعالى.

وهذا المقدار مفهوم وواضح وذكرته آيات عديدة، لكنّ الأهمية والخطورة التي أشرنا إليها في هذه السورة هي فيما أضافته الآية من شرطين للفوز والنجاة من الخسران، حيث لم تكتفي بالركنين السابقين، والشرطان داخلان في العمل الصالح لكنهما افردا لبيان اهميتهما بلحاظ بعدهما الاجتماعي وهما:

٣- ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ فلا يكتفون بكونهم صالحين في أنفسهم مؤمنين يعملون الصالحات بل يتحركون برسالتهم في المجتمع فيوصي بعضهم بعضاً بالتزام الحق والعمل به، واذا ما انضم المجتمع الى حركة التواصي بالحق والامر

بالمعروف والنهي عن المنكر فان الامة ستكون بخير وسعادة وحياة هنيئة.

والتعبير بالتواصي يتضمن معنى الإستمرارية والتواصل، وهذا التواصي ضرورة تقتضيها استمرار المواجهة مع الباطل فان أهله يتواصلون به قال تعالى ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات: ٥٣).

والحق الذي يتواصلون به له مساحة واسعة، فكل خير وكل ما هو مشمر وكل ما يوصل إلى الله تبارك وتعالى ويعين على طاعته ويجنب معصيته هو حق فيتواصلون به، وهذا له مدى واسع فيشمل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى والإسلام وولاية اهل البيت (عليه السلام) ونشر فضائل أهل البيت (عليه السلام) ومظلوميتهم من الأعداء، ونشر أحكام الدين وتقديم النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحقوق التفصيلية الكثيرة كالتي تضمنتها رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام).

ولا بد لمن يقوم بهذه الوظيفة أن يكون ملتفتاً قبل ذلك إلى نفسه فيتعاهد بها ويتواصى معها ويشارطها على الهدى والصلاح والثبات، لأنها أعز وأثمن من يتواصى معه.

إن الحق إذا لم يتم التواصي به والتواصل معه جيلاً بعد جيل وبين عامة الجيل الواحد أي التحرك به أفقياً وعمودياً فإنه يضيع كما ضاعت حقوق كثيرة وعلى رأسها أعظم حق في الإسلام وهو حق الإمامة وولاية أمر الأمة لأمر المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين، وقد أنكر حق جدّي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه سبعون ألف شاهد كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في

غدير خم<sup>(١)</sup>.

وفي هذا قال الكميت الاسدي في رائقته:

فلم أرَ مثل ذاك اليوم يوماً ولم أرَ مثله حقاً أضيعا<sup>(٢)</sup>

٤- ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فإنّ من يسير بهذا الطريق الذي تخلى عنه أكثر الناس وأصبحوا ينظرون الى من يتمسك بالمبادئ الحقّة بازدراء وسخرية سيلقى الكثير من المشقّة والعنت والأذى، وسيطلب منه تضحية كثيرة بأعز ما لديه فيحتاج إلى صبر ومصابرة ومرابطة وثبات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٦)، فيوصي هؤلاء الثلة القليلة بعضهم بعضاً بالصبر والمضي على هذا النهج المقدّس المبارك.

### إصلاح الآخرين:

إنّ الحقيقة الخطيرة التي أضافتها هذه السورة المباركة أن الإيمان والعمل الصالح على مستوى النفس غير كافٍ للفوز وللنجاة من الخسران الشامل لأفراد الإنسان، بل لابد أن ينضم له التحرك بهذه الوظيفة في المجتمع والاستمرار على ذلك والثبات عليه وتحمل أعبائه.

وبتعبير مختصر أنّ صلاح الفرد الشخصي لا يكفي من دون أن يضم له العمل على إصلاح الآخرين، وهي مسؤولية كبيرة وأول المخاطبين بها نحن الحوزة العلمية لأننا حملنا أمانة الأنبياء الكرام والائمة العظام (صلوات الله عليهم

(١) بحار الأنوار: ١٥٨/٣٧، باب ٥٢.

(٢) الغدير للاميني: ج ٢/ ١٨٣.

اجمعين) نعم هي مسؤولية كبيرة لكن منزلتها عند الله تعالى عظيمة لا مكان فيها للمتقاعس والمتكاسل الذي لا يكثرث بما يعجّ به المجتمع من مفسد وظلم وانحراف وضلالات وشبهات وخرافات وجهل ونهب لخيرات الناس المستضعفين حتى صاروا يبحثون في اكوام القمامة عن شيء من القوت ولو كسرة خبز أو بقية فاكهة، بمرأى من المتخمين النهمين<sup>(١)</sup> وغير ذلك.

(١) ويعجبني هنا أن أورد أبيات للمرحوم الشيخ أحمد الوائلي سجل فيها هذه التناقضات من حياة الامة في قصيدته الرائعة (رسالة الشعر) التي القاها في المؤتمر العام الخامس لاتحاد الادباء العرب الذي انعقد في بغداد عام ١٩٦٥م وهي منشورة في مجلة الايمان التي كان يصدرها المرحوم والذي (المجلد الثاني/ ١٥٦)

|                                                |                                              |
|------------------------------------------------|----------------------------------------------|
| بغدادُ يَوْمُكَ لا يَزَالُ كَأَمْسِهِ          | صَوْرٌ عَلَى طَرَقِي نَقِيضٌ تُجْمَعُ        |
| يَطْغَى النُّعِيمُ بِجَانِبٍ وَبِجَانِبٍ       | يَطْغَى الشَّقَا فَمُرْقَهُ وَمُضَايِعُ      |
| فِي الْقَصْرِ أَغْنِيَةٌ عَلَى شَفَةِ الْهَوَى | وَالْكُوْخُ دَمْعٌ فِي الْمَحَارِجِ يَلْدَعُ |
| وَمِنَ الطَّوَى جَنْبِ الْبَيَادِرِ صُرْعُ     | وَبَجْنَبِ زِقِّ أَبِي نُؤَاسٍ صُرْعُ        |
| وَيَدُّ تَكْبَلُ وَهِيَ مِمَّا يُقْتَدَى       | وَيَدُّ تَقَبَّلُ وَهِيَ مِمَّا يُقْطَعُ     |
| وَيُضَا نَ ذَاكَ لِأَنَّهُ مِنْ مَعْشَرِ       | وَيُضَامُ ذَاكَ، لِأَنَّهُ لَا يَرَكْعُ      |
| فَتَبَيَّنِي هَذَا الْمَهَازِلُ وَأَخْذَرِي    | مِنْ مِثْلِهَا، فَوَرَاءَ ذَلِكَ إِصْبَعُ    |
| وَإِذَا لَمَحْتَ عَلَى طَرِيقِكَ عُتْمَةً      | وَسَاتَمَحِينَ لِأَنَّ دَرْبَكَ أَسْفَعُ     |
| شُدِّي وَهَزِي اللَّيْلَ فِي جَبْرُوتِهِ       | وَبُعْهِدَتِي أَنَّ الْكَوَاكِبَ تَطْلَعُ    |
| فَأَنهَدْ لَهُ بِالْفِكْرِ يَخْضُدُ جَذْوَةً   | فَالْفِكْرُ لَيْسَ بَغَيْرِ فِكْرٍ يُقَرَّعُ |
| وَأَغْثُ جِيَاعٍ عَقِيدَةٍ فَهُمْ إِلَى        | فِكْرٍ يُسَدِّدُ مِنْ طَعَامٍ أَجْوَعُ       |
| قُدُّهُمْ إِلَى تَبْعِ السَّمَاءِ نَطَافُهُ    | عَذْبُ، وَسَائِغُ وَرْدِهِ لَا يُثْمَعُ      |
| وَاسْلُكْ بِهِمْ دَرْباً أَضَاءَ مُحَمَّدُ     | أَبْعَادُهُ، وَجَلَالُهُ فَهُوَ الْمُهَيَّعُ |

وهذا الواقع المؤلم لا يعالجه الا التواصي بالحق والتواصي بالصبر حينئذٍ يتحقق صلاح الفرد وصلاح المجتمع أيضاً، ونجاة الفرد ونجاة المجتمع وعزتهما معاً بفضل الله تبارك وتعالى.

### التواصي بالحق والتواصي بالصبر:

وإذا قابلنا هذه الآية مع قوله تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَكَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِّيًّا﴾ (مريم: ٧٢) نحصل على تعريف للتقوى فتكون حقيقتها الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر بمقتضى المطابقة وتحقيق ما تحصل به النجاة من النار والخسران.

وهذه الحقيقة طبيعية لأن الإيمان يدعو إلى العمل الصالح، والعمل الصالح لا يعرف الإنزواء والجمود والتفوق بحيث نسمع ان الكثير من المساجد معطلة لا يعمرها احد من الفضلاء بصلاة الجماعة والوعظ والإرشاد ونفع الناس حتى ضاع الشباب بل المجتمع كله الا من عصم الله تعالى، فما هي رسالة الحوزة العلمية اذا تقاعست عن هذه الوظيفة وأين هم من قوله تعالى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٥)، فهذا ليس من العمل الصالح وإنما يدعو الى حركة المثمرة لهداية الآخرين وإرشادهم ونصحهم ومساعدتهم، فإن من أعظم الأعمال الصالحة ما كانت مندرجة في هذه الحركة

---

وَأَنَا الضَّالِّينَ بِأَنَّهُ سَيُعِيدُهُمْ  
وَسَيَعْرِفُونَ بِأَنِّ مَا شَرَعَ السَّامَا  
أَلْقَا يَمُوتُ إِلَى السَّمُوتِ وَيُنَزَعُ  
يُنَنِّي الْكَرِيمَ الرَّغْدَ، لَا مَا شَرَعُوا

الاجتماعية لذا ورد في بعض الروايات تفسير عمل الصالحات بمواساة الإخوان<sup>(١)</sup>.  
إن مسؤولية التواصل بالحق والتواصي بالصبر لا تختص بالمبلغين  
والمرشدين من الحوزة العلمية بل هي شاملة لكل الناس خصوصاً مع توفر سبل  
الهداية وقنوات الإصلاح والتأثير لكل العاملين على شبكات المعلومات  
وصفحات التواصل الاجتماعي والفضائيات.

---

(١) كمال الدين وإتمام النعمة: ٦٥٦/ ح ١.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

موضوع القبس: السيدة الزهراء (عليها السلام) أجلى مصاديق الكوثر  
المعطى لرسول الله (ﷺ)

روى الشيخ الصدوق في فضل تلاوة سورة الكوثر بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (مَنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ، سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الْكَوْثَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَانَ مُحَدَّثَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي أَصْل طَوْبِي) (١).

سورة الكوثر أقصر سور القرآن، وداخلة في تحدي القرآن لطواغيت قريش وبلغاء العرب بأن يأتوا بمثلها في قوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣) وقوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: ٣٨) ومع ذلك فقد عجزوا عن الإتيان بمثلها ومن مظاهر الإعجاز فيها أنها نزلت في مكة وهم في ذروة طغيانهم وتعبئتهم لإبطال دعوة النبي (ﷺ) الذي كان محاصراً محروماً مستضعفاً وهي تتحدث عن كثرة النبي (ﷺ) وانقطاع أمر أعدائه.

والسورة فيها تسلية للنبي (ﷺ) وتطيب لنفسه من الضيق والألم والحزن الذي كان يسببه الخصوم، وتذكير له (ﷺ) ببعض نعم الله تعالى العظيمة عليه، وتكليفه إزاء هذه النعم بالصلاة والنحر، وتكليفنا أيضاً لأننا نحن المستفيدون من هذا الكوثر والمتنعمون به في الدنيا والآخرة.

والسورة مكّية، روي في سبب نزولها عن ابن عباس قال: (إن رسول الله (ﷺ) دخل من باب الصفا وخرج من باب المروة فاستقبله العاص بن وائل السهمي، فرجع العاص إلى قريش، فقالت له قريش: مَنْ استقبلك يا أبا عمرو آنفاً؟ قال: ذلك الأبتَر، يريد به النبي (ﷺ)، حتى أنزل الله هذه السورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يعني عدوك العاص بن وائل هو الأبتَر من الخير، لا أذكرُ في مكان إلا ذكرتَ معي يا محمد، فمن ذكرني ولم يذكرني ليس له في الجنة نصيب<sup>(١)</sup> وفي تفسير القمي (وكان الرجل في الجاهلية إذا لم يكن له ولد سمي أبتَر، ثم قال عمرو: إني لأشأ محمداً أي أبغضه، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مبغضك عمرو بن العاص وهو الأبتَر يعني لا دين له ولا نسب)<sup>(٢)</sup>.

ونقل في تفسير البرهان أن عمرو بن العاص لما ولي مصر من قبل معاوية بذل مائتي ألف درهم لمحو آية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ فلم يفلح، (فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه: قد بلغني ما قلت على منبر مصر ولست هناك)<sup>(٣)</sup>.

(١) الدر المنثور: ٦٤٦ / ٨.

(٢) تفسير القمي: ٤٤٥ / ٢.

(٣) البرهان في تفسير القرآن: ١٠ / ٢٥٣ / ح ١٩.

ويظهر من بعض الروايات أنها نزلت في المدينة أيضاً مرة أو أكثر، ويمكن أن يكون معنى نزولها التذكير بها أو تطبيقها على بعض مواردھا، فقد روي عن ابن عباس قال: (قدم كعب بن الأشرف<sup>(١)</sup> مكة فقالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم، ألا ترى إلى هذا الصابئي المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيح وأهل السقاية وأهل السدانة؟ قال: أنتم خير منه، فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٥١-٥٢))<sup>(٢)</sup>.

والكوثر على وزن ((فعل من الكثرة، وهو الشيء الذي شأنه الكثرة))<sup>(٣)</sup> على نحو نوفل وهو كثير النوافل، فهو من صيغ المبالغة، لذا قيل في معناه أنه الخير الكثير كما في معجم مقاييس اللغة<sup>(٤)</sup> وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبیر، وقيل أنه (الخير العظيم الذي أعطيه النبي ﷺ)<sup>(٥)</sup>، ويقال: تكوثر الشيء كثر كثرة

(١) من زعماء اليهود في المدينة كان يحرض قريشاً على حرب النبي ﷺ والقضاء عليه ويتعرض لنساء المسلمين فدبر له أحد الصحابة مكيدة وقتله.

(٢) الدر المنثور: ٨ / ٦٥٢.

(٣) مجمع البيان: ١٠ / ٢٥٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس: ١٦١ / ٥.

(٥) فتح القدير - الشوكاني: ٥ / ٥٠٤.

متناهية، قال الشاعر: (وقد ثار نفع الموت حتى تكوثر) كما في المفردات<sup>(١)</sup>، هذا بلحاظ الفعل.

وقد يطلق بلحاظ الفاعل فيقال للرجل المعطاء السخي: (الكوثر) كما في المقاييس والمفردات، وعلى هذا فالنبي (ﷺ) كوثر في نفسه ومعنى إعطائه الكوثر أي جعله كوثرًا لأنه أعظم الخلق بركة وخيرًا على كل المخلوقات فهو الأولى بقوله تعالى ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ (مريم: ٣١)، وكذا أهل بيته المطهرون (صلوات الله عليهم أجمعين) فهم (أولياء النعم) و(مساكن بركة الله ومعادن حكمة الله) (والرحمة الموصولة) وغيرها من المعاني الواردة في زيارة الجامعة الكبيرة، وفيها (بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه)<sup>(٢)</sup>، فمن أعظم خيرًا وبركةً منهم؟

ولسنا فقط من نروي ذلك فقد روى عدد من علماء العامة ذكرهم في المراجعات، (أن الحسين بن علي (عليه السلام) صعد إلى عمر بن الخطاب، فقال له: انزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك، قال: فقال: إن أبي لم يكن له منبر. (قال: فأقعدي معه فلما نزل ذهب بي إلى منزله فقال (لي): أي بني، من علمك هذا؟ قال: قلت: ما علمنيه أحد، قال: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ قال: فجئت يوماً وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب ولم يأذن له، فرجعت فلقيني بعد فقال لي: يا بني لم أرك أيتنا؟ فقلت: قد جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع فرجعت. فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله ثم

(١) مفردات غريب القرآن - الراغب الأصفهاني: ٤٢٦.

(٢) مصابيح الجنان: ٤٥٤.

أنتم، قال: ووضع يده على رأسه<sup>(١)</sup>، أي أن كل ما عندنا من خير فهو من الله تعالى وبفضلكم، قال تعالى ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (التوبة: ٧١).

وأعطي الكوثر أي الخير الكثير بكل معنى سامٍ، يليق بمقامه الكريم، ومنه ما ورد في الروايات أن الكوثر نهر في الجنة<sup>(٢)</sup>، وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير والبيهقي في سننه عن أنس بن مالك قال: (أعفي رسول الله ﷺ) إغفاء، فرفع رأسه مبتسماً، فقال: إنه نزلت عليّ آناً سورة فقرأها حتى ختمها، قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربّي في الجنة عليه خير كثير ترده أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك<sup>(٣)</sup>.

أقول: يروون هذا وغيره ثم يعتقدون بعدالة كل الصحابة وأن الله تعالى قد رضي عنهم جميعاً، وأخرج في الدر المنثور عن أنس قال: (دخلت على رسول الله ﷺ)، فقال: قد أعطيت الكوثر، فقلت: يا رسول الله وما الكوثر؟ قال: نهر في

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر الهيتمي (بالتاء): ٣٠٠/٢، لأنصاري: ٨٨/٢، والرياض النضرة: ٥٦١/١، والإصابة: ٦٩/٢، والمراجعات: ٣٩٦، وشرح النهج: ٤٢/٦، وكنز العمال: ٦٥٤/١٣، ومعرفة الثقات: ٣٠٢/١، وتاريخ بغداد: ١٥١/١، وتاريخ دمشق: ١٧٥/١٤، وتاريخ المدينة: ٧٩٩/٣، ومناقب محمد بن سليمان: ٢٥٥/٢، علل الشرائع: ١٨٦، والغدير: ١٢٦/٧، ومستدرک الوسائل: ١٦٥/١٥.

(٢) راجع الروايات ومصادرها في تفسير البرهان: ٢٤٧/١٠، والدر المنثور: ٦٤٧/٨.

(٣) الدر المنثور: ٦٤٧/٨.

الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظماً، ولا يتوضأ أحد منه فيشعث أبداً، لا يشربه إنسان أخفر ذمتي وقتل أهل بيتي).

ويمكن أن يكون معنى الكوثر: الحكمة، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، والكوثر هو الخير الكثير فالحكمة من مصاديق الكوثر، وقد أوتي رسول الله (ﷺ) الحكمة كأتم ما تكون قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

ومن مصاديق الكوثر القرآن فإنه كتاب مبارك دائم العطاء، فيه صلاح الخلق وهدايتهم وخيرهم وفوزهم وفلاحهم إلى يوم القيامة، ومعانيه لا تنتهي ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان: ٢٧) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تفني عجائبه ولا تنقضي غرائب) <sup>(١)</sup>، روى الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قال النبي (ﷺ): أعطيت جوامع الكلم، قال الراوي: فسألت أبا جعفر (عليه السلام): ما جوامع الكلم؟ قال: القرآن) <sup>(٢)</sup>.

وروى الطبرسي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في معنى الكوثر أنه الشفاعة، وقيل إنه كثرة الأتباع.

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (عليه السلام): ١ / ٥٥، بحار الأنوار: ٢ / ٢٨٤.

(٢) الأمالي: ٢ / ٩٩.

وهكذا تتعدد المصاديق وكلها قابلة لانطباق العنوان عليها، روى البخاري والحاكم وغيرهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: (الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه، قال الراوي: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر الجنة، قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه)<sup>(١)</sup>.

قال الطبرسي: ((وجميع هذه الأقوال تفصيل للجملية التي هي الخير الكثير في الدارين))<sup>(٢)</sup>.

ومن أجلى مصاديق الكوثر السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فهي الكوثر في نفسها لأنها المعصومة المطهرة سيدة نساء العالمين وتنعم الأمة ببركة عطائها إلى قيام الساعة، وهي الكوثر لأنها سبب تكاثر رسول الله (ﷺ) مادياً ومعنوياً، لأنها البنت الوحيدة للنبي (ﷺ) ومنها كانت ذريته الطيبة المباركة المعصومة وهم الأئمة الطاهرون وسادة الخلق أجمعين حجج الله تعالى على خلقه وبها وبذريتها (صلوات الله عليهم أجمعين) حفظ الدين وأستمر ذكر رسول الله (ﷺ) ومنهم تكثر نسل رسول الله (ﷺ) ليلبغ الملايين بينما انقطع نسل أعدائه ومبغضيه مصداقاً لقوله (ﷺ): (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)<sup>(٣)</sup> وقوله (ﷺ): (إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي من صلبه خاصة وجعل ذريتي

(١) الدر المنثور: ٦٤٩ / ٨.

(٢) مجمع البيان - الشيخ الطبرسي: ٤٦٠ / ١٠، ط، مؤسسة الأعلمي.

(٣) تفسير الميزان: ٧٥ / ١٥، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٦٧ / ٢١ باختلاف يسير.

من صليبي ومن صلب علي بن أبي طالب، إن كل بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإني أنا أبوهم<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى هو أوضح المعاني بشهادة ما نقلناه من سبب النزول، وبمقتضى المقابلة مع وصف مبغضه بالأبتر وهو مقطوع النسل والخير، فإنهم بعد أن عجزوا عن مواجهة النبي (ﷺ) والقضاء على دين الإسلام علّقوا آمالهم على وفاته (ﷺ) لينتهي أمره باعتباره أبترًا لا ولد له، فأعطاه الله الكوثر ماديًا بكثرة نسله من ابنته الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومعنويًا بتنصيبه علياً (عليه السلام) خليفة له وحاملاً لرسالته ومن بعده الأئمة المعصومون (عليهم السلام) من ذريته وهكذا حفظ الدين.

قال العلامة الطبرسي (رضوان الله عليه): ((وفي هذه السورة دلالات على صدق نبينا (ﷺ) وصحة نبوته أحدها: إنه أخبر عمّا في نفوس أعدائه، وما جرى على ألسنتهم، ولم يكن بلغه ذلك، فكان على ما أخبر.

وثانيها: إنه قال ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فانظر كيف انتشر دينه، وعلا أمره، وكثرت ذريته، حتى صار نسبه أكثر من كل نسب، ولم يكن شيء من ذلك في تلك الحال.

وثالثها: إن جميع فصحاء العرب والعجم، قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على وجازة ألفاظها مع تحديه إياهم بذلك، وحرصهم على بطلان أمره، منذ بعث النبي (ﷺ) إلى يومنا هذا. وهذا غاية الإعجاز.

ورابعها: إنه سبحانه وعده بالنصر على أعدائه، وأخبره بسقوط أمرهم، وانقطاع دينهم، أو عقبهم، فكان المخبر على ما أخبر به.

هذا وفي هذه السورة الموجزة من تشاكل المقاطع للفواصل، وسهولة مخارج الحروف، بحسن التأليف، والتقابل لكل من معانيها، بما هو أولى به، ما لا يخفى على من عرف مجاري كلام العرب<sup>(١)</sup>.

أقول: في الآية وعد مؤكد بأن مبغضي النبي (ﷺ) ورسالته العظيمة والمسيئين إليه وإلى دين الإسلام والقرآن، بالكلام أو بالرسوم أو بحرق المصحف أو بافتراء الأحاديث وتشويه السمعة، سيكون مصيرهم انقطاع ذكرهم واندثار أمرهم وبتر وجودهم، وإلا فأنهم أرادوا إطفاء هذا النور من أول يومٍ ومناديهم يقول (لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية)<sup>(٢)</sup> لكن ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)، وهذا ما أثبتته الوقائع سابقاً ولاحقاً، ولو كان عنده شيء من متاع الدنيا الزائلة فإنه لا قيمه له مقابل ما خسره من خير الدنيا والآخرة.

(١) مجمع البيان: ٢٥٩/١٠-٢٦٠.

(٢) مقتل الحسين عبد الرزاق للمقرم: ٣٤١.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾

موضوع القبس: احذروا مكر شياطين الجن والإنس

سورتا المعوذتين من كرائم السور القرآنية وفيهما بركات كثيرة روى عن رسول الله (ﷺ) قوله (من قرأها عند النوم كان في حرز الله تعالى حتى يصبح، وهي عوذة من كل ألم ووجع وآفة وهي شفاء لمن قرأها)<sup>(١)</sup>.

وأخرج في مجمع البيان من حديث أبي (من قرأ) (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) فكانما قرأ جميع الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء<sup>(٢)</sup> وفيه أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (جاء جبرئيل إلى النبي (ﷺ) وهو شاكٍ فرقاه بالمعوذتين وقل هو الله أحد وقال: بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك، خذها فلتهنئك).

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال (كان سبب نزول المعوذتين انه وعك رسول الله (ﷺ) فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) بهاتين السورتين فعوذه بهما)<sup>(٣)</sup> ولاجل ذلك اشتبه بعض الصحابة فظنهما تعويذتين وليستا من القرآن لكن الأئمة (عليهم السلام) صححوا هذا الاشتباه، فقد روى

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٢٨١/١٠.

(٢) مجمع البيان: ٢٧٨/١٠.

(٣) تفسير القمي: ٤٥٠/٢.

القمي في تفسيره بسنده عن الحضرمي قال (قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إن ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف فقال (عليه السلام): كان أبي يقول: إنما فعل ذلك ابن المسعود برأيه وهما من القرآن<sup>(١)</sup>) وفي رواية أخرى (أمّا أبو عبدالله (عليه السلام) في صلاة المغرب فقرأ المعوذتين ثم قال: هما من القرآن<sup>(٢)</sup>).

والسورتان عظيمتا البركة والتأثير وقد دخلتا في عدد كبير من السنن والمستحبات روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (كان النبي (ﷺ) إذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يده فقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم يمسح يده على وجهه فيذهب ما كان يجده)<sup>(٣)</sup>، روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله (من أوتر بالمعوذتين وقل هو الله أحد) قيل له: يا عبدالله، أبشر فقد قبل الله وترك<sup>(٤)</sup>.

والوسوسة: الحديث الخفي في باطن الانسان الذي لا كلام فيه وإنما هي معاني تخطر في الذهن وتسويلات وأوهام تلقى في مخيلة الإنسان ليقع تحت تأثيرها ويسير باتجاه امثالها قبل التدقيق فيها لتمييز صوابها من خطأها، وعدم تحكيم العقل الرادع عنها.

وهذه الوسواس قد يكون مصدرها النفس الأمارة بالسوء ﴿وَنَعَلَمَ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (ق: ١٦) أو ابليس ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف: ٢٠) أو عموم شياطين الأنس والجن ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ • الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ

(١) تفسير القمي: ٤٥٠/٢.

(٢) الكافي: ٣١٧/٣ ح ٢٦.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢٠٣/٢ ح ٢٥٢٣.

(٤) ثواب الأعمال: ١٢٩.

النَّاسِ • مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿الناس: ٤-٦﴾، في امالي الصدوق بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٣٥) صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه. فقالوا: يا سيدنا، لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا. قال: لست لها. فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخناس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

وفي مقابل هذه الوسوسة يوجد حديث خفي رحمني يوجه الانسان نحو الخير والصلاح يسمى الهاماً أو ايحاءاً ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ (القصص: ٧) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ (الأنبياء: ٧٢).

وهو من اللطاف الإلهية التي تجلب الخير والسعادة للإنسان ويتدافع هذان الحديتان داخل الانسان كسائر جنود الرحمن والشيطان البالغ خمسة وسبعين لكل منهم<sup>(٢)</sup> وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (ما من قلب الا وله أذنان، على أحدهم ملك مرشد وعلى الآخر شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، وكذلك من الناس شيطان يحمل الناس على المعاصي، كما يحمل

(١) امالي الصدوق: ٥٥١/١.

(٢) الكافي - ط الإسلامية: ج ١/ ص ٢١.

الشيطان من الجن<sup>(١)</sup>.

هذا التدافع يحسُّه كل واحد منّا إزاء مختلف المواقف التي يواجهها والانسان بأختياره يرّجح هذا الدافع او ذاك، وممن عبّر عن هذه الحالة عمر بن سعد ليلة تكليفه بقيادة الجيش لحرب الإمام الحسين (عليه السلام) بأبياته المعروفة ومنها:

أترك ملك الري والري منيتي أم ارجع مأثوماً بقتل حسين  
روى الشيخ الكليني<sup>(٢)</sup> بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (ما من مؤمن الا ولقلبه أذنان في جوفه، أذن ينفث فيه الوسواس الخناس، وأذن ينفث فيه الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله تعالى ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢).

والخنس: الاستتار والتخفي بعد الظهور والانقباض والتراجع والتأخر والابتعاد، قال تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ (التكوير: ١٥) وهي النجوم اذا غابت وسمي الشيطان خناساً لأنه ينقبض ويتراجع عن وسوسته عندما يُذكر الله تعالى وتبعه على ذلك شياطين الانس ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (الزمر: ١٥) وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) (ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله سبحانه خنس واذا نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس)<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القمي: ٤٥٠/٢.

(٢) الكافي: ٢٠٦/٢ ح ٣.

(٣) مجمع البيان: ٢٨١/١٠.

فالأية الكريمة تبين طبيعة عمل الشيطان وحدود تأثيره على الانسان اذ لا يزيد عمله على الوسوسة مستتراً متخفياً مبتعداً عمَّن يوسوس له، لذا فالانتصار عليه مقدور بترك الانسياق وراء وسوسته وتزيينه، ويعترف الشيطان يوم القيامة بانه لم يقم بغير هذا ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (إبراهيم: ٢٢)، روى علي بن ابراهيم في تفسير الوسواس الخناس (اسم الشيطان الذي في صدور الناس يوسوس فيها ويؤيسهم من الخير ويعدهم الفقر، ويحملهم على المعاصي والفواحش، وهو قول الله عزوجل ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: ٢٦٨))<sup>(١)</sup>.

فيأمر الله تعالى نبيه (ﷺ) ومن خلاله الناس جميعاً ان يستعذ بالله تعالى من شر هذا الوسواس المخادع ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَآئِهِمَا﴾ (الأعراف: ٢٠) وهو يأمل من وسوسته انه حتى لو لم ينجح في إضلال الشخص وإيقاعه في المعصية فلا أقل من تشويش ذهنه واضطراب نفسه وتضييع وقته وزيادة همه، قال تعالى ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (المجادلة: ١٠).

وتعلمنا السورة ان لا طريق للتخلص من تأثيرات هذه الوسواس الشيطانية الا باللجوء الى الله تبارك وتعالى حتى النبي (ﷺ) المعصوم طلب منه ذلك لأنه ما كان ليصل إلى هذه المرتبة لو لا لطف الله تعالى وتأنيده ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ

كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ (الإسراء: ٧٤) فغيره (ﷺ) أولى بهذه الاستعاذة بالله تعالى. لأنه سبحانه جامع لكل ما يوجب اللجوء إليه والاستعاذة به.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ (الناس: ١-٣) فان من طبع الإنسان إذا أقبل عليه شر يحذره ويخافه على نفسه وأحس من نفسه الضعف أن يلتجئ بمن يقوى على دفعه ويكفيه وقوعه، والذي يراه صالحاً للعوذ والاعتصام به أحد ثلاثة إما رب يلي أمره ويدبره ويربيه ويرجع إليه في حوائجه عامة، ومما يحتاج إليه في بقائه دفع ما يهدده من الشر، وهذا سبب تام في نفسه. وإما ذو قوة وسلطان بالغة قدرته نافذ حكمه يجيره إذا استجاره فيدفع عنه الشر بسلطته كملك من الملوك، وهذا أيضاً سبب تام مستقل في نفسه.

وهناك سبب ثالث وهو الإله المعبود فإن لازم معبودية الإله وخاصة إذا كان واحداً لا شريك له إخلاص العبد نفسه له فلا يدعو إلا إياه ولا يرجع في شيء من حوائجه إلا إليه فلا يريد إلا ما أراده ولا يعمل إلا ما يشاؤه.

والله سبحانه رب الناس وملك الناس وإله الناس كما جمع الصفات الثلاث لنفسه في قوله ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (الزمر: ٦)<sup>(١)</sup>.

أقول: ولعل عدم العطف بينهما بالواو للإشارة إلى استقلالية كل صفة في السببية.

ويحتمل في مقابل ذلك أن يكون كل سبب لاحق مكمل للاحق فان الرب والمربي قد لا يقدر على إجارة من يريه من كل سوء الا أن يكون عنده الملك والسلطنة والقدرة وهذا أيضاً قد يعجزه شيء ما الا اذا كان إلهاً حكيماً عليمًا قادراً مهيمناً.

والاستعاذة لا يكفي فيها تحريك اللسان من دون تعلق صادق بالله تعالى والتزام بما أمر به تعالى من شريعة وأحكام وسلوك ومعتقدات ونظام متكامل للحياة منهجاً وسلوكاً، غاية وأدوات والابتعاد عن أصدقاء السوء وأبواق الشيطان ومجالس اللهو والباطل التي تكون مرتعاً للشياطين.

(على المستعيز الحقيقي ان يقرن قوله ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾ بالاعتراف بربوبية الله تعالى، وبالنضواء تحت تربيته، وان يقرن قوله ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ بالخضوع لمالكيته، وبالطاعة التامة لأوامره، وان يقرن قوله ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ بالسير في طريق عبوديته، وتجنب عبادة غيره، ومن كان مؤمناً بهذه الصفات الثلاثة، وجعل سلوكه منطلقاً من هذا الايمان فهو دون شك سيكون في مأمن من شر الموسوسين<sup>(١)</sup>.

علينا ان لا نستهيّن بوسوسة الشياطين ولا نقلل من تأثيرهم لأنهم يزينون الأعمال القبيحة ويصورونها وكأنها نافعة لهم وفي مصلحتهم ويلبسون الباطل ثوب الحق بطرق مأكرة خفية تنطلي على الشخص نفسه، في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق فأما أولياء

الله فضيائهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى، واما أعداء الله فدعائهم فيها الضلال ودليلهم العمى<sup>(١)</sup>.

وهكذا تختلط الأمور بسبب وسوسة الشياطين قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (فلو أن الباطل خلع من مزاج الحق لم يخف على المرتادين - أي الطالبين - ولو أن الحق خلع من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث - أي قبضة - ومن هذا ضغث فيمزجان، فهناك يستولى الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى)<sup>(٢)</sup> وقال (عليه السلام) (احذروا الشبهة فانها وضعت للفتنة)<sup>(٣)</sup>.

والوسوسة لها درجات وانماط كثيرة بحسب مناعة الشخص وورعه فبعضهم يغريه بالمعصية مباشرة كترينه العلاقة مع امرأة أجنبية لذا ورد في التحذير من الخلوة بالمرأة عن النبي (ﷺ): (لا يخلون رجل بامرأة فما من رجل خلا بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما)<sup>(٤)</sup>.

أو انه مؤتمن على مال أو موقع فيزين له أن يمدّ يده إليه ويحوّله الى مغنم شخصية على حساب الشعب أو من ائتمنه عليه.

وقد يكون الشخص ورعاً فلا يغريه بالمعصية وإنما يأتيه من جهة تدينه وورعه فيدعوه تحت عنوان الاحتياط إلى التشدد في العبادات والمبالغة وعدم

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٠.

(٣) تحف العقول: ١٥٥.

(٤) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٠، ص ٣٠٩.

القناعة بالأعمال التي يؤديها فيعيدها ويلح فيها لكي يتعبه ويرهق اعصابه ويضيع وقته وينفره من العبادات.

روى الشيخ الكليني (قَلْبِي) بسند صحيح عن عبدالله بن سنان قال (ذكرت لأبي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَام) رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة، وقلت: هو رجل عاقل، فقال أبو عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَام): واي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله: هذا الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فيقول لك: من عمل الشيطان<sup>(١)</sup>).

ونحن نرى اليوم شياطين الانس يلبسون مشاريعهم الخبيثة التي تدعو الى الابتعاد عن الله تعالى ونبذ القيم الدينية والاجتماعية السامية وتفكيك أواصر الاسرة والمجتمع والدعوة الى الشهوات والانفلات تحت عناوين خادعة، ولو أنهم اظهروا صورهم الحقيقية أمام الناس وتحدثوا بصراحة عما يريدون لرفضوهم وطردوهم، مسخرين امكانياتهم المالية والإعلامية ومؤسساتهم واقلامهم وكُتابهم ومؤتمراتهم ومهرجاناتهم لخلط السم بالعسل وتسويق خططهم الشيطانية فيندفع وراءها كثير من المخدوعين والسذج الذين لم يلتجأوا الى الله تعالى ولم يتحصنوا به من مكرهم وخبثهم، وقد يستعمل الطواغيت المتسلطون قوتهم العسكرية وأدوات بطشهم وقسوتهم أي القوة الخشنة مضافاً إلى القوى الناعمة لإجبار الشعوب على التخلي عن دينها.

لقد كثرت وصايا المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَام) بالامتناع عن السير وراء من لم تعرف صلاحهم وحجتهم البالغة من الله تعالى لنكون في مأمن من شر الموسوسين،

(١) وسائل الشيعة: ٦٣/١، باب ١٠/ ح ١.

وحذرونا من اقتحام الأمور المشتبهة، فروي عن رسول الله (ﷺ) قوله (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه)<sup>(١)</sup> وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (لا ورع كالوقوف عند الشبهة)<sup>(٢)</sup> وعنه (عليه السلام) (حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك فمن ترك ما اشتبه عليه من الاثم فهو لما استبان له أترك)<sup>(٣)</sup>.

ان الوسوسة قد تتحول الى حالة مرضية غير طبيعية شخّصها الطب وتسمى بالوسواس القهري، وقد ذكرت الروايات بعض العلامات التي تكشف بلغة الجسد عن ان صاحبها مبتلى بدرجة من درجات الوسوسة كالحديث الذي رواه الشيخ الصدوق في الخصال فيما أوصى به النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) (يا علي ثلاث من الوسواس: أكل الطين وتقليم الأظافر بالأسنان وأكل اللحية)<sup>(٤)</sup>.

فبعض الناس يبتلى بالوسوسة في عقيدته وتحدث نفسه معه بأحاديث الكفر في ذات الله تعالى فيظن انه لم يعد مؤمناً والحقيقة غير ذلك بدليل رفضه لهذا الحديث الباطني، فقد روى الشيخ الصدوق بسند صحيح عن عبدالله بن سنان قال (كنّا جلوساً عند ابي عبدالله (عليه السلام) اذ قال له رجل: أتخاف عليّ أن أكون منافقاً؟ فقال له: اذا خلوت في بيتك نهائراً أو ليلاً أليس تصلي؟ فقال: بلى فقال فلمن تصلي؟ قال: لله عزوجل، فقال: فكيف تكون منافقاً وأنت تصلي لله عزوجل لا

(١) ميزان الحكمة: ٣٦١/٤ ح ٩٢٩٣.

(٢) نهج البلاغة : الحكمة: ١١٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٧٥/٤ ح ٥١٤٩.

(٤) بحار الأنوار: ١٠٨/٧٦.

لغيره<sup>(١)</sup>.

وان كثيراً من الناس يتلى بالوسوسة في صلاته ووضوئه وطهارته ويلبسها عليه الشيطان باعتقاد انها من الاحتياط الحسن واتقان العمل والأمر غير ذلك كما تقدم في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الرد على من اعتبرها من العقل. ويتلى آخرون بالوسوسة في علاقاتهم مع الآخرين فيشك في زوجته ويتهمها بالخيانة الزوجية ويحاول اقناع نفسه بأدلة تضحك التكلّي وآخر يشك في بنته وكم من سلطان شك في ابنه يتأمر عليه فيأمر بقتله كالشاه عباس الصفوي وآخرون يتلون بالوسواس في حياتهم العامة فتراه ينجز عملاً ما ثم يشك هل قام به ام لا ونحو ذلك.

وقد وضع الأئمة (عليهم السلام) قاعدة عامة للقضاء على هذه الحالة صاغها الفقهاء بقولهم (لا شك لكثير الشك)<sup>(٢)</sup> و(كثير الشك لا يعتني بشكه) فالعلاج ان يعرض عن هذه الوسوس ولا يلتفت اليها ويهملها ولا يرتب عليها أي اثر فانها ستزول بإذن الله تعالى اما اذا استجاب لها وبنى عليها عملياً واقنع بها فانها ستتركز وتعمق في نفسه حتى تصبح شغله الشاغل ولا تفارقه حتى تخرب عليه دينه وتنكد حياته وتحرمه من الاستقرار وراحة البال، قال (عليه السلام) (إذا تطيرت فامض، وإذا ظننت

(١) وسائل الشيعة: ٦٠/١، باب ٨/ ح ٦.

(٢) تعبيران عن قاعدة فقهية معروفة، قد ذكرت في أغلب بحوث القواعد الفقهية، وكذلك وردت كثيراً على لسان الفقهاء، ولم يخدش فيها أحد منهم؛ مما يدل على قبولها. أنظر: البجنوردي، محمد حسن، القواعد الفقهية: ج ٢، ص ٣٤٥.

فلا تقض<sup>(١)</sup> أي اذا حصل عندك شك وتردد ووسوسة فلا تلتفت اليه وامض الى ما عزمت عليه.

كما تضمنت الروايات ذكر بعض الأغذية المفيدة في دفع الوسوسة كالذي رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (من أكل حبة من الرمان أمرضت شيطان الوسوسة أربعين يوماً)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٨ / ٣٨.

(٢) الكافي: ٣٥٣/٦.

## اضاءات قرآنية (١)

### لطيفة قرآنية: لا توقف في عمل المؤمن الرسالي

ولناخذ مثلاً على ذلك من سيرة النبي نوح (عليه السلام) فإنه استمر في دعوة قومه إلى الله تبارك وتعالى تسعمائة وخمسين عاماً ولم يتوقف أو يتواني في عمله رغم عنادهم واستكبارهم عن قبول الحق جيلاً بعد جيل<sup>(١)</sup> حتى أنزل الله تبارك وتعالى قوله ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (هود: ٣٦) وقد دلت<sup>(٢)</sup> الروايات على أنه حينئذٍ دعا على قومه قائلاً ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦-٢٧).

وبالمقابل فإن الروايات<sup>(٣)</sup> دلت على أن ما أصاب النبي يونس (عليه السلام) الذي حكاه الله تعالى بقوله ﴿وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧-٨٨) إنما حصل لأنه لما أخبره الله تعالى أنه سينزل العذاب على قومه هجرهم وترك المدينة

(١) روى السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٩/٩ (أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح فيقول لابنه: احذر هذا لا يغرنك فإن أبي قد ذهب بي وأنا مثلك فحذرنى كما حذرتك).

(٢) نقلها في نور الثقلين: ٧١١/٢، تفسير سورة هود، حديث ٦٤ عن روضة الكافي، حديث ٦٥ و٦٧ عن تفسير علي ابن إبراهيم، وحديث ٦٦ عن علل الشرائع.

(٣) عن نور الثقلين: ٢٧١/٣، ح ١٣٦، عن عيون اخبار الرضا.

ولم يستمر بدعوتهم إلى التوبة لعل العذاب يكشف عنهم ثم انهم تابوا وتوسلوا إلى الله وتعالى فرفع عنهم العذاب فلما رجع إلى قريته ووجدهم أحياء وأمورهم طبيعية ذهب عنهم مغاضباً خشية اتهامهم إياه بالكذب لأنه (عليه السلام) أخبرهم بنزول العذاب جزماً.

ولعل من اسرار تشريع قراءة ﴿وَذَا النُّونِ﴾ في صلاة الغفيلة كل ليلة هو لإلفات نظرنا إلى هذه الحقيقة وان علينا ان نستغفر من هذا الشعور بالإحباط واليأس والضجر والكسل ونعترف بخطئنا وظلمنا أنفسنا وحينئذ يأتي الله تعالى بالفرج والنجاة.

وقد تجسّد القلب الكبير وروح الماثرة والمصابرة والمجاهدة بأسمى صورة إلى حد التضحية من أجل الارتقاء بالإنسان في أفق السعادة والكمال في النبي محمد وآله المعصومين الطاهرين (صلوات الله عليهم اجمعين).

فقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بالنبي الكريم (ﷺ) الذي كلّه رحمة للعالمين و كلّه رأفة بالأمة وحرص عليهم، قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وهكذا كان الائمة الطاهرون (صلوات الله عليهم اجمعين) من بعده (ﷺ) لا يدخرون أي جهد أو إمكانية ويضّحون بأنفسهم من أجل هداية الأمة وصلاحها ونجاتها من شقاوة الدنيا والاخرة.

روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قوله (ان الله

عز وجل غضب على الشيعة فخيرني نفسي او هم، فوقيتهم والله بنفسي<sup>(١)</sup>.  
ولا يعني الحديث مثل ما تقوله النصارى من أن عيسى (عليه السلام) صُلبَ  
ليفتردي أمته من العذاب على الذنوب والمعاصي مما دفعهم الى ارتكاب الكبائر  
والموبقات باعتبار ان نجاتهم مضمونه وصكوك الغفران جاهزة، وهذا معنى باطل  
لقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨) وغيرها من الآيات  
الكثيرة.

وانما يمكن فهم الحديث على أكثر من معنى، أحدها: أن كثيراً من الشيعة  
قد ضُغِفَ ارتباطهم بالإمام، وقد انغمسوا في حب الدنيا وأتباع الشهوات، وضعف  
ورعهم وتقواهم والتزامهم بأحكام الدين، فاستحقوا بذلك البلاء لكن الإمام  
(عليه السلام) اختار ان يمضي في طريق الشهادة ولا يسأل الله تعالى الفرج وخروجه من  
السجن، ليحدث صدمة في ضمير أتباعه حتى يرجعوا الى ربهم فيندموا ويستغفروا  
ويشعروا بتقصيرهم ويحاسبوا أنفسهم فيثوبوا الى رشدهم وإيمانهم ويصحوا من  
غفلتهم وهذا أحد الأسباب التي دعت الإمام الحسين (عليه السلام) للخروج بحسب فهم  
السيد الشهيد الصدر الأول (قدس) ودعته هو (قدس) للزم على الشهادة.

فكان على الأمة أن تستيقظ من نومها وتفرع الى قادتها وتطيعهم فيما  
يأمرونها به حتى تستفيد أكثر من الوجود المبارك للإمام (عليه السلام) نسأل الله تعالى ان  
ينبئنا من نومة الغافلين ويجعلنا من أهل البصيرة اليقظين بفضلله وكرمه.

(١) أصول الكافي: ٢٦٠/١، باب ان الائمة يعلمون متى يموتون، ح ٥.

## اضاءات قرآنية (٢)

### المرأة والمعارف القرآنية

لا شك إن الأحاديث الشريفة التي بينت فضل حملة القرآن وثواب تعلّمه مطلقة، وتشمل الرجال والنساء على حد سواء، كقول النبي (ﷺ): (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)<sup>(١)</sup> وقوله (ﷺ): (خياركم من تعلّم القرآن وعلمه)<sup>(٢)</sup> وقوله (ﷺ): (لا يعذب الله قلباً وعى القرآن)<sup>(٣)</sup>، وقد منّ الله تعالى عليكنّ بهذا الفضل العظيم وهو تعلم القرآن فاشكرن الله تعالى عليه وحافظنّ على هذه النعمة بالاستمرار عليها.

وأنتم الآن تطوون المسافة في النصف الأول من الطريق وهو (تعلّم القرآن) بالتدبّر والتأمل في معانيه، ومعرفة القواعد العامة للتفسير، والتزود بالأدوات التي تمكّنكم من تفسير الآيات الكريمة وفهم المراد منها، الى أن تصبح عندكم القابلية للانتقال الى النصف الثاني وهو تعليم القرآن وتفسيره، وإيصال ما يفتح لكم من معانيه الى الناس، ليكتمل العطاء الإلهي وتكونوا من خيار الناس كما في الحديث السابق.

ولا شك أن الإحاطة بمعاني القرآن مستحيل على امثالنا، لان معاني القرآن لا حدود لها، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ

(١) وسائل الشيعة: ١٦٧/٦-١٦٨.

(٢) وسائل الشيعة: ١٦٧/٦-١٦٨.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦٧/٦-١٦٨.

أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ (الكهف: ١٠٩) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان: ٢٧) وبحسب الظاهر فإن ألفاظ الكلمات لها عدد محدود، لأن عدد الحروف محدود، وكذلك عدد حروف كل كلمة، ويعرف بقوانين الاحتمالات مجموع عدد الكلمات في اللغة العربية مما استقصته المعاجم اللغوية، فكيف تقول الآية إن كلمات الله تعالى سبحانه لا نفاذ لها؟

وقد عرضتُ وجوهاً لتفسيرها<sup>(١)</sup>، أحدها أن المراد معاني كلمات الله تعالى أي بتقدير مضاف فإنها لا تنفذ، بل تتجدد وتكثر كلما ازداد الوعي وتعمق العلم وتطورت الحياة واتسعت شؤونها وقضاياها، وقد عبّر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذه الصفة للقرآن بقوله: (لا تفني عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به)<sup>(٢)</sup>.

وإنما نتحدث عما ييسر لنا من فهم كتاب الله تعالى، وما يفتح الله تعالى علينا من معانيه، وهو لا ينال فقط بالدراسة والتعلم، بل يحتاج الى اخلاص وصفاء النفس، وقد ذكر السيد الشهيد الصدر (قدس سره) في بعض رسائله في (قناديل العارفين) ان من علامات اهل السلوك الصالح الى الله سبحانه أنه سبحانه يفتح لهم عدة وجود ومعاني للآيات الكريمة، قال السيد الحكيم (قدس سره) في كتابه حقائق الأصول:

(١) راجع قبس قوله تعالى: ﴿لَتَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ (الكهف: ١٠٩) في تفسير من نور القرآن.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢/ ص ٢٨٤.

((حدَّث بعض الأعاظم دام تأييده - أنه حضر يوماً منزل الآخوند (ملا فتح علي<sup>(١)</sup> قدس سره) مع جماعة من الأعيان منهم السيد إسماعيل الصدر (ره) والحاج النوري صاحب المستدرک (ره) والسيد حسن الصدر دام ظله فتلا الآخوند (ره) قوله تعالى: (واعملوا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان... الآية) ثم شرع في تفسير قوله: تعالى فيها: حبب إليكم... الآية وبعد بيان طويل فسرهما بمعنى لما سمعوه منه استوضحوه<sup>(٢)</sup> واستغربوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنى آخر غير الأول فاستوضحوه أيضاً وتعجبوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه، ثم حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين ولم يزلوا على هذه الحال كلما حضروا عنده يوماً ذكر لها معنى إلى ما يقرب من ثلاثين يوماً فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنى وكلما سمعوا منه معنى استوضحوه، وقد نقل الثقات لهذا المفسر كرامات قدس الله روحه<sup>(٣)</sup>).

وأمام هذا التجدد والتكثر لمعاني القرآن لا يجوز لنا التوقف عند فهم جيل معين والاكتفاء بما أبدعه السلف الصالح إلى زماننا المعاصر من تفاسير، وينقل عن السيد الطباطبائي (قَسَّيْ) صاحب تفسير الميزان انه كان يقول ان الامه بحاجة

(١) وهو الميرزا علي محمد النجف آبادي، قال عنه تلميذه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (اعلى من حضرت عليه في الحكمة والعرفان العارف الإلهي الذي كان أكبر أساتذة الحكمة والعرفان وكان درسه في (الأسفار) ولكنه يتفجر بينابيع الحكمة) (عقود حياتي: ٥٩-٦١).

(٢) أي وجوده واضحاً وظاهر الانطباق على الآية.

(٣) حقائق الأصول: ج ١/ ص ٩٦.

الى تفسير جديد للقرآن كل سنتين، يعني أنه خلال إنجازهِ لتفسير الميزان الذي استغرق عشرين عاماً لا بد أن تصدر عشرة تفاسير متنوعة.

إذن علينا أن نتعب أنفسنا في تهيئة المقدمات التي تمكننا من فهم كتاب الله تعالى وروايات أهل البيت (عليه السلام) وتحمل علومهم، لنكون ممن شملهم دعاء الإمام (عليه السلام) بالرحمة فيما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن الهروي (قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: رحم الله عبد أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس)<sup>(١)</sup> فهاتان نفس المرحلتين اللتين ذكرهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهما التعلّم أولاً والتعليم ثانياً. وعلومهم (عليه السلام) لا تختص بالأحكام الشرعية المعروفة بالفقه في المصطلح المتداول، وإنما تشمل كل علومهم وعلى رأسها تفسير القرآن، فقد وردت عنهم فيه آلاف الروايات، وخصصوا جملة من أصحابهم لهذا العلم كعبد الله بن عباس في الصحابة وسعيد بن جبير في التابعين وجابر الجعفي في تابعيهم، حتى يستفيد منهم الناس الذين حرموا من بركات الاتصال المباشر بأهل البيت (عليه السلام)، بسبب التشويه والتضليل والحصار والمقاطعة والعقوبات القاسية لمن يرتبط بهم (عليه السلام)، لكنهم (عليه السلام) لم يتركوا الأمة وإن اعرضت عنهم تأسيساً بجدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) فكانت هذه إحدى طرق تواصلهم مع الأمة.

وقابليات المرأة العقلية والذهنية والمعرفية لا تقلّ عمّا عند الرجل، فيمكنها

المشاركة في هذا الجهد المبارك إذا أتت البيوت من أبوابها، واتقنت المقدمات المطلوبة.

وأنصح الأخوات أن يتوجهن بعد تحصيل القدرة على فهم معاني القرآن وتفسير آياته على نحو الترتيب في المصحف والمعروف بالتفسير التجزيئي، الى تطبيقها على نحو التفسير الموضوعي فيعالجن برؤية قرآنية قضايا اجتماعية وتربوية واخلاقية وحقوقية وتشريعية تعني المرأة، وهي كثيرة في القرآن الكريم يمكن تشخيصها بمساعدة الأساتذة المتخصصين، وأشارت الى كثير منها في تفسير (من نور القرآن).

وانني أرى أن هذا المنهج في التفسير أكثر عطاء وتركيزاً على القضايا والمشاكل والمعالجات وإجابة الأسئلة، ويمكن أن تتصدى مجموعة من الفاضلات لمعالجة قضية معينة وفق الرؤية القرآنية ثم تجمع هذه الجهود المباركة لنحظى بتفسير متميز.

وأجد نفسي متفائلاً بقطف هذه الثمرة المباركة مع توفر الرغبة الأكيدة والهمة العالية والإخلاص والمثابرة وتعاون الجميع، فقد وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر والتثبيت والتأييد إن هم نصره في أي مجال وبأي شكل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧).

### اضاءات قرآنية (٣)

#### الرد الحاسم على أعداء القرآن الكريم

شكر الله تعالى جهود كل الذين دفعتهم غيرتهم على المقدسات إلى المساهمة بإخلاص في الفعاليات المتنوعة للدفاع عن القرآن الكريم وإظهار مكانته السامية، ونرجو أن يدخلهم الله تعالى في شفاعة القرآن فإنه (شافع مشفع) أي مقبول الشفاعة قطعاً كما في الحديث الشريف<sup>(١)</sup>، وأن يقودهم إلى رضوان الله تعالى، وهو بنفس الوقت (ماحل مصدق) أي خصم لا تُردُّ دعواه ومصدق في حجته غالب على من يحاول الإساءة إليه ويصد الناس عن الاهتداء به، فالخزي والذل والهوان لكل من أنتهك حرمة القرآن سواء كانوا حكومات أو مؤسسات أو أفراد، فقد فضحتهم أفعالهم هذه وأظهرت وجوههم القبيحة ونواياهم الخبيثة التي طالما زينوها بشعارات براقة مزيفة كالحرية وحقوق الإنسان والتعبير عن الرأي وغير ذلك، لكن النار لما تصل إليهم كما في اضطرابات فرنسا الحالية تنقلب مواقفهم إلى النقيض فيطالبون بمحاسبة الإباء بدعوى أنهم لم يربوا أولادهم المشاركين في الاحتجاجات، وبنفس الوقت هم يمنعون الإباء من تأديب أولادهم بحجة العنف الاسري ويسحبونهم منهم، وهذا من تناقضات حضارتهم البائسة، فالحمد لله الذي فضحهم وأكذب أحدوثتهم.

لكن على المؤمنين أن يلتفتوا إلى إن الأعداء يراهنون على أن تقتصر ردود الأفعال على حدود العواطف والانفعالات الثورية التي لا تدوم فيعودون إلى

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٢/ ٥٩٨ ح ٢.

أفعالهم الشنيعة مرة أخرى لأنهم ماضون في حربهم على الإسلام بل على الفطرة الإنسانية، وما هذه التفاهات التي تثار هنا وهناك الا حركات استفزازية ضمن هذه الحرب المسعورة، وهم مصرّون على تنفيذ مشاريعهم الشيطانية التي تريد إلهاء الناس وتحويلهم إلى قطع من الحيوانات لا تفقه من الحياة شيئاً إلا تلبية غرائزها وشهواتها، ويبقون هم متحكمين في مصير البشرية، لذلك فإنهم يجدون في القرآن الذي يوقظ البشر وينبههم من غفلتهم ويهديهم إلى المبادئ السامية، ويعتمده المسلمون دستوراً لهم، وفي رسول الله (ﷺ) وأهل بيته (عليه السلام) الذين يترجمون رسالة القرآن إلى واقع عملي يجدون فيهم عدوهم اللدود الذي يجب القضاء عليه وفصل الناس عنه.

فعلينا أن نتخذ مواقف وإجراءات حازمة ضمن إستراتيجية ثابتة واضحة الأهداف، لنحوّل جرائمهم إلى انتصار وتقدّم حقيقي للإسلام، فإن أعداءنا حمقى مع خبثهم ومكرهم ولا يعلمون إن أية قضية يزيدون الطرق عليها فإنها تثبت وتستقر أكثر، وتزداد وضوحاً و يقيناً، وتدفع المؤمنين إلى ترسيخها والدفاع عنها وإجابة كل الشبهات المثارة عليها، كما حاولوا طمس الهوية الإسلامية وإسقاط حجاب المرأة، ونشر الرذيلة في المجتمع من خلال الترويج للإلحاد والشذوذ الجنسي وزواج المثليين مخالفين بذلك الفطرة الإنسانية وليس الدين فقط، فانقلبت عليهم بالضد وزاد تمسك المسلمين بهويتهم وإيمانهم، وحاولوا محو الشعائر الدينية والسخرية منها فازداد تعلق المؤمنين بها حيث ترى الملايين من أصقاع العالم يؤدون مناسك الحج ويحضرون في المساجد ويتلون القرآن، كما

انتعشت مسألة الإمامة وولاية أهل البيت (عليه السلام) والشعائر الحسينية وأمثالها بكثرة الطرق عليها.

وهذا من لطف الله تعالى بعباده أن يحوّل الأفعال الشريرة لبعض البشر إلى أسباب لصلاح الناس وتقوية الإيمان في نفوسهم، كما جعل الله تبارك وتعالى من فعلة بني أمية بقتلهم الحسين (عليه السلام) سبباً لانتشار الدين وهداية الناس به ودوامه إلى يوم القيامة.

إن الإسلام يمتلك القدرة الفائقة على التأثير في الناس، وإصلاح أشد الناس قسوة وهمجية كالمغول وغيرهم من الأمم المتوحشة التي اكتسحت بلاد المسلمين وعاثت فيها فساداً وقتلاً وتدميراً، لكنها سرعان ما آمنت بالإسلام وأذعنّت له خلال مدة قصيرة، لكن ذلك التأثير يتطلب ذوبان أهل الإسلام والقرآن فيهما<sup>(١)</sup>.

ويتحدث كثير من الذين اعتنقوا الإسلام من الأمم الأخرى عن كيفية تأثرهم بآية من آيات القرآن لأنها حلّت لهم مشكلة أو أجابت عن سؤال عويص ونحو ذلك، وأوجبت هذا التحول في حياتهم، كآية التوحيد التي فسّرت لهم انسجام الخلق، أو آية الخلود في الآخرة التي أعطت الثقة بأنفسهم بأنهم لم يخلقوا عبثاً وإنما لغاية، أو ما دلّ على أن الله معكم وأنه قريب من عباده يسمع دعاءهم ويقرب إليهم أكثر مما يقتربون إليه ونحو ذلك.

---

(١) راجع كلمة سماحة المرجع حول هذا المعنى في كتاب خطاب المرحلة بعنوان (قابلية الدين الإسلامي العظيم على صناعة التغيير والإصلاح شرط أن يذوب أبناؤه في مبادئه السامية وفي مضامين القرآن الكريم) خطاب المرحلة: ج ١٣ / ص ٤٧٠.

فالرد الحقيقي على هذه الإساءات والذي يربع الأعداء ويجعلهم يتندمون على فعلتهم هما أمران:

١- وحدة المسلمين ونبذ الفرقة بينهم بعد أن ميزوا من خلال هذه الانتهاكات بين الصديق والعدو، فليس من أتباع القرآن من عادى أخاه المسلم الذي انتفض معه غيرة على القرآن، ويوالي العدو الذي يتبجح بالإساءة إلى القرآن.

٢- التمسك بتعاليم القرآن وأحكامه وانظمته وقوانينه، والتدبر في آياته وإحياء دوره في حياة الأمة، واتخاذهُ قائداً وهادياً لا نحيد عن نهجه وصراطه المستقيم، فإنه الثقل الأكبر والجل الممدود من السماء الذي لا يضل من تمسك به، وعلينا أن نجعله ميزاناً لأعمالنا فنفعل ما يأمرنا به ونجتنب ما ينهانا عنه من دون مجاملة لأحد أو خوفٍ من آخر، أو نغلب أهواءنا وعواطفنا وشهواتنا على ما يريده الله تعالى، وبذلك نحبط محاولات شياطين الإنس والجن الذين همهم وغرضهم إبعاد الناس عن الله تعالى وإضلالهم عن طريق الحق ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: ١٦)، ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٩٢).

وهذان الأمران اعني إقامة دين الإسلام ووحدة الأمة هما الغرض الأسمى للقران الكريم بل لكل الشرائع السماوية، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣).

وفي ضوء هذه الآية الكريمة يعرف الترابط الوثيق بين القرآن والإمامة التي صدع بها النبي الأكرم (ﷺ) في يوم الغدير، وبتعبير آخر بين الثقلين بحسب الحديث النبوي المشهور لدى الفريقين<sup>(١)</sup>، فبالولاية حفظ القرآن من التحريف والتأويل، وضمن ديمومة بقائه الى نهاية الدنيا لتهتدي به البشرية الى سعادة الدنيا والاخرة، وليوحدتها على المبادئ الإنسانية العليا.

وهنا نقول بكل ألم وأسف أن ما يقوم به بعض المسلمين من منكرات كوضع الانظمة والقوانين المخالفة للقرآن والحكم بغير ما انزل الله تعالى، والإثراء بغير حق على حساب قوت الشعب وحرمانه من حقوقه، أو نشر بؤر الفساد الأخلاقي كمحلات الخمر والملاهي وحفلات المجون، وظهور النساء متبرجات أمام الرجال الأجانب، وترك الصلاة وغير ذلك، فضلاً عن إراقة الدماء وانتهاك الأعراض وتعطيل مصالح الناس من أجل أطماع شخصية أو تعصباً لجهة معينة، لهو أشد إساءة إلى القرآن الكريم وأقسى إيلاًماً لقلب النبي الأكرم (ﷺ) من حرق المصحف هنا أو نشر صور مسيئة هناك، وهو ما يشكو منه النبي (ﷺ) بحسب قوله تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠) فانتبهوا أيها المسلمون ولا يخذعنكم الشيطان بمكره.

وعلى أي حال فإن هذه النهضة القرآنية الظافرة لها عدة أدوات ومظاهر

منها:

(١) أنظر: وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ٢٧ / ٣٣ / ح ٩.

١- أن يجعل الخطباء مادتهم في المجالس والمحاضرات من تفسير الآيات الكريمة، واستلهاهم الدروس والعبر منها، وبيان القضايا العقائدية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها التي تناولها، وهو منهجنا في تفسير (من نور القرآن) واخترنا منه أربعين مجلساً قرآنياً في كتاب (المعارف القرآنية والمنبر الحسيني).

٢- أن يدأب أئمة المساجد على قراءة صفحتين من القرآن الكريم عقب كل صلاة جماعة قبل أن يتفرق المصلّون وهي لا تحتاج إلى أزيد من بضع دقائق.

٣- تلاوة القرآن باستمرار ولو في أوقات الصلوات المفروضة فقد ورد استحباب قراءة خمسين آية يومياً.

٤- الاستفادة من الأجهزة المحمولة للاستماع إلى التلاوات المباركة بأصوات جهابذة القراء في أوقات الانتظار أو السفر أو وقت الاستراحة والخلوة.

٥- مطالعة التفاسير المختصرة كتفسير شبر والمعين للإمام بالمعاني العامة للآيات الكريمة وتهيئة الذهن للتدبر فيها.

٦- عقد محافل الانس بالقرآن الكريم واختيار القراء الذين يشدّون المستمعين إلى آياته.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن أستضاء بنور القرآن وسار على نهجه القويم ونصره وانتصر به والحمد لله رب العالمين.

## اضاءات قرآنية (٤)

### أعطوا للقرآن الكريم دوراً متميزاً في حياتكم

بعض المتحدثين حينما ترد الآيات القرآنية في كلامه يميّزها بالإلقاء عن بقية كلامه فيرتّلها، وكذلك دأبت دور النشر في السنين الأخيرة على تمييز الآيات القرآنية بالخط عن بقية الكتاب فتوضع بنفس الرسم القرآني، ولعل غرضهم في ذلك لتنبية القارئ إلى عدم مسّها إلا بطهور ونحوها من الأغراض.

وهذا الفعل المبارك وهو تمييز النصوص القرآنية عن غيرها في محلّه لكنّنا نفهم منه معنى أوسع من هذا الذي أرادوه، لأنّ نظم القرآن ومعانيه من صنع الخالق تبارك وتعالى فمن الطبيعي أن تتميّز عن صنع المخلوقين مهما كانوا متقنين للفصاحة والبلاغة.

يروى صاحب كتاب (في ظلال القرآن) انه كان على ظهر باخرة مسافراً إلى الولايات المتحدة وفي يوم الجمعة أقام صلاة الجمعة وألقى خطبتيها، وكان المسافرون من أديان شتى ولغات مختلفة، فوقف غير المسلمين ينظرون إلى هذا المشهد الغريب عنهم، بينهم سيّدة يوغوسلافية كانت تنصت وتتابع حتى انتهى من الصلاة فسألها عن معنى انشادها وهي لا تفهم العربية، فقالت: لا أدري لكنني وجدت نفسي منجذبة إلى الجو الذي أوجدته كلماتك وقالت أن الذي لم أستطع تفسيره هو أن كلمات تخللتها خطبتك كانت تشدّني وتجذبني أكثر ولا أعرف لماذا؟ يقول سيد قطب لكنني أعرف أنها الآيات القرآنية التي كنت أضمنّها في خطابي.

هذا هو القرآن الكريم في تأثيره على النفوس وبشفائه للروح وانسجامه مع

الفطرة وتطهيره القلب الذي لم يطع عليه الرين حتى وإن لم يكن يفهم ألفاظه، وهذا هو القرآن الكريم في تميزه عن كلام المخلوقين، وهذا مظهر من مظاهر إعجازه، وربانية صنعه ومصدره.

خلافاً لما يرد في الإشكال الذي واجهه رسول الله (ﷺ) ويردده اليوم مدعو الحداثة والتجديد الفوضوي غير المنضبط، وهو أن القرآن من صنع البشر سواء كان النبي محمد (ﷺ) نفسه أو غيره ممن يزعمون أنه علمه، وأجاب القرآن بوضوح ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣) وقال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

هذا التمييز للقرآن الكريم يجب أن نحافظ عليه في حياتنا فنعطيه هذا الدور المتميز عن غيره من سائر أولوياتنا فنواظب على تلاوته ونتدبر في آياته ونتخذه دستوراً في حياتنا لا نحيد عنه، ونبراساً يضيء لنا الدرب، ومرجعاً لنا في كل قضايانا وحل مشاكلنا.

فلا نبخل على القرآن بدقائق يومياً في أوقات صلواتنا أو فراغنا لتتلو عدداً من الآيات الكريمة، وقلت مراراً أن الأولى أن تكون في مصحف مؤطر بتفسير بسيط لمفرداته وآياته كتفسير شبر لنحيط ولو إجمالاً بالمعاني العامة للقرآن الكريم، وهو كتاب جليل وضعه مؤلفه بعد مراجعة عدة تفاسير واطّلع على الأقوال المختلفة. وليكن لكل فرد من الأسرة نسخة واحدة على الأقل من

المصحف تختص به، والأفضل أكثر من نسخة، هذا غير المصاحف الأخرى الموجودة في الدار.

وأؤكد عليكم أيها الشباب بالعمل بهذه النصيحة فإنكم في بداية حياتكم ونقطة الانطلاق لتأسيس مستقبلكم، فعندما يكون الأساس هو القرآن الكريم وعلومه ومعارفه فإن المستقبل يكون سعيداً قوياً مثمراً بلطف الله تبارك وتعالى، وفي كل الميادين سواء في دراستك أو عملك وكسبك أو في علاقاتك مع أهلك والآخرين، فضلاً عن العلاقة السامية مع ربك والنبى وآله الطاهرين (عليهم السلام).

وقد جربت ذلك في حياتي عندما كنت في بداية العشرينيات من عمري ومن الله تعالى عليّ بالأنس بالقرآن وملازمة له ولازلت أحيى بركاته والحمد لله وحده.

الحمد لله رب العالمين

## الفهرس

- القبس/٢١٠ ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا أَلَمُوتَ﴾ سورة الجمعة: ٦ ..... ٥
- موضوع القبس: الاستعداد للموت: علامة صدق الايمان ..... ٥
- ملحق: كيفية الاستعداد للموت ..... ١٤
- القبس/٢١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ سورة الجمعة: ٩ ..... ١٨
- القبس/٢١٢ ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ سورة التغابن: ٩ ..... ٣٤
- القبس/٢١٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُتُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ سورة التحريم: ٦ ..... ٤٣
- القبس/٢١٤ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ سورة التحريم: ١١ ..... ٥١
- موضوع القبس: امرأة فرعون أسوة حسنة للرجال والنساء ..... ٥١
- القبس/٢١٥ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ سورة الملئك: ٢ ..... ٥٦
- موضوع القبس: مقومات إحسان العمل ..... ٥٦
- ملحق: زيادة قيمة العمل بإهدائه ..... ٧١
- القبس/٢١٦ ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ سورة الملئك: ١٣ ..... ٧٥
- موضوع القبس: دلالات معنى اسم اللطيف ..... ٧٥

القبس/٢١٧﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾  
سورة الملئك: ٣٠..... ٨٤

القبس/٢١٨﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم: ٤..... ٩٣

موضوع القبس: معجزة النبي (ﷺ) في أخلاقه..... ٩٣

تطبيق: معجزة لرسول الله (ﷺ) تبين أخلاقه..... ١٠٣

القبس/٢١٩﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ سورة القلم: ٩..... ١٠٨

موضوع القبس: لا مساومة على المبادئ الحقّة..... ١٠٨

القبس/٢٢٠﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة القلم: ٤٤..... ١١٢

موضوع القبس: سُنّة الاستدراج..... ١١٢

القبس/٢٢١﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ سورة المعارج: ١..... ١٢٠

موضوع القبس: في من رفض التسليم بحديث الغدير..... ١٢٠

القبس/٢٢٢﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ سورة المعارج: ٦-٧..... ١٣٠

..... ١٣٠

القبس/٢٢٣﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

مِذْرَارًا﴾ سورة نوح: ١٠-١١..... ١٣٨

موضوع القبس: الارتباط الوثيق بين الاستغفار وتواتر النعم..... ١٣٨

القبس/٢٢٤﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ سورة المزمل: ٢٠..... ١٥١

موضوع القبس: أجعل همّك التزود للآخرة..... ١٥١

القبس/٢٢٥﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ سورة المدثر: ٢..... ١٦٢

- القبس/٢٢٦ ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالَّتَيْفِسِ الْلَّوَامَةِ﴾ سورة القيامة: ٢..... ١٦٩  
 موضوع القبس: محكمة الضمير دليل على وجود محكمة القيامة..... ١٦٩
- القبس/٢٢٧ ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾  
 سورة الإنسان: ٨..... ١٧٤
- القبس/٢٢٨ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ سورة النبأ: ٩..... ١٨٦
- القبس/٢٢٩ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ سورة النبأ: ٤٠..... ١٩١  
 موضوع القبس: الناس تمنى يوم القيامة أن لو كانوا من شيعة علي (عليه السلام) .... ١٩١
- القبس/٢٣٠ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ سورة عبس: ٢٤..... ٢٠٢
- القبس/٢٣١ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ سورة الانفطار: ٦..... ٢٠٧
- القبس/٢٣٢ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ سورة المطففين: ٢٦..... ٢٢١
- القبس/٢٣٣ ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ سورة  
 البروج: ٨..... ٢٣٠  
 موضوع القبس: السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تكشف سبب معاداة الحق  
 ..... ٢٣٠
- القبس/٢٣٤ ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ سورة الفجر: ١-٢..... ٢٤٠  
 موضوع القبس: سورة الفجر والإمام الحسين (عليه السلام) ..... ٢٤٠
- القبس/٢٣٥ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ سورة الشمس: ١-٢..... ٢٤٨  
 موضوع القبس: وجه تشبيه النبي (صلى الله عليه وآله) والائمة المعصومين (عليهم السلام) بالشمس ٢٤٨  
 ملحق: في وجه تشبيه غيبة الإمام (عليه السلام) بالشمس إذا جللها السحاب ..... ٢٥٥

القبس/٢٣٦ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ سورة الإنشراح: ٥-٦  
٢٥٨.....

القبس/٢٣٧ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ سورة الضحى: ٩..... ٢٦٧

موضوع القبس: كافل اليتيم المادي والمعنوي مع رسول الله (ﷺ)..... ٢٦٧

القبس/٢٣٨ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ سورة الضحى: ١١..... ٢٨٣

موضوع القبس: التحديث بولاية أهل البيت (عليهم السلام) ونشرها..... ٢٨٣

القبس/٢٣٩ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ سورة العلق: ١..... ٢٩١

موضوع القبس: لنكن أمة ﴿أَقْرَأْ﴾..... ٢٩١

القبس/٢٤٠ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۚ إِنَّ رَعَاهُ اسْتَفْعَى﴾ سورة العلق: ٦-٧... ٢٩٨

القبس/٣٤١ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ سورة القدر: ٣..... ٣٠٩

القبس/١٤٢ ﴿وَلَتِيكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ سورة البينة: ٧..... ٣١٨

موضوع القبس: حيّ على خير العمل والدعوة الى ولاية أهل البيت (عليهم السلام)..... ٣١٨

القبس/٢٤٣ ﴿ثُمَّ لِنُسْأَلَنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ سورة التكاثر: ٨..... ٣٢٦

موضوع القبس: نعمة ولاية اهل البيت (عليهم السلام)..... ٣٢٦

القبس/٢٤٤ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ سورة العصر: ٣..... ٣٣٧

القبس/٢٤٥ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ سورة الكوثر: ١..... ٣٤٧

موضوع القبس: السيدة الزهراء (عليها السلام) أجلى مصاديق الكوثر المعطى لرسول الله

(ﷺ)..... ٣٤٧

القبس/٢٤٦ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ سورة الناس: ٤..... ٣٥٦

- موضوع القبس: احذروا مكر شياطين الجن والإنس ..... ٣٥٦
- اضاءات قرآنية (١) لطيفة قرآنية: لا توقف في عمل المؤمن الرسالي ..... ٣٦٨
- اضاءات قرآنية (٢) المرأة والمعارف القرآنية ..... ٣٧١
- اضاءات قرآنية (٣) الرد الحاسم على أعداء القرآن الكريم ..... ٣٧٦
- اضاءات قرآنية (٤) أعطوا للقرآن الكريم دوراً متميزاً في حياتكم ..... ٣٨٢